المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



(٠٣٢)

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

جهود الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في الدعوة إلى الله تعالى

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

سعيد بن مبارك الشهراني

إشراف فضيلة الدكتور

حمود بن جابر الحارثي

العام الجامعي

١٤٣٤-١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أحمد الله أوّلاً وآخراً على ما منّ به عليَّ من نعم لا تحصى، وآلاء لا تعدّ، أولها نعمة الإسلام والسنّة، وأحمده وهو أهلٌ للحمد على توفيقه وتيسيره لي طريق العلم والتعلم، فأسأله سبحانه أن يتمّ علينا نعمه، وأن يثبّتنا على الإسلام والسنّة، وأن يفتح علينا، ويزيدنا من العلم والخير.

كما أحمده على ما يسّر لي من إنهاء هذه الرسالة، التي أرجو أن أكون قد أديت فيها قدر المستطاع من الجهد والعمل، ولا أدعي الكمال، لكن أسأله سبحانه التوفيق و القبول.

ثم لا يفوتني أن أوّجه الشكر الجزيل لوالديّ الكريمين وزوجتي وأقاربي على دعائهم المستمر لي وما حملوه من هم ومشقة خلال هذه الفترة، فأسأل الله أن يحفظهم ويجزيهم خير الجزاء، وكذلك من ساهم معي بشكل خاص من أقارب وزملاء مما كان له الأثر الأكبر في الاستمرار بهمّة عالية.

وأردف بالشكر للقائمين على الجامعة الإسلامية على ما يسّروا لنا من دراسة في هذه الجامعة العريقة، فتعلمت فيها، واقتطفت من ثمارها في كلية الدعوة وأصول الدين، فدرست على علماء ومشايخ أجلاء، فجزاهم الله عني وعن جميع إخواني من طلبة العلم خيراً.

كما أشكر القائمين على قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بهذه الجامعة المباركة من المشايخ الفضلاء، والإخوة الأعزاء، لما أبدوه لي من نصح وتوجيه، ومساعدة كنت في أمسِّ الحاجة لها.

وأواصل الشكر والتقدير لفضيلة شيخي الدكتور: حمود بن جابر الحارثي-حفظه الله ورعاه- على ما أولانيه من توجيه ونصح وإرشاد حتى انتهيت من هذا البحث -والحمد لله- فأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزيه عني كل خير، وأن يبارك في عمره وذريته.

وأوجه جزيل الشكر والتقدير للشيخين الفاضلين:

١- الدكتور فؤاد بن عبده البعداني حفظه الله.

٢-الدكتور خالد بن سعد الزهراني حفظه الله.

على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة وتقويمها وعلى ما يقدمانه لي ولجميع طلاب القسم من عناية وتوجيه، ونصائح مقرونة بالأخلاق العالية وعلى ما خصاني به أيضاً من عناية وصبر وتوجيه خلال فترة الدراسة والبحث فجزاهما الله خيراً.

كما أشكر جميع المشايخ وطلاب العلم ممن أعارني كتاباً، أو أرشدني إلى فائدة، أو أوقفني على خطأ أو خلل.

ولا أنسى بالفضل بعد الله وزارة الدفاع والتي ابتعثتني إلى هذه الجامعة المباركة، وما تبذله من جهد في تأهيل منسوبيها في جميع المجالات، وأخص بالشكر من ساعدني منها ووكذلك مدير إدارة الشؤون الدينية للقوات البرية الذي ساهم في تسهيل مهمة ابتعاثي والوقوف معي خلال مرحلة الدراسة.

وختاماً: فإنّي أسأل الله أن يتقبل مني إنّه هو السميع العليم، وأن يبارك في عملي، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وأنعم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

إهداء

إلى والديَّ الغاليين الذين لا أستطيع أن أوفيهما شيئاً من حقّهما...

وإلى زوجتي التي وقفت بجانبي تساعدني وتحثني...

إلى أبنائي، وأساتذتي، وزملاء العمل والدعوة، وإخواني، وإلى الذين وقفوا معي ...

إلى الذين وقفوا أنفسهم على العلم وللعلم ...

أهدي إليهم جميعا هذا العمل،

الذي أسال الله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم،

وأن يكتبه في ميزان حسنات الشيخ محمد رشيد رضا

الذي كان لي مجالاً خصباً في البحث

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ النساء: ١. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب : ٧٠-٧١.

أما بـــــعد: قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴾ النحل: ٣٦، فبين الله تعالى أن الرسل عليهم السلام كلهم بعثوا لأمر عظيم ألا وهو الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له واجتناب الطاغوت، فالدعوة شأنها عظيم؛ فهي وظيفة الرسل جميعا ومهمتهم، وكفى الدعوة شرفاً ومترلة عالية أن تكون وظيفة الرسل الكرام وأتباعهم إلى يوم القيامة، وقد كان للعلماء الربانين أكبر الأثر في العمل على بث العقيدة الصحيحة، ونشر الوعي السليم في المجتمعات الإسلامية، فكان حقًّا علينا أن نعرف حقّهم، ونعرف منهجهم في

الدعوة: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ الأنعام: ٩٠، والشيخ محمد رشيد رضا – صاحب تفسير المنار – رحمه الله تعالى من العلماء البارزين، وله جهود عظيمة في الدعوة إلى الله ونشر العلم، ويبرز في التحذير من البدع والدعوة إلى الالتزام بالكتاب والسنة، والردود المفحمة للفرق والمذاهب الضالة، والدعوة إلى مكارم الأخلاق، ولا يخفى على ذي لب ما لمجلة المنار التي أسسها من الأثر البارز في الدعوة إلى الله في عصره في جميع أنحاء العالم، وقد كان له دور كبير في إصلاح المجتمع الإسلامي، وفي الدعوة إلى إصلاح المرأة المسلمة والدفاع عنها، والمتتبع لحياة الشيخ رحمه الله يجدها حافلة بالأحداث الدعوية التي يستفيد الداعية منها أيما استفادة علمياً وعملياً.

وكان موضوع رسالتي:

((جهود الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في الدعوة إلى الله تعالى))

في مرحلة الماجستير ولله الحمد.

أهداف البحث:

إظهار أثر أحد علماء الدعوة السلفية في خدمة الدعوة إلى الله .

إبراز الجوانب الدعوية للشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله.

إبراز دور الشيخ في خدمة الدعوة الى الله .

الاستفادة من الجهود الدعوية للشيخ في المجال الدعوي.

أسباب اختيار البحث:

مكانة الشيخ العلمية وجهوده في الدعوة؛ مما يحتّم على الباحثين إبرازها .

يعدّ الشيخ رحمه الله من أنصار مذهب السلف الصالح المبني على الكتاب والسنه.

اهتمامه بنشر العقيدة الصحيحة والدعوة إلى الله على بصيرة .

رغبتي في دراسة جهود الشيخ في الدعوة إلى الله .

ثناء العلماء عليه رحمه الله .

كان من أبرز الدعاة إلى الله تعالى في عصره.

معاصرته لعدد كبير من أصناف المدعوين واختلاطه بهم.

الدراسات السابقة:

لم أجد رسالة علمية تكلّمت عن جهود الشيخ محمد رشيد رضا في مجال الدعوة إلى الله، حيث كانت الرسائل في التفسير والحديث والعقيدة والتربية والتاريخ وغير ذلك من العلوم عدا الدعوة إلى الله تعالى، وهذه الرسائل هي :

- مفهوم السنن الإلهية في الفكر الإسلامي السيد محمد رشيد رضا نموذجاً(رسالة ماجستير) حازم زكريا محيي الدين،كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ه، مطبوع.
- محمد رشيد رضا وفكره الاجتماعي (رسالة ماجستير) زين عجمي البراهيم .

- البحث الدلالي عند محمد رشيد رضا في تفسير المنار (رسالة ماجستير) فوزية جميل عبد الكريم.
- منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة(رسالة ماجستير) تامر محمد محمود متولي، قسم العقيدة،كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٢٠هـ.
- رشيد رضا عصره وحياته وجهوده الأدبية واللغوية(سالة دكتوراه) أحمد الشرباصي،كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر، ١٩٦٧م.
- محمد رشيد رضا في تفسير المنار وموقفه من حركة التجديد الديني (رسالة دكتوراه) إسماعيل محمد إسماعيل باشا، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٨م.
- موقف الشيخ محمد رشيد رضا من القضايا الكلامية (رسالة ماجستير) خليفة عبد الرؤوف باشا، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٩م.
- الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا (رسالة دكتوراه) الباحثة: منوبة برهاني، قسم الفقه، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج الأخضر، الجزائر،١٤٢٧هـ، مطبوع.
- محمد رشيد وجهوده في خدمة السنة (رسالة دكتوراه) يوسف عبد المقصود إبراهيم، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ١٤١٣هـ، مطبوع.
- رشيد رضا المفسر (رسالة دكتوراه) حسيب السيد السامرائي، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، ١٩٧٧م.

- الفكر التربوي عند محمد رشيد رضا (رسالة ماجستير) عبد الإله عبيد السواط،كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤١٣ه.
- محمد رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رسالة ماجستير) محمد بن عبد الله السلمان، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مطبوع.
- الإصلاح في تفسير المنار(رسالة ماجستير)حسام عبد الرّحمن جزماتي، كلية الإمام الوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.
- الجوانب الحضارية في تفسير المنار (رسالة ماجستير) صالح قاسم الخمري .
- محمد رشيد رضا ودوره في الحياة الفكرية والسياسية (رسالة دكتوراه) أحمد فهد الشوابكة،قسم التاريخ،كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٤٠٩ه، مطبوع.
- الشيخ محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي (بحث تكميلي لمرحلة الماجستير) عبدالله رجاء العصيمي، قسم الدعوة والاحتساب ، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٧هـ، غير مطبوع.
- جهود الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله – في الرد على الفرق (رسالة ماجستير) ياسر عاتق الردادي، قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٣١ه ، غير مطبوع.
- جهود الشيخ محمد رشيد رضا في الرد على النصارى (رسالة ماجستير) عبد الرحمن غالب عواجي، قسم العقيدة ، كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير مطبوع.

- اختيارات الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله – في النوازل العصرية جمعاً ودراسة (رسالة دكتوراه) عبد الرحمن غرمان العمري، قسم الفقه، كلية الشريعة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٣٣هـ، غير مطبوع.

وأما دراستي فأفصّل فيها جهود الشيخ في الدعوة الى الله، من حيث أصول دعوته، ومنهجه في الدعوة، والوسائل والأساليب التي سلكها في دعوته، ومجالات دعوته، كما هو مفصّل في الخطة، والله ولي التوفيق.

تساؤلات البحث:

من هو الشيخ محمد رشيد رضا، وكيف كانت نشأته ؟

كيف كانت نشأته العلمية ؟

كيف كان عصره الذي عاش فيه؟

ما أصول الشيخ في الدعوة إلى الله ؟

ما أساليب دعوته ؟

ما وسائل دعوته ؟

ما جهوده في دعوة الطوائف المنحرفة إلى العقيدة الصحيحة، والرد عليهم ؟

ما أهم معالم دعوته ؟

ما أهم مجالات دعوته ؟

خطة البحث:

قسّمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وستة فصول، وخاتمة وفهارس فنية على النحو التالي :

المقدمة : وفيها الافتتاحية، والتعريف بالموضوع وأهميته، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهج البحث.

التمهيد : حياة الشيخ محمد رشيد رضا، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : حياته الشخصية وفيه، ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : اسمه ولقبه وكنيته ونشأته.

المطلب الثاني : مولده وأسرته.

المطلب الثالث: وفاته.

المبحث الثاني : نشأته العلمية، وفيه أربعة مطالب:

المبحث السادس : دعاة التغريب.

الفصل السادس : مجالات دعوة الشيخ محمد رشيد رضا، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : الدعوة إلى العقيدة الصحيحة وتحقيق الإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني: الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مجالات الحياة.

المبحث الثالث : الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الحميدة.

المبحث الرابع : الدعوة إلى إصلاح المرأة .

الخاتمة: وفيها ذكر الخلاصة وأهم نتائج البحث.

الفهارس وتتضمن :

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام.

قائمة بالمصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

منهج البحث:

كان منهجي في البحث قائماً على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال الجمع المتأني والدقيق للمادة العلمية، لاستنباط ما يتصل بموضوع الرسالة ودراسته، وإبرازه، حيث جاعلاً جلّ عنايتي بمؤلفات الشيخ وأعظمها تفسيره ومجلته، لأنَّ جلّ مؤلفاته ورسائله فيها، وكذلك الدراسات عن شخصية الشيخ محمد رشيد رضا ـــــ رحمه الله ـــــ التي استطعت الاطلاع عليها ولها علاقة بالموضوع، كما سأقوم باتباع الخطوات المنهجية في كتابة الرسالة ومنها :

عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، وأرقامها في الهامش .

تخريج الأحاديث، مع بيان الجزء والصفحة، فالكتاب والباب، وإذا لم يكن الحديث في الصحيحين أو أحدهما فإني أحاول ذكر درجته معتمداً على الكتب التي تعنى بذلك .

عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع ذات الصلة، مع بيان اسم الكتاب والمؤلف .

عدم التشعب والإسهاب الممل، والتركيز على ما يخدم البحث قدر الإمكان .

قمت بترجمة الأعلام غير المشهورين والذين يرد ذكرهم في صلب البحث.

وبوضع علامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى الضبط.

التمهيد

حياة الشيخ محمد رشيد رضا

المبحث الأول: حياته الشخصية.

المبحث الثاني : نشأته العلمية.

المبحث الثالث : العصر الذي عاش فيه.

المبحث الأول

حياته الشخصية

المطلب الأول: اسمه ولقبه وكنيته ونشأته.

المطلب الثاني : مولده وأسرته .

المطلب الثالث: وفاته.

المطلب الأول

اسمه ولقبه وكنيته ونشأته

محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، ومن علماء التفسير والحديث والأدب والتاريخ، ونسبه يرجع إلى السادة الأشراف كما حكاه هو عن نفسه. [١]

والشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله - قد أطلق عليه معاصروه ألقابا كثيرة تدل في مجملها على سعة العلم والاطلاع، وقوة الحجة، وحسن العبارة، وكان من أهمها:

السيد، وهو يطلق على السادة الأشراف المنتسبين إلى بيت الرسول ﷺ.

فولتير المسلمين، وقد أطلق هذا اللقب عليه صديقه الشيخ عبد القادر المغربي، وفولتير مفكر فرنسي، غلبت عليه الفلسفة، والشعر، والإنشاء، وهو المؤسس الأعظم للثورة الفرنسية. [٢]

صاحب المنار نسبة إلى مجلة المنار، حيث لا يذكر محمد رشيد رضا إلا وتذكر مجلة المنار، وكذلك العكس، وهو أشهرها.

صاحب تفسير المنار، نسبة إلى تفسير المنار.

وكان الشيخ يكنى بأبي محمد شفيع، وهو اسم أكبر أبنائه الذكور، وهو اسم

(١) انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/١٢٦، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

(٢) انظر: رشيد صاحب المنار، الشرباصي، ص٧٠.

مركب، وكذلك كان يكنى أحيانا بأبي عبد الله نسبة إلى أحد أبنائه [١] ، وقد نشأ بين والديه، وبدأ حياته متديّناً، كثير العبادة، شديد الحياء، بعيداً عن الفحش، فكان في صغره ميّالاً إلى العزلة والتعبد، وطلب العلم، حاد الذهن، اصطبغ بصبغ التعبد على طرق أهل التصوف، كان يلتزم المسجد، ويصلى معظم ليله، وكان مهتماً بالدعوة إلى الله منذ صغره رحمه الله، وكان حريصاً على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بالحكمة والمجادلة والبيان، حتى مع أقرانه ومشايخه. وفي سطور حياته الكثير من ذلك، سواء في نشأته في الشام في قريته، أم في مصر حين انتقاله إليها رحمه الله. فيقول مختصراً هذا كله: (نشأت في حجر العبادة، فألفها وجداني، ونشطت فيها أعضائي من الصغر، فخفّت عليَّ في الكبر، كنت في سن المراهقة أذهب إلى المسجد في السحر، ولا أعود إلى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس). [٢]

(١) انظر: السنة والشيعة، رشيد رضا، ص١٢٦. ومجلة المنار، رشيد رضا، ١١/٩١١.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٣/ ٣٥٢.

المطلب الثاني

مولده وأسرته

ولد الشيخ في قرية القلمون[(١)] في ٢٧ جمادى الأول ١٢٨٢هـ [(٢)] ، واشتهر بيت آل رضا بهذا النسب القلموني، والتدين والدعوة، فيقول الشيخ محمد رشيد رضا : (فأهل بيتنا ممتازون فيهم بأنهم أهل العلم والإرشاد والرياسة، ويلقبون بالمشايخ؛ للتمييز، وجدي الثالث هو الذي بنى لهم المسجد)[(٣)]، وكان إحياء هذا المسجد سبباً في إقامة الشعائر فيه من إمامة، وخطابة، وتدريس، والده السيد علي رضا، آلت إليه رئاسة هذا البيت في القلمون، مع الإمامة توفي -رحمه الله- في رجب ١٣٢٣ هـ[(٤)]، والدته السيدة فاطمة جُبْلُصْ، توفيت في مصر في ربيع الآخر ١٣٥٠هـ يقول عنها الشيخ: (تعتبر والدتي من أحسن الناس فطرة، وأكرمهن أخلاقاً، وأوفاهن لزوج، وأحنهن على ولد). [(٥)]

تزوج الشيخ ثلاث مرات، وله من الأبناء خمسة؛ ثلاثة ذكور، وبنتان.

---

(١) هي قرية تسمي القلمون على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان تبعد عن طرابلس الشام زهاء ثلاثة أميال جنوبا. (انظر: المنار والأزهر، رشيد رضا، ص٤٨).

(٢) انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/ ١٢٦. ورشيد رضا الإمام المجاهد، ابراهيم العدوي، ص١٩.

(٣) المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٤٩.

(٤) مجلة المنار، ٥٥٢/٨. والمنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٤٩.

(٥) المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٤٩.

المطلب الثالث

وفـــــاته

توفي الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله– وهو في طريقه إلى القاهرة بعد عودته من وداع الملك سعود بن عبد العزيز –رحمه الله– [١] حين كان وليا للعهد في ميناء السويس، لحضور المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة، بعد ظهر الخميس يوم ٢٣ جمادى الأولى ١٣٥٤هـــ وقد دفن في مقبرة المجاورين، بجوار الشيخ محمد عبده رحمهم الله جميعاً. [٢]

(١) الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرّحمن الفيصل آل سعود من ملوك الدولة السعودية، ولد في الكويت ونشأ في الرياض وقرأ على بعض ومشايخها وقام برحلات إلى الخارج وقاد المعارك في حروب أبيه، وتولى العرش السعودي ١٣٧٣ هـــ-١٩٥٣م فور وفاة أبيه، وبعهد منه، وفي عام ١٣٧٧هـــ - ١٩٥٨م إلى الترول لأخيه وولي عهده الملك فيصل عن جميع سلطاته، صلى عليه أخوه الملك فيصل بمكة وحملته الطائرة إلى مدافن الأسرة في الرياض. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٣/٩٠).

(٢) انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/ ١٢٦. ومجلة المنار، رشيد رضا، ٣٥/١٥٢ و١٥٨ و٢١٥.

المبحث الثاني

نشأته العلمية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : طلبه للعلم .

المطلب الثاني : شيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الرابع : مؤلفاته.

المطلب الأول

طلبه للعلم

عند الكلام عن طلب الشيخ للعلم لابدّ أن نتكلم عن فترة طويلة، هي حياته كاملة؛ التي كانت علم وتعلم، أبرزها في طلبه للعلم .

وكان – رحمه الله – اكتسب كثيراً من معارفه وعلومه بقراءاته الشخصية، وجهوده الذاتية، مما يظهر جلياً في نتاجه العلمي، ويعتبر من العلماء البارزين، فقد بدأ بطلب العلم في قريته، فقرأ القرآن، وحفظه، وتعلم الخط ومبادئ الحساب [١] ، وأول كتاب تلقاه عن شيوخه هو كتاب الأربعين النووية[٢] عن الشيخ محمود نشابه، والتحق بعد ذلك بالمدرسة الرشيدية في طرابلس الشام، وهي مدرسة ابتدائية تابعة للدولة، يدرس فيها الصرف والنحو ومبادئ الجغرافية والعقائد والعبادات واللغة التركية واللغة العربية، ولكن التدريس فيها باللغة التركية، حيث لم يمكث فيها أكثر من سنة واحدة. [٣]

رحلته إلى مصر:

لقد ارتحل الشيخ من بلده القلمون ببلاد الشام إلى مصر، حيث كانت هي منطلقه إلى الدعوة الحقيقية والإبداع، وبالتتبع يتبين لنا أن هذه الهجرة كانت لسببين على الأرجح وهما: الأول: الحالة السياسية لبلده وما تعرض له من الإيذاء، فيقول : (إنني لم أكن استطع وأنا في وطني الأول أن أقول الحق، ولا أن اكتبه، ولا أن أخدم الملة و الأمة

---

(١) انظر: المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٣٩. ورشيد رضا صاحب المنار، الشرباصي، ص١٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٩.

بما خدمتها به وأنا في مصر، وأنا اعتقد أن هذه الخدمة فرض علي، وقد آذتني الحكومة الحميدية في أهلي ومالي وأنا بعيد عن سلطتها، ولو قدرت عليَّ لما اكتفت بمنعي من هذه الخدمة، بل لنكلت بي تنكيلا)(١).

والثاني: محبته ورغبته في الالتقاء بالشيخ محمد عبده -رحمه الله- في مصر؛ لأنه يرى فيه المحرّك لأي شخص يلتقي به إلى الإصلاح لهذه الأمة، وكان وصول الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- إلى الإسكندرية في ٨ رجب ١٣١٥ هـ حيث حل ضيفا على الشيخ محمد عبده في القاهرة بعد سياحة استمرت أسبوعين في مصر .

ويقول كذلك متحدثاً عن هذه الرحلة : (وكان أعظم ما أرجوه من الاستفادة في مصر الوقوف على ما استفادة الشيخ محمد عبده من الحكمة والخبرة) (٢) ، وكانت هذه الرحلة هي بداية الانطلاقة لهذا الداعية المفكر والمصلح، فمنها تبلورت شخصيته الدعوية وفكره الإصلاحي الإسلامي، حيث كان منبراً لجميع المسلمين في أنحاء الأرض، فإنه بمجرد وصوله لم يلبث إلا شهرا واحدا حتى قام بتأسيس مجلة المنار والتي بلغ عمرها ٣٦ سنه تقريبا، وصدر العدد الأول منها في الثاني والعشرين من شهر شوال من عام ١٣١٥هـ أي بعد ثلاثة أشهر من وصوله لمصر، واستمرت مرافقته لشيخه محمد عبده -رحمه الله- ثمان سنوات تقريباً أي الى عام ١٣٢٣هـ. (٣)

(١) انظر: تفسير المنار، رشيد رضا، ٦/٤.

(٢) المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٩١.

(٣) تاريخ الأستاذ الأمام، رشيد رضا، ١/ ٩٩٨، مطبعة المنار، ط٢، ١٤٢٧هـ.

المطلب الثاني

شيوخه وتلاميذه

كان لشيوخه – رحمه الله – الأثر البارز عليه في نشأته العلمية، حيث كان تعلمه في تلك الفترة في مجمله مبنياً على طلب العلم على العلماء في بلده.

وكان من أبرز شيوخه :

الشيخ حسين الجسر . (١)

الشيخ محمود نشابه . (١)

---

(١) حسين بن محمد بن مصطفى الجسر عالم بالفقه والأدب، من بيت علم في طرابلس الشام. له نظم كثير ولد وتعلم في طرابلس، ورحل إلى مصر، فدخل الأزهر سنة ١٢٧٩ هـ فاستمر إلى ١٢٨٤ هـ، وعاد إلى طرابلس، فكان رجلها في عصره علما ووجاهة، انشأ المدرسة الوطنية وقد شهدت المدرسة إقبالاً شديداً لتميزها عن سائر المدارس التي كانت قائمة آنذاك، فكانت المدرسة الإسلامية الأولى في طرابلس التي كانت تدرس العلوم الحديثة، وكان من تلامذتها رشيد رضا وعبد القادر المغربي غير أن المدرسة لم تستطع الاستمرار فأغلقت ابوابها وبعد إغلاق المدرسة الوطنية انتقل إلى بيروت ليدير المدرسة السلطانية فيها، اتصل بالسلطان عبد الحميد الثاني فاستدعاه للإقامة في استانبول فلبى الدعوة وأقام فيها تسعة أشهر، فاستحصل على رخصة بإصدار جريدة طرابلس لأحد معارفه من أبناء المدينة محمد كامل البحيري، وكان ذلك في العام ١٣١١هـ فلما عاد إلى طرابلس أمضى أغلب سنوات حياته في كتابة افتتاحيات الجريدة وفي المطالعة والتأليف والعبادة، وقد جمعت افتتاحياته في عشر مجلدات باسم رياض طرابلس توفي سنة ١٣٢٧هـ. من مؤلفاته: الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الاسلامية وحقيقة الشريعة المحمدية، ونزهة الفكر في مناقب مولانا الشيخ محمد الجسر، العلوم الحكمية في نظر الشريعة الإسلامية. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٢/٢٥٨. والمنار والأزهر، رشيد رضا، ١٤١ – ١٤٥).

الشيخ عبد الغني الرافعي. [2]

الشيخ محمد القاوقجي أبو المحاسن. [3]

---

(١) محمود بن محمد بن عبد الدائم نشابة، ولد ونشأ في طرابلس وتعلم فيها ثم غادرها إلى الأزهر في مصر وجاور فيه إحدى عشرة سنة عاد بعدها إلى طرابلس سنة ١٢٦٦هـ بعد أن نال إجازات مشايخه، توفي سنة١٣٠٨هـ، ترك الشيخ عدداً من المؤلفات منها: حاشية على متن البيقونية في مصطلح الحديث النبوي، مطبوعة، والدر الثمين في أحكام تجويد الكتاب المبين. (انظر: الأعلام، للزركلي، ١٨٥/٧. ومعجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، ١٩٧/٢، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي).

(٢) ولد الشيخ عبد الغني بن أحمد بن عبد القادر الرافعي في طرابلس وتلقى العلم على أشياخها ثم سافر إلى دمشق وأخذ عن علمائها وبعدها سافر إلى مكة لأداء فريضة الحج، وهناك أخذ العلم عن الشيخ محمد الكتبي مفتي مكة وبعودته إلى طرابلس سلك الطريقة الخلوتية على يد أستاذه الشيخ محمد رشيد الميقاتي، وانقطع للتدريس في الجامع الكبير المنصوري حيث تخرج عليه كثيرون وتولى الشيخ عبد الغني الرافعي الإفتاء في مدينة طرابلس لمدة ثلاث سنوات، لكنه ترك الإفتاء لوشاية أوقع الوشاة بها بينه وبين متصرف طرابلس، وسافر إلى مصر فاتصل بعلمائها ومن هنا توجه إلى استانبول حيث عيّن رئيساً لمحكمة الاستئناف في ولاية صنعاء وفي صنعاء كان يعقد مجالس العلم وعندما عاد إلى طرابلس راح يقيم في بهو داره حلقات الدروس العلمية، غلب عليه التصوف في أواخر أيامه فانقطع للعبادة وظل على هذه الحال ثم انتقل الى مكة المكرمة أن وافاه الأجل سنة ١٣٠٧هـ، وذكر الشيخ محمد رشيد رضا عن أثر الشيخ عبد الغني أثناء إقامته باليمن ان من أعجب ما سمعناه منه عن أهل اليمن، أنه لم يتفق له، في مدة توليه القضاء فيهم، أن سمع من أحد شهادة زور، أو كذباً على الحاكم أو الخصوم، بل كانوا يقولون له، أتحكم بالشرع يا عبد الغني، فيقول: نعم، فيصدقونه في شرح منازعاتهم. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٣٢/٤-٣٣. ومجلة المنار، رشيد رضا، ١٥٣/٢١).

(٣) هو محمد بن خليل بن إبراهيم الشهير بأبي المحاسن القاوقجي-رحمه الله- أما لقب القاوقجي فأتى من أحد اجداده الذي صنع قاووقاً أي طربوشاً أهداه إلى السلطان العثماني، ولد سنة١٢٢٤هـ، وهو عالم بالحديث، فقيه حنفي من أهل طرابلس الشام ولد وتلقى مبادئ العلوم

=

الشيخ محمد عبده. [(١)]

تلاميذه:

كان للشيخ تلاميذ كثيرون درسوا عليه في الشام وفي مصر غير أولئك الذين درسوا عليه في مجلة المنار وكان من أبرز هؤلاء التلاميذ:

الشيخ الحاج أمين الحسيني. [(٢)]

فيها، ورحل إلى مصر سنة ١٢٣٩هـ فتفقه في الأزهر وأقام فيها ٢٧ سنة، وعاد إلى بلده، ومات حاجا بمكة، كان مسند بلاد الشام في عصره، قال صاحب فهرس الفهارس: وعلى أسانيده اليوم المدار في غالب بلاد مصر والشام والحجاز، له نحو ١٠٠ كتاب، ولد عام ١٢٢٤هـ وتوفي سنة١٣٠٥هـ. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٦/ ١١٨. ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ٢٨٧/٩).

(١) محمد عبده بن حسن خير الله-رحمه الله- من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، عمل في التعليم، وكتب في الصحف ولاسيما جريدة الوقائع المصرية وقد تولى تحريرها وأجاد اللغة الفرنسية بعد الأربعين ولما احتل الانكليز مصر ناوأهم، فسجن ثلاثة أشهر للتحقيق، ونفي إلى بلاد الشام، سنة ١٢٩٩هـ وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة، العروة الوثقى، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦هـ، وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية سنة ١٣١٧هـ، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة، وقد كتب الشيخ محمد رشيد رضا عنه تفسير المنار اثني عشر مجلداً وعرض عليه أن يبدأ في إلقاء درس التفسير، والذي بدأ في غره المحرم سنة ١٣١٧ هـ وانتهى بوفاته في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ه وطبعه في مطبعة المنار. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٢٥٢/٦. ومجلة المنار، ٣٥٥/٨-٣٥٧ و٣٧٥-٤١٦و٤٣٤-٤٣٥ و٤٥٢-٤٧٨ و٤٨٧-٤٩٥ و٥٢١-٥٥٢ و٥٩٧-٦٠٠و٨٨١-٩٥١. نشرها أولاً في المنار، ثم أفردها بطبعة مستقلة مرتبة وزاد عليها. وتاريخ الأستاذ الإمام، رشيد رضا، ٧٦٥/١).

(٢) محمد أمين أو الحاج أمين بن محمد طاهر بن مصطفى الحسيني-رحمه الله- زعيم فلسطين السياسي في عصره. ولد وتعلم بالقدس، وأقام سنتين بين الجامع الأزهر ودار الدعوة والإرشاد التي =

الشيخ يوسف ياسين. [(١)]

الشيخ أحمد شاكر. [(٢)]

أنشأها محمد رشيد رضا بمصر، وتخرج ضابطا احتياطيا في اسطنبول عام ١٩١٦م، وعاد إلى القدس بعد الحرب، ونسبت إليه اضطرابات في بيسان عام١٩٢٠م فطلبه الانكليز ففر إلى دمشق وما لبث أن عاد إلى بلده، وتوفي مفتي فلسطين فانتخب بدلا منه، لقب مفتي فلسطين الأكبر وتألف المجلس الإسلامي الأعلى الذي دعا له الملك عبد العزيز آل سعود لعقد مؤتمر إسلامي عالمي في مكة المكرمة، للبحث في شؤون المسلمين وبدأ المؤتمر جلساته يوم ٢٠ذو القعدة ١٣٤٤هـ فتولى رئاسته وكان أول من نبه إلى خطر تكاثر اليهود في فلسطين، بعد وعد بلفور عام ١٩١٧م وجاء بلفور مع المندوب السامي البريطاني عام ١٩٢٥م يريدان زيارة الحرم، فمنع دخولهما، و لم تقم حركة وطنية في فلسطين أو من أجلها إلا كان هو مدبرها في الخفاء أوفي العلن. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/٤٥. من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، ص٧٨٢-٨٠، دار البشير، ط٧، ١٤٢٩هـ.)

(١) يوسف بن محمد ياسين من كبار العاملين في خدمة الملك عبد العزيز آل سعود، أيام نشوء المملكة العربية السعودية، ولد ونشأ في اللاذقية بسورية، وحفظ القرآن، ومكث عامين في مدرسة الشيخ محمد رشيد رضا مدرسة الدعوة والإرشاد في القاهرة قبل الحرب العالمية الأولى. وفي هذه الحرب دخل المدرسة الصلاحية في القدس، وبعد احتلال الفرنسيين سورية قصد مكة لاجئا، أصدر جريدة أم القرى الرسمية، ثم عينه الملك عبد العزيز رئيسا للشعبة السياسية في الديوان الملكي، وأضيف إليه منصب وزير دولة فتولى إدارة وزارة الخارجية بالنيابة، واستمر إلى أن توفي بمدينة الدمام ودفن في الرياض. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٨/٢٥٣. ومشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرّحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ٤٩٤).

(٢) أحمد بن محمد شاكر بن أحمد ابن عبد القادر ولد بعد فجر يوم الجمعة في التاسع والعشرين من شهر جمادي الأخرة سنة ١٣٠٩هـ الموافق ١٨٩٢م بمترل والده بالقاهرة، ثم ارتحل مع والده إلى السودان حيث كان قد عُينَ قاضياً فيها، درس الشيخ أحمد شاكر في السودان ثم بعد رجوعه إلى مصر درس بالإسكندرية، ثم التحق بالأزهر الذي صار والده وكيلاً لمشيخته سنة ١٣٢٨هـ، وانتقال الشيخ إلى الأزهر كان بداية عهد جديد من حياته، فقد استطاع أن يتصل بكثير من العلماء

=

الشيخ محمد عبد الرازق حمزة من أئمة الحرم. [(١)]

الشيخ عبد الظاهر أبو السمح من أئمة الحرم. [(٢)]

وطلبة العلم الموجودين في القاهرة ثم بدأ يتنقل في مكتبات القاهرة ويستفيد من العلماء ويكثر من المطالعة وقد حاز على الشهادة العالمية من الأزهر سنة ١٩١٧م وعمل في التدريس لمدة أربعة أشهر فقط، ثم عمل في سلك القضاء حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥١م و لم ينقطع خلال فترة اشتغاله بالقضاء عن المطالعة والتصنيف، بل إنه أثرى المكتبة الإسلامية بأبحاثه القيمة وتحقيقه لأمهات الكتب المفيدة مثل جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، وسنن الترمذي، وكانت وفاته في السادس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٧هـ الموافق ١٩٥٨م. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٢٥٣/١. ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ٣٦٨/١٣).

(١) محمد بن عبد الرزاق حمزة مدرس في الحرم المكي ولد بمصر سنة ١٣٠٨هـ، حفظ القرآن وهو ابن الرابعة عشر، درس بالأزهر، ثم درس في مدرسة الدعوة والارشاد عند الشيخ محمد رشيد رضا، وسافر إلى مكة ١٣٤٤هـ فتولى خطابة الحرم النبوي وإمامته، ونقل بعد سنتين الى الحرم المكي خطيباً واماماً مساعداً للشيخ عبد الظاهر أبو السمح ومدرساً للحديث والتفسير، انتدب للتدريس في المعهد العلمي السعودي بالرياض أول تأسيسه، ودرس بدار الحديث بمكة المكرمة بعد تأسيسها ثم مديراً لها، واصيب بمرض اقعدة عن العمل لمدة عشر سنوات قبل وفاته، توفي بمكة المكرمة سنة ١٣٩٢هـ، وصنف كتبا مطبوعة منها كتاب الصلاة وظلمات أبي ريه والشواهد والنصوص والمقابلة بين الهدى الضلال حقق بعض الكتب وعلق عليها مثل : الباعث الحثيث شرح علوم الحديث للحافظ ابن حجر، وموارد الضمان إلى زوائد ابن حبان (انظر: الاعلام، الزركلي، ٦/ ٢٠٣. والشيخ العلامة المحدث محمد عبد الرزاق حمزة، محمد بن سيد محمد أحمد، ط١، مكتبة السوادي، مكة المكرمة).

(٢) عبد الظاهر أو محمد عبد الظاهر ابن محمد، نور الدين التلييني، أبو السمح خطيب الحرم المكي وإمامه، من وعاظ الفقهاء الأزهريين، من بلدة التلين في الشرقية بمصر، تفقه في الأزهر، استقدمه الملك عبد العزيز آل سعود إلى مكة وولاه الخطابة والإمامة بالحرم المكي وإدارة دار الحديث وتوفي بمستشفى في جيزة القاهرة. (انظر: الأعلام، الزركلي، ١١/٤. والسيد رشيد رضا، شكيب ارسلان، ٧٦٢).

الشيخ محمد تقي الدين الهلالي. [(١)]

الشيخ محمد حامد الفقي. [(٢)]

الشيخ حسن البنا. [(٣)]

---

(١) هو العلامة المحدث و اللغوي و الشاعر والرحالة المغربي الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، كنيته أبو شكيب، ولد سنة ١٣١١ هـ، قرأ القرآن على والده و حفظه و هو بن اثنتي عشر سنة ثم جوده على الشيخ المقرئ أحمد بن صالح ثم لازم الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقيطي فبدأ بحفظ مختصر خليل و قرأ عليه علوم اللغة العربية و الفقه المالكي إلى أن أصبح الشيخ ينيبه عنه في غيابه، و بعد وفاة شيخه توجه لطلب العلم على علماء وجدة و فاس آنذاك إلى أن حصل على شهادة من جامع القرويين، يجيد الكثير من اللغات، وله رحلات كثيرة في طلب العلم، انتقل الى المملكة العربية السعودية وعين مراقباً للتدريس في المسجد النبوي وبقي بالمدينة سنتين ثم نقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة وأقام بها سنة واحدة، وحصل على شهادة الدكتوراه ثم تلقى دعوة من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك للعمل أستاذاً بالجامعة منتدباً من المغرب، وبقي يعمل بها إلى سنة ١٣٩٤ه حيث ترك الجامعة و عاد إلى مدينة مكناس بالمغرب للتفرغ للدعوة إلى الله، فصار يلقي الدروس بالمساجد و يجول أنحاء المغرب ينشر منهج السلف الصالح، توفي في يوم الإثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ، وذلك بمنزله في مدينة الدار البيضاء بالمغرب يجيد الكثير من اللغات. (انظر: وعلماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، ١/ ١٩٣–٢٢٠. وجهود الشيخ تقي الدين الهلالي في الدعوة إلى الله، خالد الزهراني، ص٤٠، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤٢٨هـ).

(٢) الشيخ محمد حامد الفقي ولد سنة ١٣١٠هـ في مصر، حفظ القرآن وهو ابن اثنا عشر عامًا وبدأ دراسته بالأزهر في عام ١٣٢٢هـ ــ ١٩٠٤م، قام بإنشاء مجلة الهدي النبوي وصدر العدد الأول منها في عام ١٩٣٧هـ، ثم قام بإنشاء جماعة أنصار السنة المحمدية في عام ١٣٤٥هـ، ومن جهوده كذلك قيامه بتحقيق العديد من الكتب القيمة وتوفي فجر الجمعة ٧ رجب ١٣٧٨هـ. (انظر: معجم المؤلفين، عمر كحالة، ٩/١٧٢-١٧٣).

(٣) حسن أحمد عبد الرّحمن محمد البنا الساعاتي ولد في عام ١٣٢٤هـ، مؤسس حركة الإخوان المسلمين، ومرشدها الأول، نشأ في بيت علم و صلاح، و تلقى علومه الأولية في مدرسة الرشاد

=

الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي الهندي. (١)

الشيخ محمد بسيوني عمران من جاوة باندونيسيا. (٢)

محمد فؤاد عبد الباقي(٣)

الدينية ثم بالمدرسة الإعدادي بالمحمودية، انتقل إلى دار المعلمين، أتم حفظ القران الكريم قبل إتمام الربعة عشرة من عمره، وانتقل إلى القاهرة حيث انتسب إلى دار العلوم، وهناك تفتحت أمام حسن البنا آفاق جديدة واسعة، بدأ ينتقل مع عدد من زملائه داعيا إلى الله في المجالس والمقاهي والمنتديات، عين مدرساً بمدينة الإسماعيلية على قناة السويس، أسس جماعة الإخوان المسلمين بمصر وكان إماما لها، له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم مذكرات الدعوة والداعية، بدأ اهتمامه في سن مبكر بالعمل الإسلامي المنظم بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الدعوة إلى الله، توفي في القاهرة عام ١٣٦٨ هـ. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٢٤٩/١. ومشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرّحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ٥١٤-٥١٦).

(١) الشيخ عبد الرزاق المليح آبادي من بلاد الهند صاحب المؤلفات والصحافي المشهور في الهند، محرر جريدة بيغام الهندية، ومؤسس جريدة هند الجديد في كلكتة، أحد تلاميذ مدرسة الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ محمد رشيد رضا، ترجم العديد من الكتب من اللغة العربية إلى الأوردية والعكس. (انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٧١٩/٢٢و٣٣/ ٧٥٣و٤٨٠/٣٥).

(٢) محمد بسيوني عمران من جاوة، طلب العلم في مكة المكرمة، ثم سافر الى مصر والتقى بالشيخ محمد رشيد رضا ولازمه ثم انتظم في مدرسة الدعوة والإرشاد بعد إنشائها، ترجم لشيخ محمد رشيد رضا رسالة بعنوان عقيدة الصلب والفداء باللغة الملاوية. (انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٣١/٢٢ و٢٤٨/٣٢ و٤٨٠/٣٥).

(٣) محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد، عالم بتنسيق الأحاديث النبوية ووضع الفهارس لها ولآيات القرآن الكريم، مصري الأبوين، ولد في الثالث من شهر جمادى الأولى ١٢٩٩هـ، ونشأ في القاهرة، ودرس في بعض مدارسها ثم عمل مترجما عن الفرنسية في البنك الزراعي وانقطع إلى التأليف، كان صائم الدهر، قوي العزيمة، ترجم مفتاح كنوز السنة عن الإنكليزية، وتفصيل آيات القرآن الحكيم عن الفرنسية، وصنف تيسير المنفعة بكتاب مفتاح كنوز السنة، والمعجم المفهرس

=

لألفاظ القرآن الكريم، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم في ثلاثة أجزاء، ومعجم غريب القرآن، وفهرس موطأ الإمام مالك وسنن ابن ماجه، ضعف بصره إلى أن كف، قبيل وفاته وتوفي بالقاهرة سنة١٣٨٨ه. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٣٣٣/٦).

المطلب الثالث

مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

كان الشيخ من العلماء البارزين في عصره وقد أفاض الكثير من المسلمين في الثناء عليه وكان من أولئك الشيخ محمد ناصر الدين الألباني حيث يقول: (السيد محمد رشيد رضا ــــ رحمه الله ــــ له فضل كبير على العالم الإسلامي، بصورة عامة، وعلى السلفيين منهم بصورة خاصة، ويعود ذلك إلى كونه من الدعاة النادرين الذين نشروا المنهج السلفي في سائر أنحاء العالم بوساطة مجلته المنار.... فإذا كان من الحق أن يعترف أهل الفضل بالفضل لذوي الفضل، فأجد نفسي بهذه المناسبة الطيبة مسجلاً هذه الكلمة، ليطلع عليها من بلغته، فإنني بفضل الله عز وجل، بما أنا فيه من الاتجاه إلى السلفية أوّلاً، وإلى تمييز الأحاديث الضعيفة والصحيحة ثانياً، يعود الفضل الأول في ذلك إلى السيد رضا رحمه الله عن طريق أعداد مجلته المنار، التي وقفت عليها في أول اشتغالي بطلب العلم). (١)

وذكرت مجلة نور الإسلام : (إن ثورة المرحوم السيد رشيد رضا على البدع لا يوجد لها نظير إلا في أفراد السلف الصالح، فقد صمد لها صمودا أشفق عليه منه حتى الذين يشاطرونه رأيه من العارفين، ولكنهم لم يؤتوا الشجاعة التي أوتيها، فباتوا يتوقعون له الشر المستطير، وقد لقى منه ما لو لقيه سواه لصده عن السبيل، ولكنه ثبت للمعارضين، واستبسل في الكفاح أيما استبسال، حتى استطاع بفضل إخلاصه، وصبره أن

---

(١) حياة الالباني وآثاره وثناء العلماء عليه، محمد بن ابراهيم الشيباني، ١/٤٠٠، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت.

يحدث في الصفوف المتراصة حياله ثغرة فتحها على مناوئيه، وفي أثره جمهور غفير ممن كانوا لا يجرؤون على مواجهتها مجتمعة، فأصبحنا وللسنة الصحيحة أنصاراً مجاهرين، وحيال البدع خصوصا مجاهدين، فلو لم يكن لفقيد العلم والدين السيد رشيد غير هذا الموقف لخلد ذكره في تاريخ المسلمين). [١]

ويتحدث شكيب أرسلان عن تأثير المنار فيقول : (كان له أبلغ التأثير فيما حصل في هذه الأمة من الانتباه و الانتهاض، وصار المنار هو المجلة الشرعية الأولى في العالم الإسلامي، يحتج بها، ويرجع إليها، وأصبح موئل الفتيا في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، وصارت فتاويه في الآفاق، وطبقت في الشرق والغرب، وعد الناس المنار حتى في أوروبا معلمة إسلامية منقطعة النظير). [٢]

ومن أوربا جاءت الرسالة الآتية في تعزية مسلمي يوغسلافيا بوفاة الشيخ محمد رشيد رضا، والتي بعث بها الشيخ رئيس مجلس العلماء المسلمين في سراي بوسنة في يوغسلافيا، وقد بعث بالرسالة إلى الشيخ محب الدين الخطيب، ورجاه أن ينشرها على صفحات مجلته الفتح، قال فيها: (قرع أسماعنا خبر انتقال صديقنا العلامة السيد رشيد رضا إلى رحمة الله إلى الدار الآخرة، فرأينا من الواجب علينا تعزية عائلته الكريمة وأقربائه وأصدقائه، وكان الأولى بنا أن نعزي به أنفسنا وجميع المسلمين في أطراف الأرض؛ لأن الفقيد رحمه الله كان في هذا العصر علماً من أعلام الإسلام، وشمساً من شموس العلم، ومصباحاً من مصابيح هذا الدين الزاهرة، أنار مناره سبل الهدى، وأزاح عن الإسلام بتفسيره شبه

---

(١) مجلة نور الإسلام، ٦/٥١٠، عام ١٣٥٤هـ -١٩٣٥م.

(٢) السيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ٧- ٨، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة.

المبطلين، وفتح بسائر تآليفه ومقالاته النافعة أعين المسلمين فجزاه الله عن الإسلام خير ما جازى مجاهداً عن جهاده). [١]

ويقول الشيخ عبد الرّحمن السعدي رحمه الله[٢] في رسالةٍ للشيخ محمد رشيد رضا: (وأبعث جزيل التحيات ووافر السلام و التشكرات لحضرة الشيخ الفاضل السيد محمد رشيد رضا المحترم، حرسه الله تعالى من جميع الشرور ووفقه وسدده في كل أحواله آمين، أما بعد: السلام عليكم ورحمه الله وبركاته، فالداعي لذلك باقتضاء الحب، ودفعه الود؛ المبني على ما لكم من المآثر الطيبة التي تستحقون بها الشكر من جميع المسلمين، التي من أعظمها تصديكم في مناركم الأعز لنصر الإسلام والمسلمين، ودفع باطل الجاهلين

---

(٣) مجلة الفتح الإسلامية، ١٠/٣١٣، عام١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م.

(١) الشيخ عبد الرّحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي. من نواصر بني تميم، من بني عمرو أحد البطون الكبار من قبيلة بني تميم، ولد في عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ المحرم سنة١٣٠٧هـــ وتوفيت أمه سنة ١٣١٠هـــ وله أربع سنوات، وتوفي والده سنة ١٣١٣هـــ وله سبع سنوات، فبدأ بحفظ القرآن من سن مبكرة، حتى أتقنه وأتمه وحفظه عن ظهر قلب في الحادية عشرة من عمره، وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم وحصل له خير كثير بسببها في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، رشح لقضاء عنيزة عام ١٣٦٠هـــ وامتنع منه تورعا، عين إماما وخطيبا للجامع الكبير بعنيزة في رمضان عام ١٣٦١هـــ، عين مشرفا على المعهد العلمي بعنيزة سنة ١٣٧٣هـــ، أصيب عام ١٣٧١هـــ أي قبل وفاته بخمس سنوات بمرض ضغط الدم، وتصلب الشرايين، توفي يوم الاربعاء ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦ه، له مؤلفات كثيرة منها: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وهو تفسير كامل للقرآن، والإرشاد إلى معرفة الأحكام، و بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (انظر: علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرّحمن البسام ٢/٤٢٢. ومشاهير علماء نجد وغيرهم للشيخ عبد الرّحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ٣٩٢).

والمعاندين، رفع الله قدركم، وأعلا مقامكم، وزادكم في العلم والإيمان ما تستوجبون خير الدنيا والآخرة، وأنعم عليكم بنعمة الظاهرة و الباطنه). (١)

ويقول الشيخ عبد الرّحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ (٢): (كان رشيد رضا رحمه الله سلفياً ظاهراً وباطناً، لا تشوب سلفيته شائبة فلسفية أو أشعرية، على طريقة علماء السلف الصالح، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة، مقتدياً بشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيميّة). (٣)

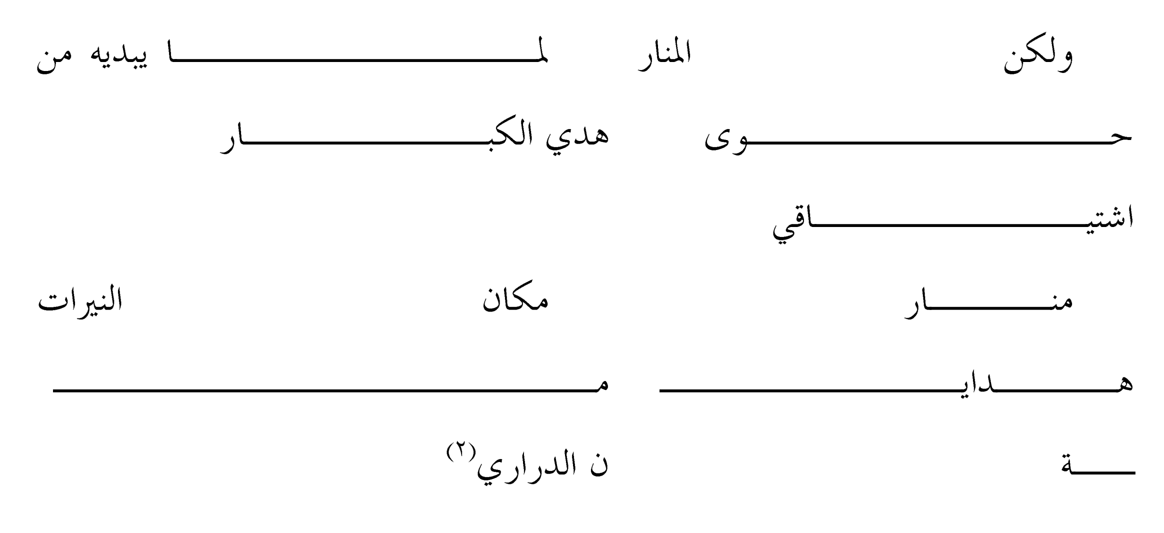
---

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٩ /١٤٣-١٤٧.

(١) هو عبد الرّحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرّحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولد في مدينة الرياض سنة ١٣٣٢هـ، ونشأ بها وقرأ القرآن على مقرئ يدعى عبد الله ابن مفيريج، وبعدما ختم القرآن لازم١ حلق الذكر التي كان يعقدها سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ بمسجد الشيخ بحي دخنة، ثم قرأ على الشيخ محمد ابن عياف مبادئ العلوم، ثم انتقل مع والده إلي مكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ وقرأ على جملة من العلماء الذين كانوا يفدون إلي مكة المكرمة، وقرأ على الشيخ عبد الله بن سليمان المسعري في الكافي في علمي العروض والقوافي وقرأ على الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد، وقرأ على الشيخ محمد بهجت البيطار وكان مع هذا كثير المطالعة، مغرما بالكتب لاسيما كتب شيخ الإسلام ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم، ورسائل أئمة الدعوة. (انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرّحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ص٣٢٠، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط ١، ١٣٩٢هـ).

(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرّحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، ٤٩٠.

ومن القصائد التي قيلت ثناءً عليه قصيدة للشيخ محمد محمود الشنقيطي[1] يقول فيها:



ولكن المنار لمــــــــــــــا يبديه من

حـــــــــــــوى هدي الكبــــــــــــار

اشتيـــــــــــــاقي

منـــــــــار مكان النيرات

هـــــدايـــــــــ مـــــــــــــــ

ـــــة ن الدراري[2]

---

(١) محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزى الشنقيطي علامة عصره في اللغة والادب، شاعر، أموي النسب عرف بابن التلاميذ، ولد في شنقيط، موريتانية، وانتقل إلى المشرق، فأقام بمصر، ورحل إلى مكة فاتصل بأميرها فأكرمه وأحبه لعلمه، وانتدبته حكومة الأستانة للسفر إلى إسبانية والاطلاع على ما فيها من المخطوطات العربية، وإعلامها بما ليس منه في مكتباتها بالأستانة، فقام بذلك، وسافر إلى المدينة، ثم، رحل إلى مصر، فاستقر بالقاهرة إلى أن توفي بها عام١٣٢٢هـ من كتبه، أشهر الكتب العربية بخزائن مكاتب دولة إسبانيا، مخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية تحت رقم: ١٨٦٧٥، والحماسة السنية الكاملة المزية في الرحلة العلمية التركزية الشنقيطية، تحتوي عشر قصائد تضم نحو ألف بيت من الشعر، ضمنها شيئا من أخباره وقصائده، و تصحيح القاموس المحيط، وتصحيح الأغاني، جمع فيه الأخطاء التي وردت في كتاب الاغاني وصححها، (انظر: الاعلام، الزركلي، ٩٠/٧. والوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد الأمين الشنقيطي، ٣٧٤ – ٣٨٦، ط ٤، مكتبة الخانجي، مصر).

(٢) حضه أي حَضه عليه حضاً حَثه، وأحماه عليه. (انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١٦٧/١).

للديـــــــــــــــــــــــن

يعلـــــو

على التقوى يحض[1]بلين قـــــول وصد

المفســــــــــــــــــــدين عن

الضـــــــــرار

يحض على اتباع الشرع نصحًا أولي الألباب من كـــــــأس

وعـــــار

ويحمي حوزة العــلم حمــــــــــــــــــــــاية ضيغم

احتســــــــــــــــــــابًا شـــــــــــــــــــــــب

ـــــــــــليه ضار

يـــــؤيـــــد يسفهه

بالدليـــــــــــــــــــــــــل السـ ـــــــــــــــــــــــــفيـــــ

ــــــــــــل عليم صدق ـــــــــــه أخو الصغار

يدل على ســــــــــــــــــبل

التاركـــــــــــــــــــــــين النـــــــــــــــــــــــجاة من التبار

ــــــين سدى هداهم

وينكر منكرات صرن تباشـــــــــــــــــــــر في

عرفـــــــــــــــــــــــــًا البــــــــــــــــــــــــراز بلا تواري

ــــــــــــا

---

(٣) الدراري هي الكواكِب المضيئة. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤/٢٨٢).

فمنشئه الرشيـــــــد عمين عن الهـــــــــــدى

أحـــــــــــــــــــل دار القرار

قومًا

ولن يرضى رضى أحلـــــــــــــــــــــــــ

أفـــــــــــــعال قوم ــــــــوا قومهـــــــــــــــم

دار البوار

وأنشد في هداه وفي من الأشعار مطرب كل قاري

عـــــــــــــــماهم

إذا ازداد العمون عمى عرفتم هدى الإسلام واضحة المنار [1]

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٤٩/٢.

المطلب الرابع

مؤلفاته

امتاز الشيخ رشيد بقدرة كبيرة على الكتابة، فكان يكتب في السّاعات ما لا يقدر أن يسوده غيره في أسابيع، يقول عنه شكيب أرسلان أمير البيان: إن محصول قلمه لو توزع على عشرة كتاب كبار ونصيب كلٍّ منهم نصيب وافر لم يكن في ذلك أدنى غلو [١].

والمؤلفات التي طبعت ونشرت مستقلة للشيخ رشيد رضا رحمه الله وكانت في أغلبها من رحم مجلته مجلة المنار وهي:

تفسير القرآن الحكيم: الشهير بتفسير المنار.[٢]

ترجمة القرآن.[١]

(١) السيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ٢٥٥ و٢٥٦.

(٢) وصل فيه الشيخ إلى سورة يوسف، ولم يتمه، وطبع في مطبعة المنار مرتين حيث عرض على أستاذه الشيخ محمد عبده على إلقاء دروس التفسير على أن يقوم الشيخ محمد رشيد رضا بصيغتها بأسلوبه حتى وصل إلى الآية ١٢٥ من سورة النساء ثم كان منهجه في التفسير يختلف عن طريقه أستاذة في الجملة حيث بينه بقوله (هذا وإني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله تعالى بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات، أو الجمل اللغوية، والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها) واستمر فيها حتى الآية ١٠١من سورة يوسف وقد أكمل سورة يوسف الشيخ محمد بهجت البيطار. (انظر: تفسير المنار، رشيد رضا، ١/١٦).

تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن.[٢]

تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتيم القرآن. [٣]

تاريخ الأستاذ الإمام، طبع في ثلاثة أجزاء كبيرة، وكان الشيخ ينوي أن يتمها برابع وهو يتحدث عن ترجمة الشيخ محمد عبده. [٤]

خلاصة السيرة المحمدية. [٥]

الخلافة. [٦]

ذكرى المولد النبوي. [٧]

السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة. [٨]

شبهات النصارى وحجج المسلمين. [٩]

---

(١) طبعت في مطبعة المنار سنة١٣٤٤هـ، ١٩٢٥م، وكتبها بمناسبة ظهور ترجمات تركية للنص القرآني.

(٢) طبع في مطبعة المنار ثلاث مرات، الأخيرة سنة ١٣٣٠هـ، ١٩١١م.

(٣) طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٥٢هـ، ١٩٣٤م.

(٤) طبع في مطبعة المنار على فترات متباعدة.

(٥) طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٤٦ه-١٩٢٧م، وهي سيرة الفت للتلاميذ وقررت للتدريس في المدارس الابتدائية المصرية.

(٦) طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٤١هـ، ١٩٢٢م.

(٧) نشرت بكاملها في مجلة المنار، ١٩/٨٠٤-٨٢٥.

(٨) طبع في المنار سنة ١٣٣٥هـ، ١٩١٦م، طبع منه أولاً الجزء الأول في حياة الشيخ رشيد، ثم طبع في جزأين بعد وفاته باثنتي عشرة سنة.

(٩) طبع في المنار سنة ١٣٢٢هـ.

عقيدة الصلب والفداء. [١]

الربا والمعاملات في الإسلام، نشر في كتاب بعد وفاة الشيخ بمعرفة الشيخ محمد بهجت البيطار [٢] حيث أتم كتابة خاتمته. [٣]

مناسك الحج أحكامه وحِكَمه، ألفها أثناء رحلته إلى الحج. [٤]

يسر الإسلام و أصول التشريع العام. [٥]

الوهابيون و الحجاز. [٦]

المنار و الأزهر. [٧]

---

(١) طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٣١هـ، ١٩١٢م.

(٢) محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار من علماء الشام، عالم ومصلح وخطيب ومؤلف، ولد في دمشق عام ١٣١١هـ الموافق لعام ١٨٩٤، ونشأ في حجر والده، وتلقى عليه مبادئ علوم الدين واللغة اختير في جمعية العلماء، ثم في رابطة العلماء في دمشق، وتولى الخطابة والإمامة والتدريس، استمر فيه حتى وفاته، تنقل في وظائف التدريس في سوريا والحجاز ولبنان، وسافر للحجاز وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ، وأبقاه الملك عبد العزيز فجعله مديراً للمعهد العلمي السعودي في مكة، ثم ولاه القضاء، فاشتغل به مدة ثم استعفاه، ثم مدرساً في الحرم المكي وكان خطيباً بارعاً يخطب ارتجالاً، وله عدة مؤلفات قيمة توفي غرة جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ في دمشق. (انظر: معجم المؤلفين السوريين، عياش عبد القادر، ص٧٥، ط١، دار الفكر دمشق، سوريا، ١٤٠٥هـ. ورجال من التاريخ، علي الطنطاوي، ص٤١٣، ط٨، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، ١٤١١ه).

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٤٤٩/٣٣ و ٣٦٢/٣٤.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٤٦٦/١٩، وقد طبع في مطبعة المنار سنة١٣٣٤هـ.

(٥) طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٤٧هـ.

(٦) طبع سنة ١٣٤٤هـ.

(٧) طبع سنة ١٣٥٢ وانظر: مجلة المنار، ٢٩٠/٣٣ و٦٨٣ و٤٥١/٣٤ و ٦٣٠/٣٤.

نداء للجنس اللطيف. [١]

المسلمون و القبط. [٢]

الوحي المحمدي. [٣]

الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية و الرفاعية. [٤]

رسالة في حجة الإسلام الغزالي. [٥]

رسالة في التوحيد: على طريقة السؤال والجواب. [٦]

مساواة الرجل بالمرأة وأصلها مناظرة في الجامعة المصرية حول هذا الموضوع. [٧]

المقصورة الرشيدية: وهي أبيات شعرية عارض فيها مقصورة ابن دريد. [٨]

الوحدة الإسلامية. [١]

---

(١) طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٥١هـ، وانظر: تفسير المنار، ٣٧٦/٢.

(٢) طبع في مطبعة المنار سنة ١٣٢٩هـ، وانظر: مجلة المنار، ١٥٩/١٤و٢٩٢/٢٩.

(٣) طبع لأول مرة في مطبعة المنار سنة ١٣٥٢هـ، وأصله استطراد لتفسير قوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس: ٢.

(٤) انظر: المنار والأزهر، رشيد رضا، ١٨٩.

(٥) انظر: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد السلمان، ٣٧٧، مكتبة المعلا، الكويت، ط ١، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.

(٦) انظر قائمة بما لم يطبع: رشيد رضا، لشكيب أرسلان، ٨٠٠-٨٠١.

(٧) أصلها في المجلة. (انظر: مجلة المنار، ٥٢٥/٣٠ و٦١٠و٦٩٠و٧٧٧).

(٨) انظر: قائمة بما لم يطبع: رشيد رضا، لشكيب أرسلان، ٨٠٠-٨٠١.

(١) طبع سنة ١٣٢٥هـ. (انظر: المرجع السابق، ٨٠٠-٨٠١).

المبحث الثالث

العصر الذي عاش فيه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : الحالة السياسية.

المطلب الثاني : الحالة الاجتماعية.

المطلب الثالث : الحالة الدينية.

المطلب الأول

الحالة السياسية

يمكن تحديد الفترة التي عاش فيها الشيخ رشيد رضا -رحمه الله- ببداية القرن الرابع عشر الهجري أنه ولد سنة ١٢٨٢هـ-١٨٦٥م، وتوفي سنة ١٣٥٤ه-١٩٣٥م، وهو يعتبر عصر تأسيس الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز -رحمه الله-.

وهذا العصر كان مليئاً بالأحداث القاسية على الأمة الإسلامية، فقد كشف الأوربيون إطماعهم في العالم الإسلامي، فقامت فرنسا بحملتها المعروفة على مصر والشام سنة ١٢١٣هـ-١٧٩٨م، ثم احتلال انجلترا لمصر سنة ١٣٠٠ه-١٨٨٢م، وكذلك زاد السوء قيام الحرب العالمية الأولى، وكذلك معاهدة سايكس بيكو المشؤمه عام ١٣٣٤هـ - ١٩١٦م، والتي قسّمت فيها انجلترا وفرنسا البلاد العربية فيما بينها، فلبنان وسوريا لفرنسا، وفلسطين والأردن والعراق لانجلترا[1]، وما كان في العالم الإسلامي ذلك الوقت من تفكك، وكذلك ضعف في الدولة العثمانية التي كانت مركز العالم الإسلامي، حيث باتت لا تملك من الأمر شيئا، كلّ هذه الأمور تدلنا على ما كان يعانيه العالم الإسلامي بشكل عام، ومصر وسوريا بشكل خاص في ظل هذه الظروف التي أثقلت كاهله، وأتعبته في كل ناحية. وامتازت هذه الفترة باضطرابات في جميع الميادين، برزت خلالها تيارات معادية للإسلام، سلكت مسالك الكيد الخفي للإسلام وأهله، وكان مقصدها الأول تخريب عقائد المسلمين، وتفكيك أواصر المحبة والأخوة بينهم؛ حتى يسهل القضاء

---

(١) انظر: رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، ٥-١٨، ورشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد عبد الله السلمان، ٣٠ -٣٦.

عليهم، واستئصال شأفتهم، إلى أن كان آخرها سقوط الدولة العثمانية سنة ١٣٤٢ه بعد أن عانت من الضعف والتفكك فترة من الزمن، ونتيجة لذلك فقدت الدولة الإسلامية آخر مظهر من مظاهر الوحدة، وكان لهذا الضعف والتردي أثره الكبير والخطير على المسلمين كمّاً ونوعاً، حتى أضحت الأمة العربية الإسلامية مجزأة وخاضعة للاستعمار؛ الذي حاول بكل الوسائل والأساليب الخبيثة أن يطمس معالم تلك الدول، وأن يفقدها هويتها الإسلامية.

ومن الأحداث أيضاً تولية محمد علي باشا [١]مقاليد الحكم، ولكن مصر واجهت أزمة أشد وقعا وأعظم خطرا، وهي الحملة التي قامت بها انجلترا سنة ١٨٠٧م لاحتلالها، وتحقيق مطامعها، فاعتزمت إنجلترا أن تضرب الدولة العثمانية،حيث جهزت انجلترا حملتين لاحتلال مصر في أيام محمد علي.

---

(١) محمد علي باشا: ولد في مدينة قولة الساحلية في شمال اليونان عام ١٧٦٩م وكان أبوه إبراهيم أغا رئيس الحرس المنوط بخفارة الطويف في البلدة وكان له سبعة عشر ولداً لم يعش منهم سوى محمد علي الذي مات عنه أبوه وهو صغير السن، ثم لم تلبث أمه أن ماتت فصار يتيم الأبوين وهو في الرابعة عشرة من عمره فكفله عمه طوسون الذي مات أيضاً فكفله الشوربجي صديق والده الذي أدرجه في سلك الجندية فأبدى شجاعة وبسالة وحسن نظير وتصرف، فقربه الحاكم وزوجه من أمينة هانم وهي امرأة غنية وجميلة كانت بمثابة طالع السعد عليه، وأنجبت له إبراهيم وطوسون وإسماعيل، اختاره المصريون ليكون والياً على مصر في ١٧ مايو ١٨٠٥، ومات بالإسكندرية في أغسطس ١٨٤٩ ودفن بالقاهرة.(انظر: الاعلام، الزركلي، ٦/٢٩٩).

الحملة الأولى: كانت في عام ١٨٠٧م فكان نصيبها الإخفاق والهزيمة في رشيد والحماد[1]، مما اضطرها للجلاء عن البلاد.

والحملة الثانية : سنة١٨٤٠م بعدما انتصر محمد علي على تركيا في معركة نصيبين، فألبت انجلترا عليه الدول الأوروبية، واتفقت مع حلفائها على إذلال مصر، فجردت عليها أساطيلها في سورية ومصر، ومع أنها استعانت بالحلفاء، فإن كل ما أصابته منها أن حرمتها من فتوحاتها وأرجعتها إلى حدودها الأصلية، ونتيجة لما حصل في هذا العام ١٨٤٠م، تم إبرام معاهدة لندرة في ١٥ يوليو من العام نفسه، وكانت هذه المعاهدة بين إنجلترا، والنمسا، وروسيا، وبلاروسيا، وتركيا، حيث مكّن فيها لمحمد علي باشا في نظام الحكم الوراثي لمصر، ويكون له مدة حياته بعد نزوله على شروطهم، وتمكنت مصر بعد هذه المعاهده أن تكون مستقلة عن تركيا، و لم يعد لتركيا ولا لغيرها من الدول أن تعبث بهذا الاستقلال الذي أصبح مكفولا بمعاهدة دولية، ثم توالى أولاد محمد علي بعده على حكم مصر، وظهرت آثارهم في كثير من إصلاحاتهم وأعمالهم، [2] وفي أثناء ذلك سعت إنجلترا إلى احتلال مصر سعيا حثيثاً رغم مضايقة فرنسا والدولة العثمانية لها، فقد كانت قناة السويس تشكل أهمية عظيمة، فكان الجميع يسعى إليها، فبعد فتح قناة السويس

---

(١) مدينة رشيد: وهى مدينة كبيرة على كثيب رمل عظيم، إذا هبت الريح الغربية، وهى تشتد عندهم، ملأت عليهم سككهم وبيوتهم رملا فلا يقدرون على التصرف فى أسواقهم وهم على ضفة النيل قرب البحر، ومن أعجب منتزهات الدنيا ضفة النيل من مصر إلى مدينة رشيد هذه، ولا غلة لثمار الأرض كغلتها، وكانت ضيعة الليث بن سعد، و الحماد تقع جنوبي رشيد بين النيل وبحيرة ادكو وهما الآن في الحدود الجغرافية لجمهورية مصر العربية.(انظر: الاستبصار في عجائب الامصار، كاتب مراكشي، ٨٩/١، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦م.)

(٢) انظر: عصر محمد علي، عبد الرّحمن الرافعي، ١٥/١ و١/ ٢٢-٥٧، الهيئة المصرية للكتاب.

للملاحة في عام ١٨٦٩م رأت الحكومة البريطانية أنه من الضروري الإشراف على مصر بعد احتلالها لجزيرة قبرص عام ١٨٧٨م، وفكرت جديا في احتلال مصر، والاستئثار بها وحدها، بعد أن احتلت فرنسا تونس عام ١٨٨١م، فوجه الاحتلال البريطاني في عام ١٨٨٢م قواته ونيرانه على الاسكندرية، قام باحتلال انجلترا لقناة السويس، ثم دخلوا القاهرة في ١٥سبتمبر ١٨٨٢م، وكانت هذه بداية الاحتلال البريطاني، استمر الوضع تحت السيطرة البريطانية، حيث لم يكن يحكم فعليا إلا القنصل البريطاني، ودام ذلك قرابة ثلاث وعشرين سنة، وفي عام١٩١٤م أعقاب الحرب العالمية الأولى أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر، وذلك في ١٨ ديسمبر، ونجد أن الوضع السياسي الذي عاصره الشيخ في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين كان مليئا بأحداث عظام، وتغيرات في الساحات المحلية والدولية، ومما لا شك فيه أنه تأثر بهذه الأحداث، وتفاعل معها، وقد كان الشيخ مؤثراً أدى دوراً مهما وفاعلا في الحياة السياسية في العالم الإسلامي. (١)

---

(١) انظر : التاريخ الإسلامي، محمود محمد شاكر، ١٩/١٣، المكتب الاسلامي.

المطلب الثاني

الحالة الاجتماعية

ترتكز الحياة الاجتماعية في عصر الشيخ على الأسرة، حيث كان المجتمع الإسلامي مترابطاً ما عدا ما طرأ عليه من دعاة تحرير المرأة، وما كانت تقوم به الطرق الصوفية من المخالفات الظاهرة، والتي تتلبس بلباس الدين، وقد لخص لنا الشيخ رشيد رضا رحمه الله الحالة الاجتماعية في عصره في عدة نقاط، كان أهمها شيوع الربا، والذي مكن الأوربيين من السيطرة على مصر؛ لأنَّ الحكومة استدانت من دول أوربا بفوائد، ولما لم تستطع دفعها، تدخلت هذه الدول في شؤون مصر حاليا، ثم وصل الأمر إلى احتلالها عسكرياً، وكذلك انتشار الخمر، والبغاء والمجاهرة به، وانشاء دور لذلك، ترعاها الدولة.(١)

وتخضع الحالة الاجتماعية لمؤثرات كثيرة؛ منها موقع مصر الجغرافي، فهو يشكل حلقة الوصل بين آسيا وإفريقيا، وتشرف على البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط، ويجري فيها نهر النيل، وبعد افتتاح قناة السويس زادت أهميتها عالمياً، فكانت مطمعاً لكثير من الدول الاستعمارية، وحلما لكثير من الأجناس، وتمتاز مصر بوفرة الموارد الاقتصادية، وخاصة في مجال الزراعة؛ إذ تعد الأراضي المصرية خصبة للزراعة؛ مما جعل غالبية الشعب المصري يعملون في الزراعة، إلا أنه ومع مجيء الاحتلال جاء معه عدد كبير من الأجانب؛ ينشدون الإثراء السريع، واغتنام فرص العمل والكسب، حيث كان الاحتلال يساعدهم، ويقف معهم، فجاءت أجناس كثيرة من الأرمن، واليونانيين،

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٧/٤٩٧-٤٩٩ و١/٣٠٣-٣٠٥ و٨/٣٥٩ و١/٣٠١ و٣٣/٣٦٢.

والإنجليز، فامتهنوا التجارة، وافتتحوا الشركات، والبنوك التجارية، وقاموا كذلك على المهن الفاسدة، ونشر الانحلال من التفسخ وبيع الخمور، وهذا الأمر جعل لهم تأثيرا سيئا في المجتمع المصري، وخاصة في المدن الكبرى كالقاهرة والإسكندرية، فظهرت الإذاعة، والمسارح، والسينما، والغناء، والموسيقى، ثم تتابع الشر بعد ذلك، حتى وصل المجتمع إلى ما وصل إليه الآن. (١)

---

(١) انظر: مصر والسودان في أوائل عهد الاحتلال، عبد الرّحمن الرافعي، ص١٣٨٦،، ط٢، الدار القومية للطباعة والنشر.

المطلب الثالث

الحالة الدينية

إن الواقع في العالم الإسلامي في تلك المرحلة من ظهور فرق ومذاهب فكرية مختلفة، وانتشار للبدع والخرافات، فقد انتشرت ظاهرة تعظيم قبور الأولياء والصالحين، التي بنيت عليها القباب، والتي يتجه إليها الناس، وكثيراً ما كانت تقام عند هذه القبور الشركيات، والمنكرات والمفاسد حيث أصبحت عناية المسلمين تنصب على الاهتمام بتلك الأمور البدعية والشركية. [1]

كما لا يخفى انتشار الطرق الصوفية، والتي تظهر جلية من خلال دراستنا لنشأة الشيخ رشيد رضا نفسه، من خلال دراستها على مشايخة، كالشيخ حسين، والشيخ أبو المحاسن القاوقجي، واللذان كانا شيخين من شيوخ الطرق الصوفية، وعلى الجانب الآخر تجلت ظاهرة الابتعاد عن الدين، واتباع الشهوات، والتحرر الأخلاقي، واختفاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى من أهل العلم أنفسهم، إما لإحباطهم مما وصل به الحال، أو لما يقابلون به من الإيذاء من أهل البدع وأهل الطرق الصوفية، ومن الحكومة التي كانت تحت سيطرة الاستعمار الأجنبي، والذي مهّد الطريق بدوره لدعوات التنصير داخل العالم الإسلامي، ونشر شبهات المنصرين، مما يظهر جلياً في مؤلفات الشيخ رشيد رضا وعلماء المسلمين في تلك الفترة، وردودهم على النصارى، والوقوف في وجوههم، من خلال التركيز على نشر العلم، وإحياء دور العلماء في المجتمع، وإحياء

---

(١) انظر: روضة الأفكار والأفهام، حسين بن غنام، ١/ ١٠.

شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونجد أن الجامع الأزهر كانت له قيمته العظيمة في نفوس الناس، وتوجيه طاقاهم وعواطفهم من قديم الزمان .

ولقد كان كثير من الحكام يسعون إلى استمالة علمائه، ولقد لبث الأزهر زهاء نصف قرن في حالة عزلة وركود، بعيدا عن مجاراة التيارات الثقافية الجديدة التي اتجهت إليها مصر، وانكمش نفوذه القديم انكماشا ظاهراً. (١) خلال تلك الفترة نستطيع أن نقول: إنه قد أصاب الجمود العلوم في الجامع الأزهر، وسائر المعاهد العلمية، فأهمل تدريس العلوم الحديثة بالجامع الأزهر، وأصبح منصبا على العلوم الدينية واللغوية. (٢) أن كان كثير من علماء الأزهر يرون أن العلوم العصرية حتى الحساب والتاريخ مضلة للأمة، صادة عن سبيل الحق، مسجلة عليهم الحرمان من السعادة، وأن السعادتين الدنيوية والأخروية اللتين حث عليهما الإسلام لا تنالان إلا بدراسة هذه الكتب المطولة في النحو واللغة. (٣)

ولماكان الأزهر يراوح بين فترات الجمود والخمول، ظهرت دعوات لإصلاحه، يقوم عليها بعض العلماء الأزهريين، ومن خارج الأزهر كالشيخ محمد رشيد رضا، مماكان لها أثر في تحسين حالته، ولا بدّ من الإشارة إلى أمر مهم في حياة المجتمع المصري، ألا وهو أن الأزهر كانت قيمته العظيمة في نفوسهم، فكان الانتساب إلى الأزهر شرفاً تتسابق إليه الأسر المصرية، وكانت الأسرة التي تحوي ضمن أفرادها واحداً من خريجي الأزهر تصبح

---

(١) انظر: تاريخ الجامع الأزهر لمحمد عبد الله عنان، ص٢٣١، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٣٧٨هـ.

(٢) انظر: التاريخ الثقافي للتعليم في مصر، حسن فقي، ص١٣، القاهرة، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٧١م.

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٨٢٢/١. والتاريخ الثقافي للتعليم في مصر، حسن فقي، ص١٣.

محط الأنظار، سواء في العاصمة أم في الأقاليم، وينظر إليها الناس بالتبجيل والإكبار، لما له من المكانه في نفوسهم، لارتباطه بالدين الاسلامي، والقوة العلمية لخريجيه.

ومن جهة أخرى فقد ظهرت الكثير من المذاهب والافكار الهدامه، وكان أهمها مايلي:

١- ظهور العلمانيه بشكل قوي ومؤثر، حيث ظهر الفصل بين الدين والواقع الملوس.

٢- الماسونية، وما تكيده للمسلمين، وتسعى إليه لهدم دينهم.

٣-القومية العربية، وما يسمى بالقوميين العرب.

٤-الاستشراق، والذي حل ضيفاً ثقيلاً على المجتمع المصري المسلم، بما سهله له الاستعمار الانجليزي، ودعمه للمبشرين، واتخاذه كل السبل لنشره. [1]

(١) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، ص٢١٧، مؤسسة المدينة للصحافة، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

الفصل الأول

أصول دعوة الشيخ محمد رشيد رضا

وفيه مبحثان:

المبـــحث الأول : اعتماده على القرآن الكريم والسنة في دعوته .

المبحث الثاني : عنايته بإتباع آثار السلف الصالح .

المبحث الأول

الاعتماد على القرآن الكريم والسنة في دعوته

مدخل:

إن مما لا يخفى على عاقل أن لكل داعية أصول وقواعد ينطلق منها في دعوته تبرز من خلال تمسكه بها وسيرة في محاورها بحيث تكون هي المرشد له وإلا فستكون دعوته فارغة من محتواها لا تهتدي إلى دليل وكل يوم تسلك طريقاً غير طريق الأمس فالرجوع إلى الكتاب والسنة والتمسك بهما في كل الأمور هو طريق الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾ النساء: ٨٠، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ الأنعام: ١٠٦، ووصف سبحانه القرآن الكريم فقال عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ النجم: ٣ – ٤، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله))[1]، ومن هنا يجب أن يعلم أن الكتاب والسنة أصلان متلازمان، من جحد واحداً منهما فقد جحد الآخر[2] ، إن اتّباع الكتاب والسنة هو منهج أهل السنة والجماعة، فقد اختصوا باتباعهم الكتاب والسنة

(١) رواة مسلم، ٢ /١٨٥، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم (١٩٠٥).

(٢) انظر: وجوب العمل بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وكفر من أنكرها، الشيخ عبد العزيز بن باز، ص١١، ط١، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والافتاء، الرياض، ١٤١١ه.

الثابتة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم، في الأصول والفروع، وما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]

والشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله قد برز فيه اعتماده الكبير على هذين الأصلين العظيمين، بل كان يوليهما جل وقته، وهي الصفة البارزة له في حياته الدعوية، وشواهد اعتماده عليها، تجده حيناً في تفسيره، وفي مجلة المنار، وحيناً بمطبعته؛ التي أثرت المكتبة الإسلاميه، من تقريظ للكتب التي يطبعها، أو تعليق عليها، أو تنبيه للقراء الى اقتناء كتاب نافع، يبين مميزاته وعيوبه؛ لكي يطلع عليها قراء مجلته في أنحاء العالم، وحيناً بالدفاع عنها، إلى غير ذلك، حيث أصبح الشيخ رمزاً من رموز الدفاع عنها، والتمسك بها في عصره، ومن أبرز هذه الأمور في حياته: اهتمامه بالقرآن الكريم في مواعظه منذ أن كان في قريته القلمون، أي قبل هجرته لمصر، فيقول الشيخ: (وأما المواعظ التي كنت ألقيها في المسجد، فكنت أعتمد فيها على القرآن، وقد وفّقت لاستحضار الآيات الكثيرة في الموضوع الواحد، من ذلك العهد) [٢] ويقول أيضاً: (وعظ الناس وتذكيرهم بالكتاب والسنة هو الذي يؤثر في قلوبهم، ويبعث روح الدين في نفوسهم، وأطالب المشتغلين بالعلم أن يعنوا بفهمهما، ويذكروا العامة بهما، سواء منهم من تفرغ لدرس كتب المذاهب، كبعض طلاب العلم، ومن لم يتفرغ له، كأكثر العامة، ومسألة النهي عن التقليد مسألة أخرى، يراد بها فهم كل قول بدليله، لا أن يكون كل مشتغل بالعلم قادراً على تدوين مذهب !! وهذا ما أعنيه بالإصلاح الديني، وملخصه أن يُعْنَى المشتغلون بعلم الدين بفهم الكتاب والسنة بقدر الاستطاعة، وفهم كلام الأئمة بدليله، وأن يبذلوا جهدهم بإرشاد العامة بهما

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، ابن تيميّة، ٤٦٣/٣.

(١) المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٩٢.

كما تقدم).[١] وكان يُضمِّن خطبه ومواعظه آيات القرآن الكريم والسنة النبوية، بل كان يعزو إلى تركها ضعف المسلمين فيقول: (وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وزال ما كان لهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، وأنه لا يعود إليهم شيء مما فقدوا من العز والسيادة إلا بالرجوع إلى هدايته). [٢] ، ويقول أيضا موجها للخطباء: (أنك ترى السور ذات النظم الخاص، والفواصل المقفاة، وتأتي في بعضها فواصل غير مقفاة، فتزيدها حسنا وجمالا وتأثيرا في القلب، وتأتي في بعض آخر آيات مخالفة لسائر آيها في فواصلها وزنًا وقافية، فترفع قدرها، وتكسوها جلالة، وتكسبها روعة وعظمة، وتجدد من نشاط القارئ، وترهف من سمع المستمع، وكان ينبغي للخطباء والمترسلين أن يحاكوا هذا النوع من محاسنه). [٣] وأما خطبه فكان من أبرزها وأهمها هذه الخطبة، والتي قال فيها: (يمكن لمن يفهم اللغة العربية حق الفهم أن يهتدي بالقرآن، ويعتبر بمواعظه وآدابه، وإن لم يقرأ شيئا من كتب الفقه، فإن تأثير القرآن في قلوب من يفهمونه عجيب، حتى إن بعض أدباء النصارى عندنا بمصر يعجبون منه، ويعترفون به، وقد سمعت غير واحد منهم يقول عند حضور بعض احتفالات المدارس وسماع القرآن المجيد فيها: إن لهذه القراءة تأثيرا عميقا في النفس، هذا وهم لا يؤمنون به، فما بالكم بالمؤمنين المخلصين، أولئك الذين هم مرآة قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ الزمر: ٢٣، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٨٨١/١١

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٢٦/١.

(٣) تفسير المنار، رشيد رضا، ١٦٧/١.

سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ الحجرات: ١٥، فهل يمكن لمن لا يفهم العربية فهما صحيحا أن يكون من هؤلاء المؤمنين الصادقين؟ وقال عز وجل: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر: ٢١، فاعتبروا بقوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ ﴾ العنكبوت: ٤٣، فإنه تعالى هدانا بهذا المثل إلى أن نربأ بأنفسنا أن تكون قلوبنا أقسى من الحجارة، وهكذا شأن من يخشع بالقرآن ولا يتأثر بمواعظه. إذا سمع من يفهم العربية فهما صحيحا مثل قوله تعالى في الآيات الكريمة التي افتتح بها هذا الاحتفال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ الأنفال: ٢٤، فإنه يمكنه أن يفهم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم ما دعانا بهذا الكتاب الحكيم إلا إلى ما نحيا به حياة معنوية طيبة، نكون بها أمة عزيزة كريمة، وأن ينتقل ذهنه من ذلك إلى تدبر القرآن، ليهتدي به إلى السنن الاجتماعية والنفسية التي بين الله تعالى فيها أسباب هذه الحياة، وهي كثيرة في القرآن، وليست مما يلحقه النسخ الذي تشترط معرفته في الاجتهاد. وبيان هذه الحياة في كتاب الله تعالى أعلى مرتبة من بيان بعض أحكام المعاملات، كأحكام الحيض والبيع والسلم والشركات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ النحل: ٢، وما سمى الله الوحي روحا إلا لأنه ينفخ في المهتدين روح الحياة المعنوية التي يكونون فيها أئمة الخير في الدنيا، وأصحاب السعادة في الآخرة، تلك الحياة التي ظهر أثرها في سلفنا، فسادوا العالم كله كما أشرنا

إلى ذلك من قبل، ونحن ننشدها ونبحث عن أسباها الآن... أيها الإخوة الكرام: إننا مرضى ودواؤنا في الكتاب الذي أنزله الله إلينا، قال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الإسراء: ٨٢)[1]، وهذه خطبة ارتجالية أخرى ألقاها –رحمه الله– وما كان منه إلاّ أن ضمنها القران الكريم فيقول : (أما وجه الحاجة إلى التربية فلا أراني في حاجة إلى الإفاضة فيه لأجل الإقناع به، فإن هذا قد صار عند أمثالكم من قبيل البديهيات التي لا نزاع فيها، وإنما أذكركم ببعض آيات القرآن الحكيم في ذلك للتذكير بهدايته العليا وموافقته لما يدل عليه العقل والتجارب، وتقتضيه طبيعة الاجتماع البشري. قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل: ٧٨، يعني أن الله تعالى خلق كل فرد من أفراد الإنسان جاهلا لا يعلم شيئا مما يحتاج إليه لإقامة بناء حياته الشخصية والنوعية، فكان في مبدأ خلقه وأول نشأته دون سائر أنواع الحيوان التي يخلقها الله تعالى، عالمة بما تحتاج إليه بالفطرة، متوجهة إليه بالطبع، ولذا قال تعالى في آية أخرى: ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ النساء: ٢٨، وقال تعالى في خلقه بهذه المزايا: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ التين: ٤، وهو لا يرتقي في معارج الكمال بمزاياه إلا بشكر الله تعالى على نعمة الحواس والمشاعر الظاهرة، والعقول والوجدانات الباطنة .... قال تعالى﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ البقرة: ٢١٣، هذه إشارة إلى ما تقتضيه فطرة البشر من الحاجة إلى التربية والتعليم، نقرنها بإشارة أخرى إلى مكانة التربية والتعليم

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٦١/١٥.

من دين الفطرة الذي ختم الله به الأديان، وهو دين الإسلام، وأكتفي في بيان هذا بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الجمعة: ٢، وقوله تعالى: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٥١، فقد بين الله تعالى أنه أرسل رسوله ليكون مربيا معلما، فإن التزكية هي التربية الفضلى التي تكون بها نفس الإنسان زكية كريمة، متحلية بالفضائل، مطهرة من الرذائل)[١]، وكذلك من أهم خطبه رحمه الله ـــــ والتي كان بارزاً فيها هذا الأصل ـــــ هذه الخطبة التي يقول فيها: (إن من مصائب الإسلام أنه لا يوجد في أهله طائفة تقوم بالإرشاد العام للمسلمين كما كان على عهد سلفنا الصالح، وكما هو معهود عند الأمم الأخرى كرهبان النصارى وقسوسهم، فصار المسلمون فوضى في أمر دينهم وتربيتهم وآدابهم، التي عليها مدار حياتهم، فمنهم الجاهلون الذين يقضون حياتهم لا يرون مرشدا عالما مربيا يتعاهدهم بإرشاد أو نصيحة، ومنهم الذين انصرفوا إلى مدارس دعاة النصرانية أو الحكومات يقتبسون العلم والأخلاق والآداب منهم، ولهذا لم تر الأمة الإسلامية إصلاحا من المتعلمين في هذه المدارس، بل رأت منهم مفاسد كثيرة، أهمها تفريق كلمتهم، وإفساد آدابهم، ودعوتهم إلى روابط ملية واجتماعية لا تتفق مع دينهم وتاريخهم... إنه لا رجاء لأمتنا الإسلامية بالنجاح والفلاح إلا بتربية خاصة، وتعليم خاص لطائفة من المسلمين؛ ليكونوا مرشدين ومعلمين لأمتهم ثم

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٥/٥٦٧، جزء من خطبة خطبها في ندوة العلماء بلكهنوء عند زيارته للهند حيث كانت هي الخطبة الرئيسية.

لغيرها من الأمم كما يليق بهدي الإسلام، الذي أكمل الله به دين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لا يشتغلون بغير ذلك ألبتة، فحسبهم إصلاح النفوس وإرشادها إلى العمل بما تعلم، وقد رأيت عقلاء المسلمين من العرب والترك والفرس والهنود وغيرهم متفقين على هذا الرأي.)[1] . فهذه مقتطفات من خطبة الشيخ، والتي يستطيع المتصفح المتعجل لمجلة المنار الوقوف عليها بأقل جهد، ولا يعتبر ذلك إلا أثراً وعلامة على ما كان عليه الشيخ من اهتمام بالغ بالكتاب والسنة، كما ضمّن مقالاته الآيات والأحاديث يقول الشيخ: (الأمة إذا حيت أحيت من العلوم ما كان ميتا، وأنشرت من الفنون ما كان رميما، وإذا ماتت أماتت معها ما كان حيا، ودرست ما كان مدروسا مرويا، وإن الغذاء اللطيف قد يزيد المعمود الدوي دوى، والغذاء الخشن يزيد المتعمدد القوي قوى قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٠ - ٥٢، ما كل من أعرض عن آيات الله في القرآن، يستطيع أن يعرض عما يصدقه من آياته في الأكوان، ومن آياته الماثلة أمام الناظرين، فضيحة هذه المدنية المادية التي فتنت أوربة بها المسلمين، فقد ظهر لهم ما كان خفيًّا من فسادها، وذهب بهيبتها ما كان من الفظائع في حربها. ومن آياته أن ثل عروش دولها المقهورة، وزلزل أركان دولها المنصورة، وضعضع ثروتها، وأوقع الاضطراب في معيشتها.... حتى جنحت تلك الدولة العاتية المتكبرة إلى مصالحة تلك الفئة التي كانت تسميها المشردة المتمردة، واضطرت إلى الرضى بمساواتها في

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٩٢١/١٥، جزء من خطبة القاها في الاجتماع السنوي العام لجماعة الدعوة والإرشاد بمصر وذكرها كاملة في المجلة.

مؤتمر السلم، بعد أن كانت تستكبر أن توقفها موقف المجرم لسماع الحكم). [١] .
وماكان اهتمامه بتفسير القرآن الكريم إلاّ شاهدا واضحاً ونبراسا، حيث ألف رحمه الله تفسيراً اشتهر بتفسير المنار، وسماه تفسير القرآن الحكيم، وهو يقع في اثنا عشر جزءاً، وهو من بداية المصحف حتى سورة يوسف آية ١٠١، والذي ألفه بداية بكتابته دروس شيخه الشيخ محمد عبده – رحمه الله –، ثم كان يصوغ فيه كلام شيخه بأسلوبه، ثم استقل بعد ذلك بتفسيره؛ الذي كان مستقلاً به عن شيخه، والذي يعتبر تفسيراً عصرياً على منهج السلف الصالح، وهو الذي اعتمد عليه في جميع مناشطه الدعوية سهل عليه الارتباط بكتاب الله تعالى، والاستشهاد بأي آية مفسراً ومعللاً ومجادلاً وخطيباً، حتى اصطبغ لسانه وقلمه بذلك، حيث يعتبر هذا التفسير من أهم كتب التفسير في العصر الحديث، واستنباط فوائده، وله في مجلته مقالات كثيرة تكلم فيها عن الإعجاز في الكتاب والسنة[٢]، وربط أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالكتاب والسنة، حيث كان الشيخ في إنكاره على أهل البدع يؤكد عليها، ومن أمثلة ذلك ماقاله في مجلة المنار: (نعم إن هذه البدعة السيئة لا تختفي بأيام الموالد، ولكنها تزيد فيها، وإزالتها من أهم مهمات الدين، فقد فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا وهو يحذر منها، ويبين أن الله تعالى لعن الذين اتخذوا قبول أنبيائهم مساجد من الأمم السالفة، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة).[٣] ولما كانت مدرسة الدعوة والإرشاد من أبرز أعماله الدعوية الميدانية؛ جعل القرآن والسنة أول المواد في هذه المدرسة التي أسسها، وسميت بمدرسة الدعوة

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/٢٤.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٠٩/٦.

(٣) المرجع السابق، ٥/ ٩٣.

والإرشاد، حيث كان أول ما يدرس هو التجويد والتفسير، ثم الحديث ومصطلحه.(١) وكذلك يظهر بارزاً أيضاً أن الشيخ عندما فسر بداية سورة هود في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ۝٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ هود: ١ – ٤، هذه الآيات الأربع في أصول الدعوة إلى دين الله تعالى وهي القرآن، وما بينه من توحيد الله تعالى وعبادته وحده، ثم الإيمان برسله، ثم البعث والجزاء، ثم عمل الصالحات، وهي كليات التشريع العامة . فأول ما يدعو إليه الداعية عبادة الله، وهي أن تجعلوا عبادتكم لله وحده ولا تشركوا به شيئاً وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ هود: ٢، تبين وظيفة الرسل، وهي إنذار من أصر على شركه وما يتبعه من الكفر والمعاصي بالعذاب الأليم، وتبشير من آمن واتقى بالسعادة والنعيم المقيم، فالبلاغ يتضمن أمرين: البشارة والنذارة، ويتطلب مراعاة حال المخاطبين ونوعهم، فهي نذارة للمشركين، وبشارة للمؤمنين وهي أيضاً لأهل الإسلام نذارة للعاصين، وبشارة للمتقين، وكذلك بينت فضل التوبة وأهميتها، وأنها تكون بالقول، ثم بالعمل بالاستغفار، ثم بالإقلاع؛ لأنه كم من عاص مستغفر وهو مصر على عمله، ثم بين أثر ذلك سواء على مستوى الفرد أم على مستوى الجماعة، فهذه أصول في علم الدعوة؛ تضمنت الداعي، والدعوة، والوسيلة، والمدعو أيضاً، فربط ذلك كله بالقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وبين الشيخ أمراً مهماً للداعية في اختياره للأسلوب والوسيلة المناسبة من خلال استقراء الآيات وتفسيرها، فقدم وصف الرسول بالنذير على وصفه بالبشير، ثم قدم بشارة المؤمنين، وأخر إنذار الكافرين المصرين، تأليفاً

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١١/٨٠١.

لهم، لأن توالى الإنذار منفر من الاستماع، مغر بالتولي والإعراض، فهماً وصياغة، يركز على القرآن الكريم، ويهتم به، ويستنبط منه دعوته؛ أصولها ووسائلها وأساليبها، بأسلوب بديع، يظهر حلاوة التفسير، ويربط الداعية بالقرآن، بل هو كأنه يطلب منه اعتماد هذا الأسلوب للدعوة وتطبيقه، وأنه سنة من سنن الله تعالى في الخليقة، فالدعوة إلى الله بلاغ يترتب عليه إما قبول فتعود نتائج ذلك البلاغ المبشر بها عليه معاشاً ومعادًا، وأما رفض فيعود عليه ذلك البلاغ نذيراً وشؤماً معاشاً ومعادًا، ويحثك الشيخ على الاستشهاد بأحوال الأمم المعرضة، والأمم المصدقة، وكذلك الأفراد المؤمنة، والكافرة الصادة، وما هي حال كل فريق؛ ليكون أيضاً نذارة أو بشارة للمدعو؛ ليعرف نتيجة هذه الدعوة ونتيجة الإعراض عنها، مستشهداً بالآيات الكريمات التي جعلها – رحمه الله – أصولاً لدعوته إلى الله تعالى[1] ، واهتمامه – رحمه الله– بالسنة النبوية كان منذ بداية طلبه للعلم، حيث يقول: (وإنما فتح لي باب الاشتغال بعلوم الحديث شرح الإحياء الذي اقتنيته؛ لما فيه من تخريج أحاديث الكتاب، فصرت بعد الاطلاع عليه لا أحتج بحديث ولا أكتبه إلا مع بيان تخريجه، ثم لم أعد أكتفي بتصحيح أي كتاب للحديث الذي فيه شبهة عندي حتى أراجع سنده وما قاله علماء الجرح والتعديل فيه). [2] ومما ورد فيما سبق من نقاط يبرز توجه الشيخ باعتماده على الكتاب والسنة في رؤيته، وجعلها أصلاً لها؛ ليزداد كلما تقدم به العمر، حيث أن الشيخ نشأته الأولى كانت في بيئة انتشرت فيها البدع والطرق الصوفية التي هي أبعد ما تكون عن الكتاب والسنة، ولكن رحمه الله كان محارباً لها من تلك الفترة، داعياً للكتاب والسنة، وكان لاطلاعه على كتب شيخ الإسلام ابن تيميّة

(١) انظر: تفسير المنار، رشيد رضا، ١٢/٤.

(٢) المنار والأزهر، رشيد رضا، ١٥٨.

وتلميذه ابن القيم أعظم الأثر في ذلك، ثم فيما بعد اهتمامه البالغ بالتفسير، واعتنائه الفائق بالحديث الشريف وطرقه وعلله، ومما يبرز من ذلك ما كتبه الشيخ رداً على النصارى في افترائهم على القرآن فيقول: (قل للذين لا يرون الجذوع في عيونهم، ويعيبون الكحل بالتحريك في عيون الناس: إذا كان كتاب دينكم لم يُكتب في عهد نبيكم، وإذا كان الذين كتبوا تاريخه من بعده بأزمنة مختلفة يروون عنه روايات مختلفة لا سند لها بالمرة، وإذا كانت مجامعكم قد تحكمت بذلك المكتوب بأهوائها وأهواء الرؤساء السياسيين، فحذفت ما شاءت وشاءوا، وأبقت ما شاءت وشاءوا، ونقحت ما شاءت وشاءوا، وأنتم تقبلون ذلك وتعدُّونه أصلاً للدين ! فما بالكم لا تخجلون من الكلام في كتاب لم يوجد في العالم إلى اليوم كتاب مثله، نُقل عن صاحبه بالتواتر الصحيح؛ حفظًا، وكتابةً، وروايةً، ودرايةً، وأداءً، وهو القرآن العزيز ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢، نرى العالم الشهير والفيلسوف الكبير يؤلف كتابًا في عاصمة من عواصم أوربا، فتطبع منه مئات الألوف من النسخ ويثق الناس بإسناده إلى صاحبه، وإنما يكون صاحبه أعطاه إلى صاحب مطبعة، أو ملتزم طبع في خلوته، فأخذه وطبعه، فيكون رواية واحد عن المؤلف، وقد كان الصحابة لا يقبلون رواية الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من القرآن، وإن كان علمًا وعدالة وحفظًا ودراية، وبعد هذا كله تتكلمون في نقل القرآن وجمعه، ولا تخجلون من أنفسكم ولا من الناس، ولا تعلمون أن هذا يزيد المؤمنين إيمانًا بكتابهم، وبحثًا عن كتابكم، وهذه هي الفضيحة الكبرى). [1] وفي هذا الكلام الذي أورده الشيخ رداً على النصارى،

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦/٢١٧.

وتوضيحا للقرآن الكريم، ودفاعا عنه، متضمنا خطابا الى كل الدعاة، بل المسلمين عموما الى الاهتمام به، ودراسته، والسير على منهجه وطريقته، فهو نعم المولى ونعم النصير، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

المبحث الثاني

عنايته باتباع آثار السلف الصالح

مدخل :

إن الله تعالى قد اصطفى لنبيه صلى الله عليه وسلم خير الناس وأقدرهم على حمل الرسالة بعده فجعل سبحانه وتعالى اتّباع مذهبهم وطريقهم واجماعهم كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع هدي الخلفاء الراشدين يقول صلى الله عليه وسلم واصفاً صحابته بخير وصف ومزكّيا لهم: ((خير القرون قرني ثم الذين يلونهم)) متفق عليه. [(١)] وطريقة السلف هي فهم النصوص وإثبات ما دل عليه من صفات، وإثبات موافقتها لصحيح المنقول وصريح المعقول، لذلك فهي أعلم وأحكم، ممن تبعهم في الاعتصام). [(٢)]

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: (من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وإقامة دينه،

(١) رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة، برقم (٢٥٠٨)، ومسلم، كتاب فضل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، برقم (٢٥٣٣).

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٧/٥٢٢.

فاعرفوا فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم). (١) واتِّباع آثار السلف الصالح هو اتِّباع للكتاب والسنة، لأنهم واسطة التلقي بيننا وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل طريق غير طريقهم فإنما هو طريق ضلال وفساد وهوى، لا يمكن أن يوصل إلى الفهم الحقيقي للكتاب والسنة إلا بهم رضي الله عنهم، ولذلك اصطفاهم الله واختارهم، فهم مزكون من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وكيف تكون دعوة إسلامية بغير اتِّباع السلف الصالح رضي الله عنهم، فإنها بغير هديهم ونورهم سوف تضل طريقها حتماً، وكيف يقوم داعية أو موجه أو مصلح بغير اعتماد على هذا الأصل، وسوف يضل ويتخبط اذا لم ينهج منهجهم؛ لأنه فقد الحبل الموصل إلى الكتاب والسنة.

والمقصود بالسلف الصالح لغة:

السبق و التقدم. (٢)

والسَّلف اصطلاحا:

هم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين، الذين اتبعوهم بإحسان. (٣)

وهنا يتبين أنه كلما كان الداعية مقتدياً بالسلف، كلما كانت دعوته أقرب إلى الصواب والتوفيق بإذن الله، ورشيد رضا كان من المهتمين بهذا الأصل، بل والمتشبثين به،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ١١٩/٢، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٩٥/٣. ولسان العرب، ابن منظور، ١٥٨٣/٩.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيميّة، ١٣٤/٧، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١ هـ-١٩٩١م. ولوامع الانوار البهية، السفاريني، ٦٥/١-٦٦، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

والداعين إليه، ويظهر هذا جلياً بعد وفاة شيخه الشيخ محمد عبده ، حيث يقول الشيخ: (هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه رحمه الله). [(١)]

والشيخ محمد رشيد رضا عرّف مذهب السلف الصالح الذي يقصده في كتاباته فقال: (وإنما مذهب أهل السنة والجماعة ما كان عليه السواد الأعظم من الصحابة وعلماء التابعين وأئمة الحديث والفقه، ممن تبعهم في الاعتصام بنصوص الكتاب والسنة، من غير تحريف ولا تكلف لإرجاع ظواهرها إلى ما ابتدع من البدع والآراء التي أحدثها أهل الأهواء). [(٢)] ومما يجب تبيينه عن الشيخ هو أن انتشار مجلة المنار في العالم الإسلامي كان له الأثر الإيجابي على الشيخ نفسه؛ لأنه عرّفه على جمع كبير من العلماء الذين كانوا يراسلونه من جميع اقطار العالم [(٣)]، ويقول الشيخ تعليقاً على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٩ : (ولو سلك الخلف في الدين مسلك السلف باتباع الكتاب والسنة، والاستعانة على فهمهما بكل عالم ثقة من غير تعصب لعالم معين، لما وقعوا في هذا الخلاف والتفرق والبغضاء والجهل بهما وهجرهما).[(٤)] وله كلام جميل حول هذه الآية في اتباع مذهب السلف، والتأكيد عليه، والدعوة الى التمسك به، وقد وقع في يد الشيخ كتاب لوامع الأنوار البهية للسفاريني[(٥)] بواسطة قرائه الذين أرسلوه له ليطبعه في مطبعته ويقوم بتوزيعه على طلبة

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/١٦.

(٢) انظر: المنار، رشيد رضا، ٧/٥٥٢.

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٠/١٤٥.

(٤) تفسير المنار، رشيد رضا، ٨/١٩٢.

(٥) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين أبو العون عالم بالحديث والأصول والأدب محقق ولد سنة ١١١٤هـ في قرية سفّارين وهي من قرى مدينة نابلس، تربى في كنف والده الذي كان ذا

=

العلم، ثم قام بعد ذلك بالنقل الحرفي منه لنشره في مجلته، حيث تأثر به، وأعجب بفصوله أيما إعجاب، وصنع عليه مقدمةً عند طباعته له[(١)] وكان يقول: (كنا عند ابتداء الاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الحنابلة، فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظاهر النقول، ما فهموها حق فهمها، ولا عرفوا حقائق العلوم وطابقوا بين النقل وبينها، وأن كتب الأشاعرة[(٢)] هي وحدها منبع الدين، وطريق اليقين، ثم اطلعنا على كتب القوم، فإذا هي الكتب التي تبين للمسلمين طريقة السلف المثلى، وإذا بقارئها يشعر ببشاشة الإيمان،

ديانة و علم، حفظ القرآن الكريم ولما بلغ سن التاسعة عشر رحل في طلب العلم إلى دمشق سنة ١١٣٣هـــ، ومكث فيها قدر خمس سنوات، يحصل العلم ويحفظه ويتقنه حيث أخذ في هذه الفترة عن عدد كثير من العلماء، وعاد إلى نابلس ثم رحل في سنة ١١٤٨هـــ إلى الحج وأثناء ذلك زار المدينة النبوية و التقى بعالمها في ذلك الوقت الشيخ محمد حياة السندي وأخذ عنه، ولا زال يملي ويفيد ويجيز من سنة ثمان وأربعين إلى أن توفي يوم الاثنين ثامن شوال من هذه السنة بنابلس وجهز وصلى عليه بالجامع الكبير ودفن بالمقبرة الزاركنية، من كتبه الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام، و لوامع الأنوار البهية و سواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، وشرح منظومة له في عقيدة السلف و فتاوى متفرقة. (انظر: الأعلام، الزركلي، ١٤/٦، وتاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار عبد الرّحمن الجبرتي، ٤٦٨/١، بيروت، ط ٢، ١٣٩٨ه. وغذاء الألباب شرح منظومة الآداب العلاّمة محمد بن أحمد بن محمد السفاريني، ٢٩٤/٢، ضبطه وصححه محمد الخالدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـــ).

(١) المرجع السابق، ٨٥٧/٧-٨٥٩ و١٤٥٣/١٠.

(٢) الأشاعرة: هم جماعة تنتسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، متقدموهم أقرب إلى أهل السنة من متأخريهم، ومتأخروا الأشاعرة في الجملة يثبتون سبعاً من الصفات، وهم في القدر جبرية، وفي الإيمان قاربوا الجهمية كثيراً حيث جعلوا الإيمان هو مجرد التصديق. (انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ٩٣/١، مؤسسة الحلبي).

ويحس بسريان برد الإيقان، وإذا الفرق بينها وبين كتب الاشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي، ومن يسبح في بحر لجي، تدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتتجاذبه تيارات المباحث النظرية، وقد ظهر لي أن مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم) [(١)] ، ومن ذلك عنايته بكتب السلف الصالح عقيدة ومنهجًا، حيث عُنِي بكتب ابن تيميّة، وابن القيم، ومحمد بن عبد الوهاب – رحمهم الله – وغيرهم حتى اشتهر بذلك، وأسماه خصومه بالوهابي، ولعل سبب هذه التسمية أيضًا أنه كتب مقالات عديدة في الدفاع عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، منها مجموعة مقالات أسماها الوهابيون والحجاز، شرح فيها دعوة الشيخ، وجَلَّى مبادئها وأهدافها، كما كتب كتابًا رَدَّ فيه على خصوم دعوة محمد بن عبد الوهاب من الشيعة والرافضة، أسماه السنة والشيعة، وقد وقعت بَيْنَه وبين أتباع وتلامذة المدرسة العقليَّة الحديثة العداوة والوحشة بسبب ما انتحاه الشيخ من مَنْحى السلفيَّة، مما أذكى نار العداوة بينهم على أوراق الصحف والمجلات[(٢)]، وبهذا يتبين لنا التزامه مذهب السلف جلياً، حيث إن الشيخ نشأ في أول حياته على دراسة كتب الاشاعرة والصوفية، والمدرسة العقلية، فيقول مجيبا على سائل يسأله: (لو قلتُ إني من أجدر الناس وأحقهم ببيان الحق في هذه المسألة لرجوت أن أكون صادقًا، وإذا بينت السبب في ذلك رجوت أن يذعن له كل عاقل منصف، ذلك بأنني قد سلكت الطريقة النقشبندية [(٣)] وعرفت الخفي والأخفى من لطائفها وأسرارها، وخضت بحر التصوف

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٨/٦٢٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٥/٩٢٥ و١٣/٤٦٥.

(٣) تنسب النقشبندية لمحمد بن بهاء الدين النقشبندي البخاري، المعروف بشاه نقشبند، هلك سنة ٧٩١هـ، وتنتسب لأبي يزيد البسطامي، ضمن آخرين، وسلسلة الطريقة الذهبية تعود لأئمة =

ورأيت ما استقر في باطنه من الدرر، وما تقذف أمواجه من الجيف، ثم انتهيت في الدين، إلى مذهب السلف الصالحين، وعلمت أن كل ما خالفه فهو ضلال مبين). [١]

ويقول أيضاً مكملاً لهذا الكلام: (إن العبادة المشروعة لذاتها التي يطالب المسلمون بها هي ما نطق به القرآن الكريم، أو مضت به السنة النبوية، وجرى عليه جمهور السلف، وما عدا ذلك فهو بدعة، والبدعة في الدِّين لا تكون إلا ضلالةً كما ورد في الحديث، وأما البدعةُ التي تعتريها الأحكام، ويُقَال إن منها ما هو حلال وما هو حرام، فهي البدعة في أمور الدنيا، علومها، وأعمالها، كما يدل عليه حديث مسلم[٢]: ((مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا)).[٣]، ويقول رشيد رضا مختصرا هذا الأصل من أصول الدعوة (إن ما كان عليه السلف في الصدر الأول لم يكن يسمى مذهباً، ولا يصح أن يسمى مذهباً في الإسلام ؛ لأنه هو الإسلام كله).[٤] هذا هو الشيخ محمد رشيد رضا بسلفيته، وأنى للمقتفي أثره إلا أن يجده مجاهداً في هذا المجال، جاعلاً الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح طريقاً له؛ يستنير بنوره، واهتمامه بهذا الأمر وعنايته العناية الفائقة به.

الرافضة، فلذا نجد لديهم ميلاً للرافضة. (انظر: الهداية الخيرية في الطريقة النقشبندية، محمد أمين الكردي، ص٩، مطبعة الحبانية، ١٣١٦هـ).

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١١/٥٠٤.

(٢) أورد الشيخ أنّه في صحيح مسلم ولكنه غير موجود فيه بهذا اللفظ بل المعنى موجود في صحيح مسلم في باب من سن سنة حسنة أو سيئةً ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، بالاحاديث رقم (٦٩٧٥ -٦٩٨٠).

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١١ /٥٠٤ .

(٤) مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا على كتاب صيانة الانسان عن وسوسة دحلان، محمد بشير السهسواني، ص٣١.

الفصل الثاني

معالم دعوة الشيخ محمد رشيد رضا

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول : جهوده في الحث على العلم وذم الجهل والتقليد.

المبحث الثاني : جهوده في الدعوة إلى الاهتمام بالسنة .

المبحث الثالث : جهوده في التحذير من البدع .

المبحث الرابع : جهوده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

المبحث الخامس: جهوده في جمع الكلمة والتحذير من التفرق والتحزب .

المبحث السادس : جهوده في تصحيح صورة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

المبـــحث الأول

جهوده في الحث على العلم وذم الجهل والتقليد

لقد رفع الله عز وجل من شأن العلم وأهله وأثنى عليهم، وجاءت الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة في فضله والحث على طلبه، وتمييز أهله قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر: ٩ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ فاطر: ٢٨، وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ المجادلة: ١١ وقال تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: ١١٤، وقال صلى الله عليه وسلم : ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))(١)، وقال صلى الله عليه وسلم : ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة، إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)). (٢) وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)).

---

(١) رواه البخاري، ١/٣٩، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقه في الدين، رقم الحديث(٧١).

(٢) رواه مسلم، ٣/ ١٢٥٥ كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان بعد موته، رقم الحديث (١٦٣١).

[(١)] والأدلة من الكتاب والسنه عن العلم، كثيرة ومبسوطة في كتب أهل العلم، والداعية الذي لا يتحلى بالعلم داعية ضلال وفساد، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يوسف: ١٠٨، يقول الشيخ: (أمرنا الله تعالى أن نتدبر القرآن ونعتبر به، ونتذكر ونهتدي، وأن نعلم ما نقوله في صلاتنا من آياته وأذكاره، وأكد هذه المسائل في آيات كثيرة، والامتثال لها والعمل بها لا يكون إلا بفهم العربية الفصحى، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وجعل الله تعالى القرآن معجزا للبشر ولا تقوم حجته في هذا عليهم إلا بفهمه). [(٢)]

ويقول الشيخ مؤكّدًا على أهمية العلم: (الأصل في هذه الخليقة أن الله تعالى خلق الإنسان جاهلاً لا يعلم شيئا من ضروريات حياته، حتى إن غرائزه الخلقية أضعف من غرائز الحشرات والعجماوات، وجعل عماد أمره على التربية والتعليم التدريجي، ونصوص القرآن في هذا معروفة كقوله: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٧٨.... والنص الصريح في هذه السورة قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ يونس: ٣٦، وقوله: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يونس: ٦٦) . [(٣)] .

ويقول الشيخ موضحاً أهمية التعليم: (ورأينا أن سبب التقدّم الذي يجمع كل الأسباب وترجع إليه جميع الوسائل هو تعميم التربية والتعليم في جميع عناصر الأمة على طريقة واحدة، ولا يمكن الوصول إلى هذه الغاية إلا بشركات مالية تنشئ المدارس

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، ١/٣٩، كتاب العلم، باب الاغتباط في العلم والحكمة، رقم الحديث (٧٣)، ومسلم، ١/٥٥٨، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، رقم الحديث (٨١٥).

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/٢٥-٢٦.

(٣) المرجع السابق، ١١ /٤١٤.

الوطنية، وتختار لها المعلمين المهذبين، وسنواظب على الحث على هذا المشروع، ونبين مزاياه فيما يأتي من الأعداد.... من ينظر في تاريخ الأمم، ويكتنه شؤونها؛ يتجلى له أن القوة، والمنعة، والغنى، وبسطة الملك، وسائر موارد السعادة؛ مناطها تعميم التربية والتعليم على الوجه الذي ينبغي، وأن سعادة الأمة في التربية والتعليم مبني على المشاهدة والاختبار التام، والشبه على عدم فائدتها تستند على اختبار ومشاهدة، لكِن ناقصين غير تامين). (١)

وكذلك الشيخ أفرد في مجلته أبواباً عن التربية والتعليم، يتكلّم فيها عن أسبابها، وطرقها، وأثرها في الأمم، فيقول موضحاً أثر العلم على الأمم: (سعادة الأمم بأعمالها، وكمال أعمالها منوط بانتشار العلوم والمعارف فيها، كل أمة ترغب عن العلم فمآلها إلى الشقاء، شقاء الاستعباد وفقد الاستقلال، لا يعصمها منه اتساع مساحة بلادها، ولا كثرة أفرادها، ولا عظمة حكامها، ولا صحة دينها، ولا شرف أسلافها، ولا شيء مما يتعلل به المسترسلون مع الأوهام، المنقادون بأزمة الغرور، وكل أمة نشطت لاقتباس العلوم والاستضاءة بنور الأعمال النافعة، فأقامت أساس مدنيتها على هدى، فبشرها بالسعادة؛ إذ العلم يصلح كل خلل، ويشفي من جميع العلل، يشهد بجميع ما قلته العيان، وينطق بصحته البرهان). (٢) كأنه هنا يشخّص المرض بدقه، ثم يصف الدواء الناجع الذي يسلب به لبك، ويجعلك مقتنعا بكلامه التشخيصي؛ مما يكون حافزًا للعلم والتربية. ويقول أيضاً: (سل التاريخ عن أحوال الأمم والشعوب التي سقطت في مهاوي العدم، وماذا كان من السبب في سقوطها، وعن الأمم الواقفة على شفا الخطر، وما علّة يأسها وقنوطها، سله عن الدول التي طاولت السماء في رفعتها، وفاخرت الجبال في قوتها

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٦/١.

(٢) المرجع السابق، ٥٦/١.

ومَنَعَتها، وهزأت بعقاب الجو في عزها وعصمتها، أَصِخْ بسمعك للتاريخ، واستمع لما يتلوه عليك، تجد أن جوابه عن هذا كله محصور في كلمتين وهما: علم وعمل، وجهل وكسل، فبالعلم والعمل يقرن كل تقدم ورقي، وعن الجهل والكسل ينشأ كل تأخر وهوي، فلكل غاية مبدأ، ولكل رغيبة طريق يوصل إليها، وكل من سار إلى الدرب وصل ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴾ الأحزاب: ٦٢، كل هذا من البديهيات الثابتة بالمشاهدة والاختبار، فلا ينازع فيها إلا الصم البكم العمي الذين لا يعقلون). [١] ومجلة المنار مليئة بمثل هذه العبارات التي تحيي في الأمه الدّعوة الى تعلم العلوم وأنها سبب الرقي، وذم الجهل والدعاة إليه، وقد سبق الشيخ إلى الفكرة السابقة الذكر في التعليم، وإنشاء الشركات المالية التي تنشئ المدارس الوطنية، وتختار لها المعلمين المهذبين، وقد أشار الى أمر مهم في طلب العلم كان منتشراً في عصره، وهو داء مستشري فيه، بينه بكلام جميل، ربطه فيه بأثره على الفرد والأمّة بأسرها، فيقول: (يذهب كثير ممن يسعون بإنشاء المدارس وتعميم التعليم إلى أن العلم الذي يكفل السعادة للأمة هو ما يعلم في مدارس الحكومة، كبعض اللغات الأجنبية والفنون الرياضية والطبيعية، والقوانين الأوروبية الذي يؤهلهم للوظائف؛ لأن السواد الأعظم منا يرى أن الغاية من العلوم والفنون خدمة الحكومة، بمعنى أن يكون للإنسان وظيفة فيها تعطيه مالاً يعيش منه، وجاهًا يعتز به، ولا يبالي مع ذلك بأي مجلى ظهر، وبأي لون اصطبغ، ومن ينحو بتعليمه هذا المنحى فهو جاهل، ومن يرمي بتعليمه إلى هذا الغرض فهو خاسر، لأنه غرض خسيس لا يتجاوز المنفعة الشخصية، ولا يبالي صاحبه بشقاء الأمة، بل ولا بفنائها إذا كان وسيلة لمصلحته وطريقًا لمنفعته، وأجدر بتعليم هذا شأنه أن يعد من البلاء لا من النعماء، وأن يرغب عنه

---

(١) المرجع السابق، ٥٦/١.

ولا يرغب فيه، وأن يسعى في إزالته لا في إنالته، والغاية الصحيحة التي نقصدها نحن وجميع العقلاء من التربية والتعليم؛ ما يجعلنا أمة عزيزة سعيدة، يحافظ كل فرد منها على جامعته الجنسية والدينية والوطنية، ويشرب في قلبه أن ما أصاب أمته من حسنة فنعمتها شاملة له، وما أصابها من سيئة فمعرتها لاحقة به). (١)

من مقالات الشيخ في الحث على العلم والتعلم:

يقول الشيخ: (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب أما بعد: فهذا صوت صارخ بلسان عربي مبين، ونداء حق يقرع مع سمع الناطق بالضاد مسامع جميع الشرقيين، ينادي من مكان قريب يسمعه الشرقي والغربي، ويطير به البخار فيتناوله التركي والفارسي، يقول: أيها الشرقي المستغرق في منامه، المبتهج بلذيذ أحلامه، حسبك حسبك ! فقد تجاوزت بنومك حد الراحة، وكاد يكون إغماءً أو موتاً زؤاماً، تنبه من رقادك، وامسح النوم عن عينيك، وانظر إلى هذا العالم الجديد، فقد بُدِّلت الأرض غير الأرض، ودخل الإنسان في طور آخر خضع له به العالم الكبير، فهذه الجمادات تتكلم بغير لسان، وتكتب من غير قلم ولا بنان، والوحوش حُشرت مع الأنعام، والمراكب تجوب السهوب والفيافي وتفترع الأعلام، بل طارت في الهواء تسابق الرياح، وتساهم ذوات الجناح، واستولى أخوك المستيقظ على قوى الطبيعة، فقرن بين الماء والنار، وولدهما البخار، واستخدم الكهرباء والنور فاخترق بذلك الجبال، واختبر أعماق البحار، وعرف مساحة الهواء، ونفذت أشعة بصره الكثائف، ووصلت أمواج صوته إلى كل مكان سحيق، فقرب أبعاد الأرض وجمع بين أقطارها، بل عرج بهمته للقبة الفلكية فعرف الكواكب ومدارها، ومادتها ومقدارها، حسبك حسبك ! هُب

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/ ٥٦٧.

من سباتك واستيقظ من هجوعك، فقد ولت حنادس الجهالة، وأشرقت شمس المعرفة، انظر وتأمل ماذا يفعل أخوك المستيقظ يدكّ الحصون والصياصي، ويقوض المعاقل والهياكل، وهو متكئ على أريكته ينظر إليها بالآلة المقربة للبعيد، ويقيم الحصون والأسوار، ويشيد البوارج والأبراج، ولا يتعب له عضل، ولا يندى له جبين، ولا يحتاج في أمثال هذه الأعمال العظيمة إلا إلى إشارة لطيفة، وحركة خفيفة، فالطبيعة تخضع لإشارته، وتسير طوع يمينه، فيتم له كل ما يريد، لا يهولنَّك ما تسمع، ولا يروعنك ما ترى، واعلم أن هذا العصر عصر العلم والعمل، فمن علم وعمل ساد، ومن جهل وكسل باد، ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ غافر: ٢٩. كانت العلوم الطبيعية على عهد أسلافك أفكارًا متضاربة، وآراءً متناقضة، وأقوالاً متعارضة، لم تأتِ عن امتحان وعمل، ولم يكد يُبْنَى عليها عمل، ولذلك كثر ذامّوها، وقلّ مادحوها، وأما في هذا العصر فليس العلم إلا ما أثبته العمل، أو بُني عليه عمل، فما لم يحتف به العمل من قطريه، لا يعول عليه، فالأعمال تنمي العلوم، والعلوم تمد الأعمال، وشاهد ذلك عندك الحديث الشريف: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) قاعدة وُضعت في الشرق، واهتدى للانتفاع بعمومها أهل الغرب، والذين صدرت بلُغتهم لاهون غافلون. فلا تضيع أوقاتك بالتخيل والتفكر، ولا تجعل حظك من حياتك الأماني والتشهي، ولا تدع للأوهام في ذهنك مجالاً واسعًا ومكانًا فسيحاً ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾النساء: ١٢٣، ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ فصلت: ٤٦، فعليك بالعلم والعمل رض بهما نفسك، وربِّ عليهما ولدك، فلقد حَلَّ من لساني عقدة الاعتقال والسكوت، وأطلق قلمي من عقال الدعة والسكون، استغرق بعض إخوتي وإخوتك في النوم، وغرق بعضهم في بحار الوهم، وجهل المريض منهم بدائه، ويأس العالم بمرضه من شفائه، فأنشأت هذه الجريدة إجابة لرغبة مَن تنبهت نفوسهم لإصلاح الخلل، ومشايعة للساعين

في مداواة العلل، الذين أرشدهم التعاليم الدينية، وهداهم النظر في الآيات الكونية، إلى أن اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته جل علاه هو عين الكفر والضلال، وآية الخزي والنكال، فأحبوا أن يعملوا لأمتهم، ويقوموا بخدمة لملتهم، فالجريدة تكون وصلة بينهم وبين الأمة، تبعث بإرشادهم روح الهمة في أفرادها، وتحيي ميت الغيرة من نفوس آحادها، وتجاري الحُدَاة لدى السير في مناهج الترقي، وتنتصب منارًا في أخرات الشبهات، ومجاهيل المشكلات، وغرضها الأول الحث على تربية البنات والبنين، لا الحط في الأمراء والسلاطين، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، لا الاعتراض على القضاة والقانون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على مجاراة الأمم المتمدنة في الأعمال النافعة، وطروق أبواب الكسب والاقتصاد، وشرح الدخائل التي مازجت عقائد الأمة، والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها، والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد، والتأويلات الباطلة التي شبهت الحق بالباطل، حتى صار الجبر توحيدًا، وإنكار الأسباب إيمانًا، وترك الأعمال المفيدة توكلاً، ومعرفة الحقائق كفرًا وإلحادًا، وإيذاء المخالف في المذهب دينًا، والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحًا، واختبال العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفانًا، والذلة والمهانة تواضعًا، والخنوع للذل والاستبسال للضيم رضًا وتسليمًا، والتقليد الأعمى لكل متقدم علمًا وإيقانًا، تُشَخِّص هذه الأمراض الروحية وأشباهها، وتوضح عللها وتصف علاجها، وتجتهد في تأليف القلوب المتنافرة، ووصل العلائق المتقطِّعة، وجمع الكلمة المتفرقة ما استطاعت، وتحاول إقناع أرباب النحل المتباينة، والمذاهب المختلفة أن الله تعالى شرع الدين للتحابّ والتوادّ، والبر والإحسان، وأن المعارضة والمناهضة، والمناصبة والمواثبة تُفضي إلى خراب الأوطان، وتقضي على هدي الأديان، وتحث على التمسك بالدين، وتبين أنه أساس السعادة وأن الكفر فساد العمران، وتدرأ الشبه الواردة على الشريعة الإسلامية، وتدحض مزاعم مَن قال: إنها

حجاب كثيف، وسد حائل بين الآخذين بها وبين المدنية الصحيحة، لجهلهم بما انطوت عليه من الحكم الرائعة، والأحكام العادلة، وترشد العاملين إلى أن محاولة الطفور غرور، وأن طلب الغاية في البداية جهل وحرمان، وأن مراعاة السنن الإلهية، ومسايرة النواميس الطبيعية كافية بتوفيق الله تعالى لبلوغ كل مقصد، ونيل كل مرام، وتنبه العثمانيين على أن الشركات المالية هي مصدر العمران، وينبوع العرفان، وأن عليها مدار تقدم أوربا في الفنون والصنائع، لا على الملوك والأمراء، فهي التي تنشئ المكاتب والمدارس، وتشيد المعامل والمصانع، وتسيّر المراكب والبواخر، ونموذج ذلك بين أيديهم، وتحت مواقع أبصارهم، وتنشر محاسن اللغة العربية بالتحلي بفرائدها واقتناص أوابدها، وتقييد شواردها، على سبيل التدرج في الاستعمال، ولا تأتلي أن تذكر ما تفيد معرفته من أخبار السياسة الخارجية، وتثبت ما يهم بيانه من الحوادث المحلية، مع انتقاء الصادق والاعتدال، لا تميل مع ريح حزب من الأحزاب، ولا تتطرف لجانب تفريط أو إفراط، بحسب ما يصل إليه الاجتهاد، لكنها عثمانية المشرب، حميدية اللهجة، تحامي عن الدولة العلية بحق، وتخدم مولانا السلطان الأعظم بصدق، وتتحامى المطاعن الشخصية، والأماديح الشعرية، لكنها لا تني في تقريظ الأعمال العامة الموضوع، وتقريض الكتب المؤلفة لإفادة الجمهور بالقول الصحيح، والانتقاد الرجيح، وتقبل الانتقاد الأدبي من كل أحد، وتقابل عليه بالثناء والشكر، وتذعن للحق كيفما طلع بدره، ومن أين انبلج فجره، وتتلقف الحكمة من حيث أتت، وتأخذها أينما وجدت، هذا ما توجهت إليه النفس واعتزمت عليه بعد تصحيح النية وإخلاص القلب، ولا أجهل أنني حاولت أمرًا جليلاً، وحملت نفسي عبأ ثقيلاً، ينوء بالعصبة أولي القوة ويعوز إلى تأليف لجنة أو عقد جمعية، لكنني مع ذلك أعلم أن للحق أنصارًا، وللصالحات أعضادًا تستمد الجريدة من بحار أفكارهم، وتغتذي بالكلم الطيب من مجاني عرفانهم، وتستقي مداد الحكمة من أنابيب أقلامهم، ومن جراء هذا أو

ذاك مر عليَّ حين من الدهر بعد تصور الموضوع والعزم على الشروع، وأنا بين إقدام وإحجام، ويأس ورجاء يحركني الباعثان، ويتنازعني العاملان حتى أعملت الأمل، ورجحت الإقدام على العمل وما أجدرني بموقف الحيرة بين بين، وقد أنذرني بعض عظماء هذا القطر، بما صدقه به الابتلاء والخبر، من أن الجد مرغوب عنه، لا مرغوب فيه، وأن السواد الأعظم من الأمة قد ثار حابلهم على نابلهم، وهضم مفضولهم حقوق فاضلهم، فأصبحوا ومطامح أنظارهم انتقاد الحكومة المحلية، ومطارح أفكارهم العداوات الشخصية، ولا يديرون ألحاظهم، أو يعيرون التفاتهم لما وراء الغميزة والإزراء، إلا ما كان من نكتة هزلية، أو رواية غرامية، فإذا رأوا جريدة تفند أكثر أقوالهم، وتنعي على إسرافهم في أمرهم، وتسجل عليهم التقصير في العمل المفيد عمارة بلادهم، بل التشمير للعمل على خراب أوطانهم، أو تسليمها لأيدي الأغيار، من المهطعين للاستعمار، يوشك أن يلفظوها لفظ النوى، ويضربوا بها عرض الحائط، لكنني وطنت النفس على الاقتناع بمؤازرة الكرام، ومعاضدة الأخيار، نعم إن الكرام قليل، ورجاؤنا أن يكونوا آخذين في النمو لما تقتضيه حالة العصر ويزعج الأمة إليه موقفها الحرج، وبالله المستعان وعليه التكلان، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق: ٣) . [(١)]

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/ ١.

المبـحث الثاني

جهوده في الدعوة إلى الاهتمام بالسنة

مدخل:

إن الشيخ محمد رشيد رضا من الشخصيات الحديثية البارزة في العصر الحديث ذات الباع الطويل في هذا العلم جرحاً وتعديلاً وتخريجاً، وما ذلك إلا لأهمية تعلم السنه للداعية ومما لابد للعالم المسلم من معرفته لكي يعرف الاستدلالات ويستنبط الأحكام ويرد على الخصوم فأما طلبه الحديث وعنايته به فقد بدأ في وقت مبكر دراسة الحديث في قريته القلمون قبل أن ينتقل إلى طرابلس الشام في طلب العلم وكان أول ما تلقاه في ذلك كتاب الأربعين النووية حيث قرأه على شيخه الشيخ محمود نشابه وذلك قبل أن يبدأ بطلب العلوم. (١) ولهذا يقول: (قد فطنت في أثناء طلبي العلم في طرابلس الشام لإنكار قول العلماء: أن جميع ما قرره الفقهاء في كتبهم من الأحكام، دين أوجب الله علينا اتباعه ونحن نرى بمدارسته أن أكثر أراء المؤلفين يستنبطها بعضهم من كلام بعض، لا من كلام الله ورسوله). (٢)

وحين يدرك الطالب أهمية الحديث ودراسته على هذا المستوى فإنه بلا شك يكون قد وضع الأساس السليم الذي ينبغي أن يعرفه طالب الحديث، وقد تلقى عن شيخه الشيخ أحمد القاوقجي ما رواه من الأحاديث المسلسة وكتابه المعجم الوجيز في الحديث

---

(١) انظر: تفسير المنار، رشيد رضا، ١١٢/٧.

(٢) تاريخ الأستاذ الإمام، رشيد رضا، ٤٥/١.

وعن الشيخ محمود نشابة صحيح البخاري ومسلم، وتلقى عن الشيخ عبد الغني الرافعي كتاب نيل الأوطار وهو شرح كتاب منتقي الأخبار لابن تيميّة. (١)

ولما أجيز الشيخ علمياً ودخل ميدان العمل في الحياة زاد اطلاعه على دواوين السنة وكتب الرجال حتى أصبح له في هذا الميدان شأن كبير، والذي يدل على مدى هذه العناية، وطول اشتغاله بكتب السنة أنه حين وقع له كتاب مفتاح كنوز السنة ففرح به أيما فرح، وأثنى عليه كل ثناءٍ، وطلب من تلميذه الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي(٢) ترجمته وتحقيقه وطبعه، فقام بهذا الجهد خير قيام وكتب الشيخ محمد رشيد رضا مقدمة هذا الكتاب وجاء من ضمن ما كتبه فيها يقول: (ولو وجد بين يدي مثل هذا المفتاح لسائر كتب الحديث لوفر على أكثر من نصف عمر الذي أنفقته في المراجعة، ولكنه لم يكن ليغنيني عن هذا الكتاب مفتاح كنوز السنة فإن ذلك إنما يهديك إلى مواضع الأحاديث القولية التي تعرف أوائلها وهذا يهديك إلى جميع السنن القولية والعملية وما في معناها كالشمائل والتقريرات والمناقب والمغازي وغيرها فلو كان بيدي هو أو مثله من أول عهدي بالاشتغال بكتب السنة لوفر علي ثلاثة أرباع عمري الذي صرفته فيها ولمكنني

(١) انظر: رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، ص٣١.

(٢) محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد، عالم بتنسيق الأحاديث النبوية ووضع الفهارس لها ولآيات القرآن الكريم، مصري الأبوين، ولد في الثالث من شهر جمادى الأولى ١٢٩٩هـ، ونشأ في القاهرة، ودرس في بعض مدارسها ثم عمل مترجما عن الفرنسية في البنك الزراعي وانقطع إلى التأليف، كان صائم الدهر، قوي العزيمة، ترجم مفتاح كنوز السنة عن الإنكليزية، وتفصيل آيات القرآن الحكيم عن الفرنسية، وصنف تيسير المنفعة بكتاب مفتاح كنوز السنة، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم في ثلاثة أجزاء، ومعجم غريب القرآن، وفهرس موطأ الإمام مالك وسنن ابن ماجه، ضعف بصره إلى أن كف، قبيل وفاته وتوفي بالقاهرة سنة١٣٨٨ه. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/٣٣٣).

من الاستجابة لمن اقترحوا على أن أضع كتاباً جامعاً للمعتمد منها وكتاباً آخر للمشكل منها في نظر علوم هذا العصر وفلسفته والجواب المقنع عنه). (١)

ويؤكد الشيخ عنايته بالحديث وعلومه فيقول: (إنني وفقت لطلب العلم من طريق الدليل ثم وفقت لنشره بالدليل وفقت للمناظرة وللإفتاء بالدليل واشتغلت بالعلم الحديث من العهد بالطلب وارتقيت فيه بالتدريج وتمرنت على مراجعة كتبه وكتب الجرح والتعديل لتخريج الأحاديث ونقدها وسرعة الوصول إليها في أقرب طرقها، واشتهرت عند من يعرفني من أهل العلم والذكاء .... حتى أنه يظن أن عندي فهارس لأوائل الأحاديث كلها ومعجماً لمفرداتها كهذا الكتاب يبين عند كل كلمة مواضع كل حديث وردت فيه من كتبها، ثم علم أنه ما ثم مفتاح إلا مفتاح الصحيحين المطبوع المشهور، وهو خاص بأوائل أحاديث الصحيحين القولية والمسندة وبيان مواضعها من المتن). (٢) والشيخ كثرت بضاعته في الحديث وخبرته بعلومها حتى غدا آخر الأمر حامل لواء السنة وأبرز أعلامها في مصر خاصة نظراً لما كان عليه علماء الأزهر من إهمال لكتب السنة وعلومها وتبحرهم في المذاهب الفقيه والكلامية واللغوية وغيرها. (٣)

---

(١) مفتاح كنوز السنة، لونسنك، ترجمة فؤاد عبد الباقي، مقدمة الشيخ محمد رشيد رضا، ص/ع، مطبعة معارف لاهور، ١٣٩٨ه.

(٢) المرجع السابق، المقدمة، ب-ج.

(٣) انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ص٤١، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

المطلب الأول

تصويبه لشيخه دفاعا عن السنة

ومما يظهر جلياً فارقاً أنه، كثيراً ما انتقد أستاذه الأستاذ محمد عبده وصحح له بعض الأحاديث ومنها :

أولا: أن أستاذه أورد عبارة تفيد أن : ((الفقراء عيال الله)) فعلق عليها الشيخ بقوله: (أخذ الأستاذ هذا التفسير من الحديث المشتهر ((الفقراء عيال الله)) وإنما الرواية ((الخلق عيال الله)) وهو ضعيف السند)[1] وهو هنا يصحح لشيخه الرواية ويذكر ضعف السند، وحيث ارتضى الأستاذ محمد عبده في مقام آخر رأي من يقول، إن المراد بغضب الله لازمه وهو العقاب، فعقب على ذلك الشيخ فقال: (وغضب الله يفسرونه بلازمه وهو العقاب، ووافقهم الأستاذ الإمام، والذي ينطبق على مذهب السلف أن يقال: إنه شأن من شئونه تعالى، يترتب عليه عقوبته وانتقامه).[2]

ثانيا: تميز تفسيره بعد وفاة الأستاذ محمد عبده بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها وفي تحقيق المفردات، أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها بما يثبتهم بهداية

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٢/٨.

(٢) المرجع السابق، ١/ ٦٨.

دينهم في هذا العصر أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس). [١]

(١) المرجع السابق، ١/١٦.

المطلب الثاني

منهجه العلمي العملي فيما يتعلق بالسنة في مجلة المنار

لقد اختط الشيخ لنفسه في السنة منهجاً كان له أثره في توجه أنظار المشتغلين بالسنة إليه، وهو يقول في هذا : (ولما أنشأتُ المنار في أواخر تلك السنة [(١)] التزمت فيه تخريج كل ما أنقله فيه من الأحاديث فكان لذلك بعض التأثير في بعض طلاب العلم في الأزهر ثم في مدرسة القضاء الشرعي وكان جل الذين اشتغلوا بالحديث منهم من إخواني وأصدقائي، فبإحيائي لهذه السنة بالقول وبالعمل، وبالدعوة إلى السنة وهدي السلف والنهي عن مستحدثات البدع، وصفت بمحيي السنة على ضعف حفظي في الرواية وقله حظي من الدراية، ولله الحمد على ما أعطى ومنع له وحده الفضل والمنة). [(٢)]

وقد اختار لمجلة المنار حديثاً نبوياً جعله شعاراً لها يكتبه في أول كل صفحه من كل عدد، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ((إن للإسلام صوى[(٣)] ومنارا كمنار الطريق)). [(٤)]

---

(١) صدر العدد الأول من المنار في ٢٢ شوال سنة ١٣١٥هـ.

(٢) رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، ص٢٥.

(٣) الصوى جمع صُوه بضم الصاد المهملة وهو حجر يكون علامة في الطريق يهتدي به المارة، وكذلك في الصحراء، والمنار موضع النور، والمنار العلم يوضع بين الشيئين من الحدود، والأصواء الأعلام المنصوبة المرتفعة في غلظ، والمنار علم الطريق ومعنى إن للإسلام مناراً: أن له علامات وشرائع يعرف بها. (انظر : لسان العرب، ابن منظور، ١٤/٤٧٢).

(٤) نص الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن للإسلام صوى ومنارا كمنار الطريق، منها أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئا وإقام الصلاة وإيتاء

=

ويقول الشيخ في سبب اختيار هذا الشعار: (إننا قد اقتبسنا اسم المنار من الحديث الشريف تفاؤلاً بأن يكون مبيناً لصوى الإسلام وناصباً لأعلامه وموضحاً لنور الحقيقة التي يحتاج إليها في حياتنا الملية والاجتماعية والله الموفق والمعين). (١)

وأضاف الشيخ إلى ذلك التوسع في رواية السنة الصحيحة فيما يتعلق بالآية سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الأخلاقية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر أو يقوي حجتهم على خصومهم من الكفار والمبتدعة، أو بحل بعض المشكلات التي أعيا حلها، بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس. (٢)

ويتلخص في:

١ – تلقي علوم الحديث عن مشائخه، حيث تلقى عن الشيخ أحمد القاوقجي وعن الشيخ محمود نشابه فكان يتلقى عن الأولى ما رواه من الأحاديث المسلسلة وكتابه المعجم الوجيز في الحديث وعن الثاني صحيحي البخاري ومسلم.(٣)

الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تسلم على أهلك إذا دخلت عليهم وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم فمن ترك من ذلك شيئا، فقد ترك سهما من الإسلام ومن تركهن كلهن، فقد ولى الإسلام ظهره))، اخرجة الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٦٥١/١، رقم الحديث(٣٣٣).

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١٦/١.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٦٣/١٠.

(٣) انظر : تفسير المنار ، رشيد رضا ، ١٣٧/٧.

٢ – اهتمامه بكتاب مفتاح كنوز السنة فقد طلب من أحد تلاميذه وهو محمود فؤاد عبدالباقي ترجمته وتحقيقه وطبعه وقدم له الشيخ محمد رشيد رضا مقدمة أثنى فيها عليه وعلى طريقة كتابته وعلى الكتاب والفوائد منه وما يوفره من وقت وجهد أثناء البحث عن الأحاديث(١).

٣ – التزام الشيخ بتخريج الأحاديث التي ينقلها في كتبه وفي مجلة المنار بشكل خاص فيقول: (ولما أنشئت مجلة المنار في أواخر تللك السنه التزمت فيه تخريج كل ما أنقله فيه من الاحاديث فكان لذلك بعض التأثير في بعض طلاب العلم في الأزهر ثم في مدرسة القضاء الشرعي، وكان جل الذين اشتغلوا بالحديث منهم من إخواني وأصدقائي.... الخ).(٢)

٤ – توجيه أنظار المشتغلين بالسنة إليها .

٥ – جعل شعار المجلة في كل عدد هو السنة والاقتداء بها .

٦ – التوسع في رواية السنة الصحيحة المتعلقة بالآيات فيما يعرضه من آيات في مجلة المنار وفي تفسير المنار .

---

(١) انظر: مفتاح كنوز السنة، فؤاد عبد الباقي، المقدمة/ع.

(٢) المرجع السابق، المقدمة/ ق.

المطلب الثالث

الرد على شبه المناوئين للسنه

أولاً: الرد على شبهات مجلة المبشرين العربيه الشرق و الغرب.

نشرت مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) مقالة بعنوان السنة وصحتها في عددها الذي صدر في أول إبريل سنة ١٩١٦م طعنت فيها على السنة النبوية وزعمت أن طعنها يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها، وأنها لا قيمه لها في نفسها .

وقد طلب كاتب المقال من ثلاثمائة مليون مسلم من أهل السنة أن يجيبوا عما كتب إمعاناً منه في التحدي وظنا منه أن ما وقف عليه من الأدلة لا يستطيع مسلم نقضه أو زعزعته لارتكازه على أساس متين، ولم يكن الشيخ أحس بما أبداه كاتب المقال من تحديه واستطالته واستهانته بفهم المسلمين وعلمائهم ومقدرتهم على بيان الحق والوقوف بجانبه في كل زمان ومكان، وكان من مظاهر هذا التحدي أن المجلة طبعت ووزعت ثم طبع المقال وحده بمطبعة الجلاتين ووزع على الناس ومنهم الشيخ الذي وصله المقال ضمن موضوعات المجلة ثم وصله المقال على حده، حيث قام بالرد عليه وبيان ما في مقالته من كذب وافتراء عارضا وناقدا ومحاورا لا يشق له غبار. (١)

من الشبهات التي اوردتها المجلة:

قال الطاعن: (إن صحة الشريعة قضية لا بد لكل مسلم سني من التسليم بها، وذلك متوقف على صحة السنة، فإذا ارتاب أحد في صحة السنة فليس ثمة داع منطقي يوجب

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩/٢٥-٢٦.

إطاعة الشريعة، لأن جانباً قليلاً منها فقط يتوقف على القرآن، والجانب الأكبر يتوقف على السنة التي اجتمعت في الأحاديث، فإذا ثبت الريب في هذه الأحاديث تزعزعت أركان الشريعة، وأركانها تابعيها من حنفي ومالكي وشافعي وحنبلي، وعددهم لا يقل عن ثلاثمائة مليون من الأتباع). (١)

وقد تناولها الشيخ وذكر أنها تتلخص في ثلاث قضايا وهي :

القضية الأولى:

من كلام الطاعن: (زعمه إذا أرتاب أحد في السنة ينتفي وجوب طاعة الشريعة)أجاب الشيخ: (هذه القضية بديهية البطلان، فإن الإطلاق في جواب الشرط يدل على أن المراد من القضية الشرطية إن أرتاب فرد من الأفراد في صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب اتباع الشريعة على جميع الأفراد، والمعقول الموافق للمنطق ان ارتياب الفرد أو ظنه أو علمه، يترتب عليه ما يستلزمه في حق نفسه، ولا يكون ذلك مؤثراً في غيره، ممن لم يرتب ارتيابه، أو لم يعلم علمه وكذلك ارتياب الأفراد الكثيرين وقد ارتاب بعض علماء أوربة الأحرار في وجود المسيح عليه السلام، وزعموا أنه شخص خيالي أو متخيل لم يوجد كما زعم بعض المؤرخين مثل ذلك في هوميروس شاعر أساطير اليونان، فهل استلزم ارتياب اولئك المرتابين فيه انتفاء إيمان مئات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجوده عليه السلام). (٢)

---

(١) مجلة الشرق والغرب، عدد أول إبريل سنة ١٩١٦.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩/ ٢٧.

القضية الثانية :

من كلام الطاعن: (زعمه أن أكثر الشريعة يتوقف على الأحاديث) وأجاب عنها الشيخ فقال: (هذه القضية غير مسلمة، فإن الشريعة عندنا تشمل العقائد والعبرة فيها بالدلالة القطعية، وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الإسلام ثابتة بنصوص القرآن، وإجماع المسلمين وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياب في بعضها وكذلك أصول العبادات كلية القطعية، ثابت بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على الأحاديث الآحاد وما ثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد و لم يجمع عليه أئمة العلم، فلا تتوقف عليه صحة الإسلام وإن كان صحيحاً في نفسه، وإنما هو مزيد كمال في علم السنة، وإحكام الشرع في المعاملات، فأكثرها مأخوذ من القواعد والأصول وكذا الفروع الواردة في القرآن الكريم، إما بالنص، وإما بدلالة النص وفحواه، ومن القياس الذي توسع فيه بعضهم كالحنفية والشافعية والمصالح العامة التي توسع المالكية والحنابلة وأقلها من حديث الآحاد، وما بقي من أركان الشريعة بعد العقائد والأحكام العملية إلا الأخلاق والآداب وجميع ما ورد في الحديث من الحكم والفضائل والآداب فهو مستمد من القرآن الحكيم وشرح له. بل السنة كلها ببيان القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ النحل: ٤٤، وأحكام السنة التي لا تستند إلى نص من القرآن، قيل: أنها بوحي من الله تعالى، وأن الوحي لا ينحصر في القرآن وحده، ولكن القرآن مزايا ليست

لغيره من وحي الله إلى خاتم رسله، ولا إلى الرسل قبله، أعظمها إعجازه والتعبد بتلاوته، وقيل: إن الله إذن لرسوله بأن يحكم ويشرع برأيه واجتهاده). [١]

القضية الثالثة:

من كلام الطاعن: (زعمه أنه إذا ثبت الريب في الأحاديث تزلزلت أكان الشريعة) ويجيب الشيخ فيقول: (هذه القضية غير مسلمة أيضاً وفيها إجمال وإبهام فإذا أراد بثبوت الريب في الأحاديث، ما أفادته جملته من ارتياب بعض الأفراد ولو واحداً فقد بينا أن هذا لا يستلزم إلا ما يستلزمه الارتياب في نفس المرتاب وحده، وإذا أراد ارتياب جميع الناس، أو جميع الأحاديث، فهذا ما وقع ولن يقع، ولا يعقل أن يقع، وسنشرح ذلك على وضوحه في نفسه، فإن فرضنا جدلاً أنه يقع فإنما يترتب عليه حينئذ الاكتفاء في الدين بما في القرآن، والسنة العملية المنقولة بعمل مئات الألوف، وألوف الألوف منذ العصر الأول، ككيفية الصلاة والصيام والحج وغير ذلك، وبما ثبت بالأجماع والقياس الصحيح، ولا ينقص من كتب الشريعة حينئذ إلا الأحكام التي تثبت بأحاديث الآحاد وحدها، كما بيناه في الكلام على القضية الثانية. وبهذا وذاك يظهر لك بطلان قوله: (تزعزعت أركان الشريعة وأركان تابعيها) فإن أراد بأركان الشريعة، أصول العقائد، وقضايا الإيمان، التي يكون بها المرء مؤمناً، فقد علمت أنه لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد، وإن أراد أركان الإسلام الخمسة فكذلك فإن معرفة هذه الإركان لا تتوقف على ثبوت الأحاديث الواردة فيها، فإنها مجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة، سواء صح ما ورد فيها من الحديث أم لم يصح، على أنّه صحيح والحمد الله. وإن أراد بأركان الشريعة أو أركان تابعيها، أصولها المستمدة منها عند الأئمة الأربعة، فقول أظهر بطلاناً، فإن هذه الأركان

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩/٢٧- ٢٨.

أربعة الكتاب والسنة والإجماع والقياس وما الحق بها عند بعضهم كالمصالح والاستحسان فالأحاديث جزء من السنة التي هي ركن من هذه الأركان فالارتياب في هذا الجزء لا يوجب الارتياب في الجزء الأخر منها، وهو ما يثبت بالتواتر عملاً او قولاً، فيكف يوجب الارتياب في القرآن وكله متواتر، وفي الإجماع والقياس. قلنا: إن ارتياب جميع الناس أن جميع المسلمين في جميع أحاديث الآحاد ما وقع، ولن يقع، ولا يعقل أن يقع، وبيان ذلك أن المعهود من البشر في كل زمان ومكان أن يصدقوا خبر كل مخبر، لأن الأصل الغالب في أخبار الناس الصدق، إلا إذا وجدت علة في الخبر أو المخبر تقتضي الارتياب، كأن يكون الخبر غير معقول أو يكون المخبر معروفاً بالكذب، على أننا نرى الناس يصدقون أكثر أخبار الجرائد السياسية والشركات البرقية على كثرة ما عرفوا من كذبهما، واعتقادهم أن لأصحابهما أهواء سياسية يحاولون تأييدها بالحق وبالباطل، فإذا كان هذا شأن البشر في أمثال هذه الأخبار التي تحوم حولها الشبهات في أنفسها، وفي سيرة رواتها، فكيف يعقل أن يرتابوا في صحة جميع الأحاديث التي صححها حفاظ المحدثين بعد نقد متونها، وإقامة ميزان الجرح والتعديل لكل فرد من أفراد رواتها، وقد علم أنهم لا يقبلون في الاحتجاج حديثا منقطع الإسناد، ولا حديثا في رواته مجهول، أو أحد ثبت عليه الكذب أو سوء الحفظ أو النسيان أو مخالفة الثقات الأثبات في روايته؟ ها أنتم أولاء تصدقون أخبار أناجيلكم الأربعة وغيرها من كتبكم، وليس عندكم سند متصل لشيء منها، وقد اختلف علماؤكم ومؤرخوكم في كتابها، وفي اللغات التي كتبت بها، وفي التواريخ التي كتبت فيها، فلم يتوفر لكم فيها شيء من النقد والتمحيص الذي توفر لنا في نقل الحديث، أفتعقلون مع هذا، أن نرتاب في تصديق جميع الأحاديث التي نقلت لنا بدقة، لم يعهد لها البشر نظيرا في تاريخهم القديم ولا الحديث، وأنتم ترون أنفسكم،

وسائر البشر يصدقون أكبر ما يروى لهم بلا سند ولا بحث في رواته، بل كثيرا ما يصدقون أخبار من ثبت عليهم الكذب مرارا، كرواة البرقيات والجرائد). [١]

ثانيا: الرد على من زعم أن صحيح البخاري فيه أحاديث غير صحيحه لأنه روى الحديث عن الصحابة رضي الله عنهم بدون تدقيق.

يقول الطاعن: (إن البخاري لم يخطر بباله الارتياب في صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم) وأجاب الشيخ يقول: (هذه القضية باطلة أيضاً، لأنها حكم بعموم السلب، على شيء يتعلق بالقلب، لا يعلمه إلا الرب فإن مثل هذا الكتاب، لا يناقش في مثل هذا التعبير، لأنه لا يفرق بينه وبين القول بأن البخاري لا يتهم أحد من رواه الصحابة بالكذب ولا بغيره من العلل القادحة في الرواية، وإنما نريد بيان بطلان أن البخاري كان يرى أن رواة الصحابة معصومون، وإنما كان يرى ويقول: إنهم عدول صادقون، لا معصومون، وما قال هذا القول هو وغيره من نقاد المحدثين، إلا بعد تتبع تاريخهم كغيرهم من الرواة وقد نقل عن الطاعن ما أراد أن يسقط به عدالة أبي هريرة وشيئاً من تمحيصه لما يرويه، فالبخاري كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل في أبي هريرة وبما رواه أبو هريرة، ولم يره مسقطاً لعدالته ولو رآه مسقطاً لها لما روى عنه في صحيحه، وقد كان البخاري من أئمة أهل السنة الذين لا يقولون بأن أحد من البشر معصوم من الكذب إلا الأنبياء عليهم السلام، وصدق الرواية لا يتوقف على العصمة، وإلا لما قبل أحد من البشر قول أحد بعد تبليغ أنبيائهم الوحي وإنما يكتفي في تصديق الرواية بالعلم بعدالة الراوي، وجوده حفظه وضبطه لما يرويه ولم ينقل عن أحد من مؤرخي البشر ونقلة الأخبار مثلماً نقل عن البخاري من شده التحري في كتابه الجامع الصحيح، فليأتنا هذا الطاعن بمثله أو

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٩/١٩-٣٠.

بما يقرب منهم من علمائهم، كيف وكتبهم المقدسة تنسِب الكذب وغيره من كبائر المعاصي إلى الأنبياء برأهم الله تعالى وصلى الله عليهم وسلم، وهؤلاء المبشرون، وأهل نحلتهم لا يقولون بعصمة الأنبياء دع عصمة ناقلي كتبهم بغير أسانيد متصلة ولكنهم يقبلون ما عزى إليهم). [1]

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣١/١٩.

المطلب الرابع

دفاعه عن أبي هريرة رضي الله عنه

تضمن مقال الطاعن في السنة في مجلة الشرق والغرب، هجوما على الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه لأنه من الكثيرين الذين حفظوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا عقد البخاري فصلاً بعنوان باب حفظ العلم، و لم يذكر فيه شيئاً عن غير أبي هريرة رضي الله عنه فقال: (كان أحفظ الصحابة للحديث قال الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في عصره، وقد كان ابن عمر يترحم عليه في جنازته ويقول: كان يحفظ على المسلمين حديث النبي صلى الله عليه وسلم). [١]

من أجل ذلك كان الهجوم على أبي هريرة رضي الله عنه من المبشرين وأعداء السنة هدفاً، ليبلغوا به زعزعة الثقة في الرواية، والحط من منزلة السنة في نفوس المسلمين .

قال الطاعن فيه: (الارتياب العام في أبي هريرة بشهادة نفسه، فعن أبي هريرة قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آيتان من كتاب ما حدثت حديثاً.... إن إخواننا من المهاجرين، كان يشغلهم العمل في أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون. البخاري جزء أول كتاب العلم صفحة ٢٧ وكتب في الحاشية ما نصه: جاء في الإصابة لابن حجر ٢٣/٧ قوله: إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد علل هذا الإكثار برواية غريبة). [٢]

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٢١٤/١.

(٢) مجلة الشرق والغرب، عدد أول إبريل سنة ١٩١٦م.

وقد أجاب على ذلك الشيخ فقال: (أستدل الطاعن بهاتين الروايتين على ما سماه الارتياب العام في أبي هريرة، ويفهم من هذا أنه يوهم القارئ مقالته أن جميع أهل عصره أو أكثرهم كان يرتاب في صحة روايته، وهذه دعوى باطلة ولفظ الناس يصدق بالقليل والكثير، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ آل عمران: ١٧٣، روي في التفسير المأثور أن الذي قال ذلك هو نعيم بن مسعود وقال: إن أبا سفيان يجمع لكم جيش وقيل: إن القائل ركب عبد القيس فالناس اسم جنس يطلق على الواحد كما يقال: فلان يركب الخيل، وإن لم يركب إلا فرساً واحداً ويطلق على الكثير، وقد ثبت أن بعض الصحابة أنكروا إكثار أبي هريرة من التحديث كما هو صريح هذا الحديث الذي اعتصره الطاعن من فتح الباري وقد صرح في رواية أخرى له بزيادة : يقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون بمثل حديثه). [1]

قال الشيخ في ردا أفحم به صاحب الشبهة: (ماذا يقول الطاعن هو وسائر دعاة النصرانية لو نقل أن النبي صلى الله عليه وسلم طرد أبا هريرة كما طرد المسيح عليه السلام بطرس وسماه شيطاناً، وهو كبير تلاميذه ورسله، ففي هذا الفصل من أنجيل متى: فأخذه بطرس إليه، وابتدأ ينتهره قائلاً: حاشاك يا رب فالتفت وقال لبطرس: أذهب عني يا شيطان أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس). [2]

---

(١) نصه عند البخاري في صحيحه: (حدثنا عبد العزيز بن عبد الله قال: حدثني مالك عن ابن شهاب، عن الأعرج عن أبي هريرة قال: إن الناس يقولون: أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله، ما حدثت حديثاً، ثم يتلو: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات إلى قوله: الرحيم). وإن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم في الصفق بالأسواق، وإخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ١/٢١٤.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩/١٩.

المطلب الخامس

اهتمام الشيخ بفهم الروايات والتوفيق بين النصوص

إن اهتمامه في هذا الجانب يكشف لنا شخصية العالم المحقق المجتهد الذي لا يأخذ قضايا العلم بالمسلمات ابتداءً، وإنما يتحرى ويدقق ويستوفى ما قاله العلماء في ذلك، للاستفادة بالصحيح الذي يؤيده الدليل ونبذ غيره مما لا يقوم على أساس سليم، بل كان يعرض كل ذلك على قواعدهم في النقد والتمحيص بنظر ثاقب وفكر بعيد عن الملل، ليهتدي بعد هذا كله إلى الصواب، من خلال استعراض كل ما ورد في الموضوع من أحاديث بأسانيدها، مع الإحاطة بآيات القرآن الكريم في ذات الموضوع ليتخذ منها أساساً يرتكز عليه في تناوله لموضوعات الحديث.

وقضية التوفيق بين النصوص قضية شغلت الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً ومازالت، فقد يعرض ما يجعل بعض النصوص تعارض البعض الآخر في الظاهر، فإذا لم يكن هناك نسخ طرأ على التقدم منها أو اختلاف في الحكم لسبب كأن يكون أحد النصين عزيمة والآخر رخصة أو يكون الحكم مختلفاً بسبب تغير الحال من الاختيار إلى الاضطرار، أو يكون أحد النصين مقيداً بزمن محدد. فإن الأمر يحتاج إلى فكر واعمال ذهن مع معرفة بالنصوص وإحاطة بمدلولاتها لرد المتشابه إلى المحكم وحمل المطلق على المقيد، وترجيح أحد النصين على الأخرين ومن هؤلاء الذين ضربوا بسهم في هذا المضمار الشيخ.

ويتناول جهده في التوفيق بين النصوص هنا أمرين :

اولاً : جهده في التوفيق بين نصوص الكتاب والسنة.

ثانياً : جهده في التوفيق بين نصوص السنة بعضها مع بعض.

أولاً : جهده في التوفيق بين نصوص الكتاب والسنة:

نعرض هنا لها ببعض الأمثلة مختصرة فمن جهوده في التوفيق بين نصوص الكتاب والسنه، التوفيق بين قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥، وبين ما ورد من الأحاديث في قتال الترك والحبشة ومنها : ((اتركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء[1])) وحديث: ((اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كتر الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة)).

ويجمع الشيخ بين الآية والحديث فيقول: (قد غفل هؤلاء الذين حاولوا الجمع بين الحديث والآية عن كون الآية في مشركي العرب الذين لا عهد لهم والذين نبذت عهودهم وضرب لهم موعد الأربعة الأشهر، والحبشة نصارى من أهل الكتاب نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ المائدة: ٨٢، ومن المجمع عليه التفرقة بين المشركين وأهل الكتاب والترك كانوا وثنيين عند نزول هذه الآيات كمشركي العرب ولكنهم لا يدخلون في عموم الآية، ثم إن الأمر بترك قتال الترك والحبشة جاء تحذيراً من بدئهم بالقتال لما علم النبي صلى الله عليه وسلم أن خطراً على العرب وبلادهم سيقع منهم، والأمر بقتال مشركي العرب في هذه الآيات مبنى على كونهم هم الذين بدأوا المسلمين ونكثوا عهودهم قال تعالى: ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ التوبة: ١٣، وعلى كون قتلهم كافة جزاء بالمثل كما قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟

---

(١) قنطوراء جارية إبراهيم أو زوجه ومنها الترك والديلم.

ﭐلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾التوبة: ٣٦، فكيف يدخل وثنيوّ الترك ونصارى الحبشة في عموم هؤلاء المشركين الموصوفين بما ذكر حتى يحتاج إلى الجمع بين الآية والأحاديث المذكورة). [١]

ثانياً : جهده في التوفيق بين نصوص السنة بعضها مع بعض:

وأما جهوده في التوفيق بين نصوص السنة فهو هنا مهم لأنه يكون بين نص من نصوص السنة وآخر يعارضه أو بين نص من هذه النصوص وواقع عملي يعارض هذا النص، ونسوق النموذج التالي لتوضيح ذلك وهو نموج يجمع بين الأمرين :

روي الإمام مسلم بسنده عن ثوبان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وأني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة[٢] وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وأن ربي قال: يا محمد أني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وأني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو أجتمع عليهم من بأقطارها، أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً)). [٣]

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١٥١/١٠.

(٢) أي بقحط يعمهم.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، ١٣/١٨، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم الحديث (٢٨٨٩).

وروى مسلم بسنده عن عامر بن سعد عن أبيه: ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم أنصرف إلينا فقال: سألت ربي ثلاث فأعطاني اثنين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها)). (١) وهذا الذي وقع من تسليط أعداء الأمة عليها ينافي استجابة الله لتبينه، فقد استولى أعداء الإسلام على بلاد المسلمين.

وأجاب الشيخ عن هذا الإشكال بقوله: (إن الله تعالى لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ما داموا متمسكين بعروة الإيمان وقائمين بحقوقه ومنها الأسباب التي وعدهم الله تعالى النصر ما داموا متمسكين بها وقد بينها لهم في كتابه). (٢)

والتعارض الظاهري في نصوص تسهل الإجابة فيه بفهم النصين فهما يزيل الالتباس مع معرفة سنن الله في بلوغ النصر الذي يمنحه لعباده إذا هم سلكوا سببه وعرفوا طريقه كما أهتدى الشيخ إلى هذه السنة في رفع التعارض بين الحديث والواقع العلمي في الحياة والله أعلم.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ١٤/١٨، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم الحديث (٢٨٩٠).

(٢) تفسير المنا، رشيد رضا، ٤١٢/٧.

المبحث الثالث

جهوده في التحذير من البدع

وفيه مطالب:

المطلب الاول: تعريف البدعة ومعناها عند الشيخ محمد رشيد رضا.

المطلب الثاني: جهوده في رد بدع الصوفية وتفنيد أباطيلهم.

المطلب الثالث: جهوده في مقاومة بدعة المولد.

المطلب الرابع: بدع شهر رجب.

المطلب الخامس: موقفه من بدع شهر شعبان.

المطلب السادس : موقفه من بدع شهر رمضان.

المطلب الأول

تعريف البدعة ومعناها عند الشيخ محمد رشيد رضا

البدعة لغة:

البدعة: لفظ مشتق من بَدَعَ الشيء يَبْدَعُهُ بِدْعاً: إذا أوجده على غير مثال سابق(١)، ومنه قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ سورة البقرة: ١١٧، أي أبدعهما وأحدثهما على غير مثال سابق.

والبدع: ما كان أولاً ولم يسبقه شيء، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ سورة الأحقاف: ٩، أي: ما كنت أول رسول أُرسل إلى أهل الأرض، بل أُرسل قبلي رسلٌ كثيرون. (٢)

والبدعة: اسم هيئة من الابتداع وهي كل ما أُحدث واختُرع على غير مثالٍ سابق، سواء كان خيراً أو شرّاً، وإن كان استعمال لفظة البدعة قد غلب على الحدث المكروه في الدين. (٣)

وتدور كلمة البدعة على معنى الإحداث والاختراع المخالف لمن سبقه.

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٧ / ٦- ٧، مادة (بدع)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١١٨٣/٣، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، ١٩٨/١ و ٤٣٩/٤، تحقيق، عبد الجليل عبده شلبي، الناشر، عالم الكتب، بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، ١٠٧/١.

تعريف البدعة اصطلاحا:

عرف العلماء البدعة بعدة تعريفات منها:

هي الحدث المذموم في الدين مما ليس له أصل في الشرع، ولا تكون إلا مذمومة لأنها مخترعه تضاهي الشريعة الإسلاميّة. (١)

البدعة: ما أُحدث، مما لا أصل له في الشريعة يدلّ عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً، وإن كان بدعة لغةً (٢).

رأي الشيخ في البدع :

١) عرفها فقال: (بأن البدعة هي الفعلة أو الحالة المبتدعة المستحدثة، فإن كانت في الدين فهي شرعٌ لم يأذن به الله، وافتراء على الله، وهي ما لم يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وجماعة المسلمين في عهده من العبادات ... وأما غير الدينية المحضة فهذه منها حسن وهو النافع الذي لا مفسدة فيه، ومنها سيئ وهو الضار وما يترتب عليه فساد مثلاً، وكلٌ منهما درجات فتعتريها الأحكام الخمسة... وأما البدعة الدينية المحضة فهي لا تكون إلا قبيحة وضلالة، ودليل الكلية ما صح من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول على المنبر: ((أما بعد فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله

---

(١) انظر: الاعتصام، الشاطبي، ٣٧/١ و١٨٨/١-١٩١، ط المكتبة التجارية الكبرى بمصر، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيميّة، ٥٨٣/٢، تحقيق، ناصر عبد الكريم العقل، دار العاصمة، الرياض، ط ٦، ١٤١٩ه.

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ص٢٥٢، تحقيق طارق أحمد محمد، دار الصحابة للتراث، ط١، ١٤١٥هـ.

وإنَّ خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ بدعة ضلالة)). [(١)(٢)]

٢) ويعرفها مرة أخرى فيقول: (إن لكلمة بدعة إطلاقين، إطلاقاً لغوياً بمعنى الشيء الجديد الذي لم يَسبق له مثل، وبهذا المعنى يصح قولهم: إنها تعتريها الأحكام الخمسة، ومنه قول عمر رضي الله عنه في جمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح: نعمت البدعة. وإطلاقاً شرعياً دينياً بمعنى ما لم يكن في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجئ به من أمر الدين كالعقائد والعبادات والتحريم الديني). [(٣)]

ويقول الشيخ: (وفتح لهم باب الاحتجاج على تأييد البدع قول بعض فقهاء القرون الوسطى بأن البدعة قسمان: حسنة وسيئة، فصاروا يتبعون أهواءهم في الاستحسان وعدمه). [(٤)]

فيظهر من خلال ذلك أن الشيخ -رحمه الله- يرى القول: بأنها كلّها ضلالة، وأما الذي يَرِدُ فيه التقسيم فهو البدع اللغوية، وهي إنما تكون كما يقول الشيخ : في المستحدثات الدنيوية، فالحسن منها هو النافع كبناء القناطر والمدارس والمستشفيات وتدوين العلوم، والصناعات والحرف، والقبيح منها هو الضار في الدين أو الدنيا، والحسن يكون واجباً أو مستحباً، والقبيح يكون حراماً أو مكروهاً، وما ليس من هذا ولا ذاك

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، ٥٩٢/٢، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم الحديث(١٤٣٥).

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٢ /٢٧٣.

(٣) المرجع السابق٦٦٠/٢٧ و ١٠٣/٢ -١٠٤، ٢٥٦/١٤.

(٤) المرجع السابق، ٢٦٨/٣٢.

فهو المباح كمستحدثات الزينة غير المحرمة، والطيبات من الرزق، وهذه إنّما تسمى بدعة في اللغة، لا في الشرع. (١)

قرر الشيخ غير مرة أن أصول الدين وفروعه مبنية على أساسين: أحدهما: أن لا يعبد إلا الله تعالى، ثانيهما: ألا يعبد إلا بما شرع، فالعبادات لا تثبت إلا بنص من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وليس لأحد أن يزيد فيها برأيه شيئا فإن الله تعالى قد أكمل دينه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم (٢) وقد تكلم كثيرا عن البدع فعرفها وبين أقسامها، وأصل نشأتها، وكيفية القضاء عليها، وحمل على العلماء الذين يقصرون في مقاومتها و كان من اهتمامه بمقاومة البدع أن أنشأ لها بابا في مجلته، يشتمل هذا الباب على قسم سماه: (الأحاديث الموضوعة والواهية والمنكرة وقسم الموالد والمواسم). (٣)

وكغيره من الدعاة في مجتمعاتهم فقد كانت تعج بالكثير من المظاهر البدعية والتي تأصلت في نفوس المسلمين واصبحت واقعاً يعيشونه تشرّبته واتخذته ديناً إما مقلدين وإما جاهلين بأمور دينهم نظرا لمغريات الحياة في ذلك العصر وعدم وجود نهضة علمية تقوم بالمجتمع المسلم وتصحح له ما اختلط عليه في عقيدته وعبادته وتجعله يعمل عقله ويستدعي فطرته ويرتبط بالكتاب والسنه فيستطيع ان يميز ويتبين.

ونظراً لهذا الضعف في الامة فقد بدت مظاهر البدع وانتشرت حتى لا تكاد تخلو عبادة من العبادات إلا ودخلتها البدعة، وخبت فيها أنوار السنة، إضافة إلى بدع المآتم

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٤٧٦/٢٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٤٧٦/٢٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٤٧٤/٣.

والجنائز والأعراس. ومن تلك البدع التي راجت وانتشرت في زمن الشيخ أيضا بدعة الاحتفال بمناسبة المولد النبوي، وبدعة الاحتفال بالإسراء والمعراج، وبدعة الاحتفال بالهجرة النبوية، وبدعة إحياء ليلة النصف من شعبان، وهذه البدع في مجملها بسبب سوء الفهم للنصوص أو الجهل بها، وغلبة المصالح الشخصية للقائمين عليها والتي تبرز في الجاه والمنصب والمال.

المطلب الثاني

جهود الشيخ في رد بدع الصوفية وتفنيد أباطيلهم

كان من أبرز البدع في عصر الشيخ محمد رشيد رضا البدع الصّوفيّة والتي تعرض الشيخ لبيانها قائلاً: (إن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم الظاهرة إلا أصوات وحركات يسموها ذكراً يتبرأ منها كل صوفي وإلا تعظيم قبور المشايخ تعظيماً دينيّاً مع الاعتقاد بأن لهم سلطة غيبية تعلو الأسباب التي ارتبطت بها المسببات بحكمة الله تعالى، بل يديرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون). [(١)]

ويوضح الشيخ الصوفية في عصره بقوله: (انحرف المنتسبون لطريق التصوف عن هدي سلفهم الصالح، حتى صاروا معهم على طرفي نقيض، ومع ذلك ترى العامة تخضع لهم، لأن العلماء يقرُّونهم على ما هم فيه ويحترمونهم على مقدار مظاهرهم الدنيوية، وقد كان العلماء من قبل واقفين بالمرصاد لأهل التصوف الصادقين، حتى إذا آنسوا منهم انحرافًا بقول أو عمل أقاموا عليهم النكير وسلَّطوا عليهم الحكَّام، يجلدون ويسجنون، بل يصلبون ويسلخون، فأين صوفيتنا من أولئك الصوفية، وعلماؤنا من أولئك العلماء الحمد لله قد بقي عندنا من الحق التسليم بأن سلف الفريقين خير من هذا الخلف المخالف له في عمله والمتخلف عنه في علمه). [(٢)]

وكذلك لم يقف الشيخ على التوضيح فقط بل استخدم طرقاً كثيرة لدعوتهم غير البيان الشرعي لحكم البدع فقام بالإنكار عليهم ومن أبرز ما ستخدمه من وسائل هو

---

(١)تفسير المنار، رشيد رضا، ٧٢/٢- ٧٤.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٩٢٣/١.

المقالات في مجلته والتي تعتبر اهم وسائل الاعلام في ذلك العصر ومما قاله عن الصوفية: (عندهم أن الدسوقي يعلن أن أبواب الجنة بيديه ومن زاره أسكنه جنة الفردوس، وإذا كانت الجنة بيد الدسوقي فلينم البطالون وليستريحوا من عناء الجهد والتعب والأمر لا يحتاج إلى علم أو عبادة أو جهاد بل مجرد زيارة الشيخ تفتح له أبواب الجنة أليست هذه نسخة أخرى عن صكوك الغفران، وأما نحن فنستغفر الله حتى من إيراد أقوالهم). (١). ومن الاساليب التي استخدمها في التحذير منها اسلوب: شد انتباه العلماء الى خطرها وأثرها على الدين الاسلامي وحثهم على إنكارها بكل الطرق فأنشأ لها باباً في مجلته اسماه باب البدع والخرافات والتقاليد والعادات. (٢) وكرر النداء الصريح للعلماء بمحاربتها وبيان تأثيرها على عقائد المسلمين فقال: (فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع، اتخذوا الشيوخ أنداداً، وصار يُقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق، بعد أن كانت للعبرة وتذكّر القدوة... ونتيجة ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله إلى ما توهموا أنه يرضي غيره ممن اتخذوهم أنداداً له، وصاروا كالإباحيين في الغالب، فلا عجب إذا عم فيهم الجهل واستحوذ عليهم الضعف، وحُرموا ما وعد الله به المؤمنين من النصر). (٣)
هذه بعض ردوده على مزاعمهم التي كان له فيها السبق في البيان وإقامة الحجة وإفحام الخصم رغبة ف هدايته وتبيين العقيدة الصحيحة له على منهج السلف الصالح.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/١٤٩-١٥٠.
(٢) انظر: المرجع السابق، ٣/٤٧٤ و٢٣/٤٧٦.
(٣) تفسير المنار، رشيد رضا، ٢/٧٦.

بعض أباطيلهم والرد عليها:

الزعم الاول: أنهم يجتمعون في ديوان يجتمع فيه الأحياء والميِّتون فما أقرُّوا عليه فهو الذي يقع في الكون وأن منهم من يتصرف في الكون، ويقدر على قلب نواميسه، وتبديل سننه وتحويلها، فيُسعد ويُشقي ويُفقر ويُغني من غير سبب غير مجرد تصرفه ذلك. [١]

الرد: يقول الشيخ: (هذا الاعتقاد هو الذي يقيِّد إرادة الإنسان بإرادة غيره من أبناء جنسه... هذا الاعتقاد هو المرض الذي يُفسد العقل ويجعله يرجو ما لا يُرجى ويخاف مما لا يُخاف، هذا الاعتقاد هو شعبة من الشرك). [٢]

ويقول ردا على ذلك (إن الإيجاد والتصرف في الأشياء بمقتضى الإرادة المعبَّر عنها بكلمة: كن هو خاص بخالق العالم ومدبِّره، يستحيل أن يكون لغيره). [٣]

الزعم الثاني: زعموا أنّهم يستطيعون بيع قصور الجنة لمن يشاءون. [٤]

الرد: يرد الشيخ ذلك قائلا: (وعندهم أن الدسوقي يعلن أن أبواب الجنة بيديه ومن زاره أسكنه جنة الفردوس، وإذا كانت الجنة بيد الدسوقي فلينم البطالون وليستريحوا من عناء الجهد والتعب والأمر لا يحتاج إلى علم أو عبادة أو جهاد بل مجرد زيارة الشيخ تفتح له أبواب الجنة أليست هذه نسخة أخرى عن صكوك الغفران، وأما نحن فنستغفر الله حتى من إيراد أقوالهم). [٥]

---

(١) انظر: تفسير المنار، رشيد رضا، ٢/١٤٧- ١٤٨ و٧/٤٣٤.

(٢) المرجع السابق، ٢/٢١٢- ٢١٣.

(٣) المرجع السابق، ٧/٢٨١.

(٤) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/١٤٩-١٥٠.

(٥) المرجع السابق، ٢/١٤٩-١٥٠.

الزعم الثالث: ترك الطيبات من الاكل والشرب وغيره من المباحات تنسكا وعبادة. [١]

الرد: أشار الشيخ إلى الأصل الذي أخذ منه الصوفية فقال: (وأما ترك الطيبات البتة كما تُترك المحرَّمات ولو بغير نذر ولا يمين تنسُّكاً وتعبداً لله تعالى بتعذيب النفس وحرمانها، فهو محل شبهة فُتِن بها كثيرٌ من العباد والمتصوفة، فكان من بدعهم التركية، التي تضاهي بدعهم العملية، وقد اتبعوا فيها سَنن من قبلهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، كعباد بني إسرائيل ورهبان النصارى، وهؤلاء أخذوها عن بعض الوثنيين كالبراهمة الذين يحرِّمون جميعَ اللحوم ويزعمون أن النفس لا تزكو ولا تكمل إلا بحرمان الجسد من اللَّذَّات، وقهر الإرادة بمشاقِّ الرياضات). [٢]

٤) **الزعم الرابع**: ان الصوفية لهم فلسفة خاصة بهداية النفس وتزكيتها عن طريق تعذيب النفس وحرمانها للوصول الى هذه الهداية. [٣]

الرد: وصف الشيخ هذا فقال: (فلسفة خيالية ... قد شُغل بها أفراد عن فطرة الله وشرعه معاً... وما إرادة وجه الله تعالى إلا الإخلاص له في كل عمل مشروع من مصالح الدين والدنيا، وتحرِّي هداية دينه فيه، لا ما تخيلوه من أن إرادة وجهه تعالى هو الوصول إلى ذاته بعد التجرد من كل نعمة في الدنيا والآخرة جميعاً). [٤]

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩/٧.
(٢) المرجع السابق، ١٩/٧.
(٣) انظر: تفسير المنار، رشيد رضا، ٢٣٩/٢.
(٤) المرجع السابق، ٢٣٩/٢.

وأكّد الشيخ أن هدي القرآن كاف في تزكية النفس الإنسانية وتربية الإرادة فقال: (وحسبنا منه ما شرع الله لنا من الصِّيام وهو مما يدخل في عموم التقوى في هذا المقام.... فالصيام رياضة بدنية نفسية وجمع بين حرمان النفس من لذّاتها لقصد التربية وبين تمتُّعها بها توسلاً إلى شكر النعمة والقيام بالخدمة). (١)

ومن حيث الدليل، بين الشيخ أنه لا يوجد دليل يحتج به هؤلاء المتصوفة على وجوب الجوع مع السعة، إصلاحاً للنفس وتهذيباً لها، ولذلك فإنهم عندما يأتي وقت الاستدلال يعدلون عن الاستدلال بالكتاب والسنة إلى ذكر وقائع وأحوال لا يُحتجُّ بها في دين الله.

يقول الشيخ مناقشاً: (أعوز هؤلاء النَّصّ على دعوى كون الغلو في التقشُّف من الدين، فتعلقوا ببعض وقائع الأحوال من سيرة فقراء السلف الصالح على تصريحهم بأن وقائع الأحوال في السنة لا يستدل بها لإجمالها وتطرق الاحتمال إليها، فكيف إذا كانت وقائع من لا يحتج بقول أحد منهم ولا يفعله؟). (٢)

٥) **الزعم الخامس: الألقاب الصوفية:** يخلع الصوفية على رؤسائهم ألقابا دينية أهمها القطب والوتد. والقطب: هو خليفة الله في الأرض، خليفة في تصريف الحكم وتنفيذه ويقوم على شؤون الكون جميعا وقد يسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه،

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٣٠/٧.

(٢) المرجع السابق، ٢٧/٧.

ولهذا القطب أعوان، هم الأوتاد الأربعة، وقيل ثلاثة، كلما مات قطب قيم أخر مكانه، ثم الأبدال وهم أدنى مترلة من الأوتاد. (١)

الرد : (... وأما القطب وسائر الموظفين الروحانيين في دائرة تصرفه الذين يسموهم رجال الغيب كالإمامين والأوتاد والأبدال، فلم يرد شيء صحيح في السنة إلا ما رووه في الأبدال وهي روايات ضعيفة مضطربة في بعضها يعدون ثلاثين وبعضها أربعين إلخ ...). (٢)

ونقل الشيخ كلام شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله- في هذه الألقاب يقول: (وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النُّساك والعامة مثل الغوث الذي يكون بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله تعالى، ولا هي مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم). (٣)

ثم قال الشيخ مبيناً وواضعا الدواء لداء منبها على أهمية التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قائلاً: (وقد آن لنا أن نعقل ونفهم ديننا من القرآن لا من هذه الروايات المنكرة التي صرفتنا عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: التعريفات، الجرجاني، ١٧٨، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. ومنهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، ص٥٥٧-٥٥٨، دار ماجد عسيري للنشر، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٥/٥٦.

(٣) المرجع السابق، ٢٧/٧٥٢ - ٧٥٤. ومجموع الفتاوى، ابن تيميّة، ١١/٤٣٣، المحقق: عبد الرّحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ونشرها الشيخ في مجلة المنار، ٢٤/٥٠٨، على شكل مقالة وجعلها هكذا (أهل الصفة وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الأولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم، الكاتب: أحمد بن عبد الحليم ابن تيميّة).

التي لا تحتمل التأويل ولا ينال منها التضليل، وآن لنا أن ندوس هؤلاء المضلين وكل من ينصرهم ويتأول لهم من سدنة القبور المعبودة، لاعتقاد العامة أن الرزق وسعادة الدنيا تطلب من المدفونين فيها فقد صارت أمتنا بهذه الخرافات تحت أرجل جميع الأمم ولا تزال عامتها تعتقد أن الميتين ورجال الغيب هم سبب رزقها ودفع البلاء عنها). [(١)]

الزعم السادس: الأذكار الصوفية : ما شرعه الصوفية من أذكاراً وصلوات لم ترد في الشريعة الإسلامية، وأوضح مثال على ذلك أفضل ذكر ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا إله إلا الله، فالصوفية يذكرون اسم الله مفرداً بقولهم: الله الله أو مضمراً بقولهم: هو، هو، هو [(٢)]ويرد عليهم شيخ الإسلام ابن تيميّة قائلاً: (ومن زعم أن هذا ذكر العامة وأن ذكر الخاصة هو الاسم المفرد وذكر خاصة الخاصة هو الاسم المضمر فهم ضالون غالطون واحتجاج بعضهم على ذلك بقوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ﴾ الأنعام: ٩١، من أبين غلط هؤلاء فإن الاسم الله، مذكور في الأمر بجواب الاستفهام في الآية قبله وهو قوله: ﴿ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾الأنعام: ٩١، أي: الله هو الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى فالاسم الله، مبتدأ وخبره قد دل عليه الاستفهام كما في نظائر ذلك، تقول: من جاره؟ فيقول: زيد، وأما الاسم المفرد مظهراً

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٤٨/٢٧.

(٢) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ٢٨٦/١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

أو مضمراً فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهي، ولم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم). [١]

الـــــرد: رد الشيخ على هذه البدع فقال: (الاجتماع لذكر الله تعالى ومزجه بالعزف بآلات الطرب كالدفوف والمزمار والشبابة ونحوها بدعة في الدين، وزيادة عبادة لم يأذن بها الله تعالى، فلا تباح بحسن القصد كما لا يباح لنا أن نخترع كيفية لصلاة التطوع بأن نسجد في كل ركعة ثلاث مرات لأجل زيادة الخشوع مثلاً، ولقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بالدين على أكمل وجوهه فحسبنا ما صح نقله عنهم). [٢]

الزعم السابع: أن منهم من يتصرّف في الكون .

ومن أمثلة هذه الاعتقادات الفاسدة ما ذكره الشيخ محمد رشيد رضا فقال: (يزعمون أن منهم من يتصرف في الكون ويقدر على قلب نواميسه وتبديل سننه وتحويلها فيسعد ويشقي ويفقر ويغني من غير سبب غير مجرد تصرفه ذلك أو الاستعانة بطلاسمه). [٣]

الرد عليهم: رد الشيخ فقال: (إن هذا مما اختص الله تعالى بالقدرة عليه من دون عباده كما هو ثابت بالدلائل العقلية والنقلية جميعًا، أليس من الجهالة العمياء أن تُنبذ البراهين العقلية وتُصرف الآيات القرآنية عن ظواهرها لأجل تصحيح هذه المسألة التي ما

---

(١) رسالة العبودية، ابن تيميّة، ١/١٣٧، المحقق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة المجددة، ١٤٢٦هـــ-٢٠٠٥م.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٤/٧٠٤.

(٣) المرجع السابق، ٢/٤٥.

أنزل الله بها من سلطان.... وقد صرح الفقهاء بأنه لا يجوز الحلف بغير الله مطلقًا وقالوا: من حلف بغير الله معظمًا له كتعظيم الله تعالى في ذلك كان كافرًا .... ألم يعلم المدعي الجاهلي بل الخادع المتجاهل أن الناس يعلمون بأن أكابر شيوخهم كانوا يُشتمون ويُهانون وما كان يحل بمن أهانهم بلاؤه .... وفوق ذلك كله كتاب الله يخاطب نبي الله إرشادًا لعباد الله بمثل قوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ الأعراف: ١٨٨، وقوله: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ الجن: ٢١، نعم إن الدجالين قد جعلوا مسألة التصرف من باب كرامة الله لأوليائه). [١]

الزعم الثامن: الذكر مع نطق العدد دون تكرار اللفظ: كأن يقال: سبحان الله ألف مرة، والحمد لله ثلاثاً، أو نحوه.

الرد: كان رد الشيخ في هذا مقنعاً بالحجة فقال: (وقد صرحنا في المنار مرارا بأن العبادات لا قياس فيها، والعجب من هؤلاء المصنفين يمنعون الاجتهاد بمعنى الاستدلال على الأحكام وفهم الكتاب والسنة، ويبيحون لأنفسهم الاجتهاد بالتلاعب في الدين وتغيير بعض أحكامه والزيادة والنقص من عباداته مع إكمال الله إياه فقولهم: يكتفى في أذكار الصلاة المكررة التلفظ باسم العدد يقتضي اذا سلم أنه يجوز لنا أن نغير الأذان بأن يقول المؤذن: ألله أكبر أربع مرات، أشهد أن لا إله إلاّ الله مرتين، وهكذا بذكر لفظ العدد، وما هو إلا قياس شيطاني يراد به إفساد الدين، فهو قول باطل لا يلتفت إليه). [٢]

(١) المرجع السابق، ٢/٤٥.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٧/٤٥٧.

واحتج المتصوفة بأن الذكر لم يرد مقيداً بل مطلقاً فيجوز ذكره تعالى بكل طريق، وببعض الآثار كقوله صلى الله عليه وسلم: ((لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله)). [1] وبإجماع الصوفية لا سيما كبراؤهم. [2]

ورد عليهم الشيخ فقال: (جاء الذكر في كل من الكتاب والسنة مطلقا ومقيدا بذكر آلاء الله ونعمته، كقوله تعالى في سورتي المائدة والأحزاب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ﴾ الأحزاب: ٩، وقوله في سورة الملائكة-فاطر-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ فاطر: ٣، وقوله في سورة الأعراف: ﴿ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ الأعراف: ٦٩، وكل ما ورد في الكتاب والسنة من أنواع الأذكار كالتهليل والتسبيح والتمجيد فهو من الذكر المقيد، والأمر بذكر الله مطلقا من غير ذكر الاسم ينصرف غالبا إلى الذكر النفسي، كذكر الآلاء والنعم أي: تذكرها والتفكر فيها، وحيث يذكر لفظ (الاسم) يراد ذكر اللسان كقوله تعالي في سورة الأنعام: ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾ الأنعام: ١١٨) . [3]

هذه بعض جهود الشيخ في مقاومة الصوفية ورد بدعهم، وتفنيد اباطيلهم، يسجل له فيه كما في غيره الأسلوب المميز والطرح القوي والبلاغة الواضحة مدعومة بقوة الداعية المستمدة من ايمانه بربه ويقينه بصدق ما هو عليه.

---

(١) صحيح مسلم، النووي،، ١/١٣١كتاب الإيمان، باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، رقم(١٤٨).

(٢) انظر: مجلة المنار، ١٤/٩٩-١٠٣.

(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٤/ ٩٩.

المطلب الثالث

جهوده في مقاومة بدعة المولد

بدعة المولد أو ما يسمى الأعياد والتي تقام لتكريم الماضين من الأنبياء والأولياء، وهي تحرى الوقت الذي وُلد فيه من يقصد بعمل المولد، وقد يتوسَّع فيها حتى تتكرر في العام الواحد، وأول من قال بهذه البدعة هم الباطنية، فبدعة الاحتفال بالموالد عموماً، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم خصوصاً، إنما ظهرت في عهد العبيديين، ولم يسبقهم أحدٌ إلى ذلك، وإنما كان هدفهم الوحيد هو بلوغ أغراضهم السياسية، ونشر مذهبهم، واستعملوا في سبيل ذلك شتى الوسائل: فأغروا العامة ورعاع الناس بالهدايا والولائم والاحتفالات كأداة من أدوات نشر مذهبهم، وبالمقابل استعملوا القتل والسجن والأذى لمن عارضهم من أهل السنة المدركين لحقيقة دعوتهم، فعامة الناس كانوا متطلعين إلى هذه الاحتفالات البدعية لحاجتهم لما يُنْفق فيها من الأموال، ولرغبتهم في ترويح أنفسهم، والاستجابة لهواها، والخوف من السلطان ومن يعلم بدعية هذه الاحتفالات وغيرها من المحدثات لا يستطيع الإنكار لما ينتظره من القمع والتعذيب، فكان مناخاً مناسباً لانتشار البدع، وتعويد الناس عليها، وتعلقهم بها، فظنوا أن إقامة الموالد للنبي صلى الله عليه وسلم تثبت للناس صحة نسبهم وانتسابهم إلى آل البيت، فابتدعوا تلك الموالد وأنفقوا عليها الأموال الطائلة والله أعلم ولا ريب أن الاجتماع على هذا النحو يسمى عيداً. (١)

---

(١) انظر: البدع الحولية، عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، ١٤٧-١٥٨، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

وأما تعريف العيد فهو:

اسم جنس لما يعتاد من المكان أو الزمان، وهو كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من عاد يعود، كأنهم عادوا إليه، وقيل: اشتقاقه من العادة، لأنهم اعتادوه، والجمع أعياد. (١)

قال الشيخ منكراً لبدع الموالد: (ومن العجيب أن تبع الفقراءَ في استحسانها الأغنياء فصاروا يبذلون فيها الأموال العظيمة زاعمين أنهم يتقربون بها إلى الله تعالى، ولو طلب منهم هذا المال لنشر علم أو إزالة منكر أو إعانة منكوب لضنُّوا به وبخلوا). (٢)

بيان الشيخ لحكم هذه البدعة:

يقول الشيخ مبينا حكم هذه البدعة: (إن عمل الموالد بدعة لم تنقل عن أحد من سلف الأمة الصالح من أهل القرون الثلاثة التي هي خير القرون بشهادة الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، ومن زعم بأنه يأتي في هذا الدين بخير مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرى عليه ناقلوا سنته فقد زعم أنه صلى الله عليه وسلم لم يؤد رسالة ربه). (٣)

ويقول الشيخ مستنكراً: (منعت الحكومة المصرية الناس في هذا العام من كثرة الاجتماع في الموالد.... وكانت تصرح في الإجازات بإقامة هذه الموالد بوجوب الاقتصار على إقامة الشعائر الدينية، وعجيب من حكومة إسلامية، أن تسمي البدع شعائر إسلامية، سواء كان ذلك عن علم أو عن جهل فهي كما قال الشاعر:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣/ ٣١٩، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٨٣/٤.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٧٤/٢-٧٥.

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٥٩/٢٩، و٢٨٨/٢ -٢٩٠.

نعم زعم بعض العلماء أن هذه البدعة حسنة إذا خلت من المحرمات والمنكرات، ولكن لم يقل أحد بأنها من شعائر الدين، كيف وكلها من أوضاع المتأخرين، وهي تزيد وتتجدد حينا بعد حين، ولم يعرف شيء منها عن السلف الصالحين). (١)

وأما المنكرات التي تصحب هذه الموالد فيقول عنها الشيخ : (الموالد أسواق الفسوق، فيها خيام للعواهر وحانات للخمور، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتّكات الكاسيات العاريات، ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل، يقصد بها إضحاك الناس). (٢)

ويقول الشيخ أيضاً: (وأما القيام عند ذكر وضع أمه له صلى الله عليه وسلم وإنشاد بعض الشعر أو الأغاني في ذلك فهو من جملة هذه البدع). (٣)

ويضاف إلى هذا أن الأثر وصل إلى بعض أهل العلم المفتونين فضلا عن العامة والجهلة، وبيَّن ذلك بشكل واضح فقال: (ويُرى بعض كبار مشايخ الأزهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السرادقات، والقباب العظيمة التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة.... ويهنئ بعضهم بعضاً بهذا العمل الشريف في عرفهم). (٤)

بعض الاساليب التي استخدمها الشيخ.

أولاً: تأليف كتاب خلاصة السيرة المحمدية، يقول الشيخ عن قصة تأليف هذا الكتاب: (في احتفال المولد الرسمي الذي تتولى تنظيمه في القاهرة مشيخة الطرق الصوفية

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٤/٣٦٠.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٢/٧٤-٧٥.

(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٩/٦٥٩.

(٤) تفسير المنار، رشيد رضا، ٢/٧٥.

كل عام، في سنة ١٣٣٤ه ألغيت قراءة قصة المولد المنكرة، واستبدل بها قصة كتبتها لأجلها، إذ وعدني رئيس الاحتفال أن يجعلها هي الرسمية، فكان لها ما كان من حسن القبول والتأثير اللائق بالموضوع والزمان والمكان والسلطان، وسماه خلاصة السيرة المحمدية وقد احتوى إبتدئا فيها بأصح ما روي في قومه صلى الله عليه وسلم ونسبه وولادته ونشأته، وتبليغ الدعوة وخلاصتها، وما امتاز به دينه على جميع الأديان فترجمت، ونشرت مئات الألوف من نسخها بعشر لغات هي أشهر اللغات الشرقية والغربية، منها لغتها العربية الأصلية). [١]

ثانياً: طلب الشيخ مشاركة العلماء في توعية العامة بخطر هذه البدع وترك المشاركة العكسية، يتحدث عن خطورة مشاركة العلماء للجهلاء في هذه الموالد أو المفاسد فيقول: (وأضر البدع وأشدها إغواءً وضرراً ما يحضره صنف من علماء الدين لأن هذا يكون غشّاً للناس يجعلهم يعتقدون بأن البدعة شعيرة دينية... فيحتج الجهلاء بهم على إماتة السنة وإحياء البدعة). [٢]

وكان الشيخ يدعو لإزالة هذه المنكرات ولو بالتدرُّج فلقِي عَنتاً في دعوته وأسف لاستمرار هذه البدعة وعدم إنكار العلماء في عصره لها فيقول: (قد احتفل الأسبوع المنصرم بهذا المولد الاحتفال المعتاد، فكان أكثر بدعاً ومنكرات مما سبقه على غير ما كنَّا نتوقع من مبادرة علماء الدين إلى السعي في محو هذه الفضائح بالتدريج عاماً بعد عام). [٣]

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٢٩/٣٤.

(٢) المرجع السابق، ٦٦٤/٣.

(٣) المرجع السابق، ٤٢٦/٣.

ويقول الشيخ: (ونطلب الآن من علماء الشريعة وأنصار الدين أن يوجهوا أنظارهم الشريفة لإبطال هذه البدع والمنكرات، وينتصروا للدين الذي ائتمنوا عليه، فإنهم هم المسؤولون عن ذلك عند الله تعالى، ولا يغني عنهم التأفف في بيوتهم، والحوقلة والاسترجاع في زوايا خلواتهم، والتبرؤ من الحول والقوة إذا طلب منهم السعي والعمل فإن لهم بالله قوة على تلافي ذلك كله، فقد أعطاهم سلطة روحية على شعب عظيم، هو أشد الشعوب خضوعا وانقياداً إلى رؤسائه، وبذلك كان أعظم الشعوب قابلية للتربية والتهذيب.... فلا نرتاب في أن الراسخين في العلم يتململون من اجتراح الأمة لهذه السيئات، كما يتململ السليم، ويودون أن تقلع عنها، لكنهم يظنون أن هذه العادات رسخت بكرور السنين، فلا ينجع في الآتين بها وعظ واعظ، ولا تنبيه منبه.... والذي نستلفت إليه أنظار هذا الفريق من العلماء الذين وصفهم الله تعالى بخشيته أن يسلكوا في إبطال هذه البدع والمنكرات طريقين اثنين أحدهما: قريب، والآخر بعيد، ولابد منهما كليهما، فأما الطريق القريب: فهو أن تؤلف لجنة وتقر على ما يظهر لها بعد المذاكرة أنه أقرب الوسائل لمنع كل ما يخالف الشرع، ويخل بالآداب الإسلامية.... وأما الطريق البعيد: فهو طريق الوعظ والتعليم، وهو الإصلاح الحقيقي الذي يجب الاجتهاد به من كل من له غيرة على الأمة والدين). (١)

ثالثاً: الإعلان بوسائل الإعلام عن ترتيبات معينه لهذه الموالد تخفف من أثرها، فيقول: (وعندنا أن أنجح الذرائع لإبطال ما ذكر أن ينشر قبل المولد بأيام إعلان في الجرائد يصرح فيه بمنع الناس من كل ما اعتادوا فعله في المسجد إلا الصلاة، وأن شيخ الجامع يقيم على أبوابه خفراء يمنعون النساء والأطفال والباعة والمشعوذين وأصحاب المعازف من الدخول

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/٩٣.

إليه ومن كل عمل غير مشروع فيه يفصلون ذلك في الإعلان بحيث يفي بالغرض، ثم ينفذون ذلك فعلا في أيام المولد ولا شك أن شيخ الجامع إذا طلب من الحكومة نفرا من الأعوان والشرط لأجل هذا العمل الشريف، فإن الحكومة تجيب طلبه، لاسيما إذا كان يطلب عن قرار لجنة العلماء، أو كان الطلب من اللجنة نفسها وأما طلب إبطال الموالد بالكلية، فربما لا تجيب الحكومة طلب الشيخ أو العلماء فيه، لأنه ليس من الأمور الدينية المنوطة بهم بخلاف ما يحصل في المسجد). [(١)]

هذه بعض جهود الشيخ في محاربة بدع الموالد والتي استشرت وعمت في العالم الاسلامي ويجب على الدعاة التحذير منها والاشتداد في ذلك فهي باب موصل للشرك بالله تعالى وتخاذل الدعاة أو سكوتهم عن إنكارها يفتح لأهل الباطل الباب ويجعل المجال خصبا لانتشار هذه البدع وما يلحق بها من تأصلها في النفوس وإلباسها بلباس الدين مع تقادم العهد وقوة الدعاة إليها ونفوذهم في المجتمع كما تقدم مع الشيخ محمد رشيد رضا وما كان يقابله من اصحابها ومن عامه المسلمين.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٩٣/١.

المطلب الرابع

بدع شهر رجب

لقد شاع بين المسلمين بدع الشهور والايام والتي ظهرت وبرزت في المجتمع وصارت عادة يعتادها الناس ويتعبدون الله فيها رجاء الثواب من الله لما يلقى فيها من الأحاديث التي تجعل السامع لها والغير محقق من عامة المسلمين يعتبرها فرصة لا تعوض لتكفير الذنوب لكثرة ما يلقى في تلك المناسبات من الأحاديث في فضائل الاعمال، والاحتفال بشهر رجب، وتخصيصه بعبادة مخصوصة من عمرة أو صلاة مخصوصه فيه كصلاة الرغائب(١) أو صيام مخصوص لأيامه كتعظيم أول خميس منه، أو بخطب مخصوصه

---

(١) صلاة الرغائب: صفتها ورد فيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((وما من أحد يصوم يوم الخميس أول خميس في رجب، ثم يصلي فيما بين العشاء والعتمة، يعني ليلة الجمعة، ثنتي عشرة ركعة، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة، وإنا أنزلناه في ليلة القدر ثلاث مرات، وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة، يفصل بين كل ركعتين بتسليمة، فإذا فرغ من صلاته صلى علي سبعين مرة، ثم يقول: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله، ثم يسجد فيقول في سجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة، ثم يرفع رأسه فيقول: رب اغفر لي وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت العزيز الأعظم سبعين مرة، ثم يسجد الثانية فيقول مثل ما قال في السجدة الأولى، ثم يسأل الله تعالى حاجته، فإنها تقضى))رواه ابن الجوزي في الموضوعات. وقال: هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اتهموا به ابن جهيم، ونسبوه إلى الكذب، وسمعت شيخنا عبد الوهاب الحافظ يقول: رجاله مجهولون، وقد فتشت عليهم جميع الكتب فما وجدتهم، وعلق عليها ابن الجوزي فقال: ولقد أبدع من وضعها فإنه يحتاج من يصليها أن يصوم، وربما كان النهار شديد الحر، فإذا صام و لم يتمكن من الأكل حتى يصلي المغرب، ثم يقف فيها، ويقع ذلك التسبيح الطويل، والسجود الطويل، فيتأذى غاية الإيذاء، وقال شيخ الإسلام ابن تيميّة : (وأما صلاة

=

به. [١]

قال الشيخ مبينا لهذه البدعة بمناسبة شهر رجب: (لا تحضر في هذا الشهر جمعة في مسجد إلا وتسمع فيها الكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر، حتى منبر الأزهر). [٢]، ويرد الشيخ من خلال خطبه ومقالاته، فيقول في إحدى مقالاته بعد بيان هذه البدع: (وقد اتفق علماء الحديث على أن كل ما روي في صيام رجب موضوع أو واه لا أصل له). [٣]

وذكر مبينا الأحاديث التي تتلى على المنابر في شهر رجب وصومه للتحذير منها ذكر الشيخ: (قال المحدثون: الحديث الاول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((رجب شهر الله، وشعبان شهري، ورمضان شهر أمتي، فمن صام في رجب يومين فله من الأجر ضعفان، وزن كل ضعف مثل جبال الدنيا ...)) إلخ فهو حديث موضوع. [٤] والحديث الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من صام ثلاثة أيام من رجب كتب الله له صيام شهر، ومن صام سبعة أيام من رجب أغلق عنه سبعة أبواب من

الرغائب فلا أصل لها، بل هي محدثة، فلا تستحب لا جماعة ولا فراداي، فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تختص ليلة الجمعة بقيام، أو يوم الجمعة بصيام، والأثر الذي ذكر فيها كذب موضوع باتفاق العلماء، ولم يذكره أحد من السلف والأئمة أصلاً. (انظر: الموضوعات، ابن الجوزي، ٢/١٢٤-١٢٦، تحقيق: عبد الرّحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٦هـ. ومجموع الفتاوى، ابن تيميّة، ٢٣/١٣٢).

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٣/٤٢٧.

(٢) المرجع السابق، ٢/٥٥٩ - ٥٦٠.

(٣) المرجع السابق، ٢/٥٥٩ - ٥٦٠.

(٤) حكم عليه بالوضع ابن الجوزي في الموضوعات، ٢/٢٠٥-٢٠٦.

النار، ومن صام ثمانية أيام من رجب فتح الله له ثمانية أبواب من الجنة، ومن صام نصف رجب حاسبه الله حساباً يسيراً)) حديث موضوع. [١] والحديث الثالث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن شهر رجب شهر عظيم، من صام يوما منه كتب له صوم ألف سنة)) ... إلخ موضوع. [٢] وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة، والحديث الرابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أحيا ليلة من رجب وصام يوما أطعمه الله ثمار الجنة))... إلخ حديث موضوع. [٣] وفي رواية بمعنى هذه ... بعثه الله آمنا يوم القيامة). [٤]

ويقول الشيخ: (وأقبح من هذه الأكاذيب أكذوبة صلاة الرغائب ويروون لها حديثا طويلا في فضائل رجب، ومنها أن من يصوم أول خميس من رجب، ثم يصلي بين المغرب والعشاء من ليلة الجمعة اثني عشر ركعة بكيفية مخصوصة استجيب دعاؤه وغفر الله له جميع ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل، ووزن الجبال وورق الأشجار، ويشفع في سبعمائة من أهل بيته ممن استوجب النار سبحانك هذا بهتان عظيم، ومع هذا لا يزال الناس في كثير من البلاد الإسلامية يحفلون بأول ليلة جمعة من رجب يقومون ليلها ويصومون الخميس قبلها، ويتصدقون فيها الصدقات التي كلها مفاسد ومنكرات،

---

(١) حكم عليه بالوضع ابن الجوزي في الموضوعات، ٢/٢٠٦.

(٢) حكم عليه بالوضع ابن الجوزي في الموضوعات، ٢/٢٠٦- ٢٠٧.

(٣) موضوع، آفته حصين. (انظر: اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، جلال الدين السيوطي، المحقق : أبوعبد الرّحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧ه).

(٤) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/٥٩٩.

ذلك أن أهل مصر يذهبون نساء ورجالا وأطفالا إلى المقابر، فيبيتون في القصور المبنية عليها، يأكلون ويشربون ويلهون ويلعبون، والله يعلم ما يسرون وما يعلنون). (١)

وكذلك من جهوده الفتاوى في بيان هذه البدعة فيجيب الشيخ في أحد فتاويه لسائلٍ عن بعض بدع شهر رجب: السائل: هل ورد في صوم ثلاثة أيام من رجب، أو أقل قول؟ أجاب الشيخ: (ورد في ذلك أحاديث موضوعة وواهية). (٢)

وفي فتوى أخرى بين فيها بالتفصيل الكلام عن هذه البدعة.

السائل: ما قولكم فيما يعمله الناس في ليلة النصف من شعبان من قراءة سورة يس المعظمة ثلاث مرات بنية مخصوصة، والدعاء المعروف بعد كل مرة هل هو سنة وله أصل من الكتاب أو السنة أم لا ؟

جواب الشيخ: (أقوال المحدثين والثقات في عبادات ليلة النصف من شعبان: روي في الموضوعات والواهيات والضعاف التي لا يحتج بها أحاديث في كثير من العبادات منها، صلاة ليلة الرغائب من رجب وليلة نصف شعبان، ولكن هذا الشعار الإسلامي المبتدع المعروف الآن لم يرد فيه شيء من ذلك، ولكنه عمل به في الجملة منذ القرون الأولى، ولهذا اغتر بصلاة رجب وشعبان بعض الفقهاء والصوفية..... وسبب ذلك قلة بضاعتهما في نقد الحديث، وقد بين خطأهما المحدثون والفقهاء..... الخلاف الذي ذكره في قيام ليلة النصف من شعبان بما ذكر قد صرح بكراهة أصحابهم له أي الحنفية، والكراهة إذا أطلقت عندهم تنصرف إلى التحريم، ونقل مثل ذلك عن الشافعية والمالكية.... وأما الحنابلة فهم أشد من غيرهم نبذاً لما لم يثبت في السنة، ومن استحبها من علماء الشام

---

(١) المرجع السابق، ٢/٥٥٩-٥٦٠.

(٢) المرجع السابق، ٢/٥٥٩ –٥٦٠.

كانوا مجتهدين، وليس لهم أتباع الآن، ومذاهبهم ليست مدونة، ونص الفقهاء على أنه لا يفتى بها..... وجملة القول أن الشعائر التي تقام في ليلة النصف من شعبان ليس لها أصل صحيح في الكتاب ولا في السنة..... وإن هذه العبادات في تلك الليلة وليلة الرغائب قد حدثت في القرون الأولى فقبِلها كثير من العُباد والمتصوفة، وأنكرها المحدثون والفقهاء، لعدم ثبوت أصلها ولأن الله تعالى قد أكمل الدين، فمن زاد فيه كمن نقص منه كلاهما مبتدع). [1]

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٤/٢٥٠.

المطلب الخامس

موقفه من بدع شهر شعبان

قدم الشيخ في هذا النوع من البدع في مجلته فقال بمناسبة شهر شعبان: (سيصدر هذا الجزء من المنار في إثر الاحتفالات بليلة النصف من شعبان وهو من مواسم البدعة التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه). (١)

وقال عن ليلة النصف من شعبان: (إن اتخاذ هذه الليلة موسماً من مواسم الدين من البدع الحادثة في القرون المتوسطة). (٢)

وقال أيضاً في مقال في مجلته في رده على هذه البدع: (وجملة القول: أن الشعائر التي تقام في ليلة النصف من شعبان ليس لها أصلٌ صحيح في الكتاب ولا في السُّنَّة... وأن هذه العبادات في تلك الليلة وليلة الرغائب قد حدثت في القرون الأولى فقبِلَها كثيرٌ من العُباد والمتصوفة، وأنكرها المحدِّثون والفقهاء لعدم ثبوت أصلها، ولأن الله تعالى قد أكمل الدين، فمن زاد فيه كمن نقص منه، كلاهما مبتدع). (٣)

ولقد جرت عادة الناس في مصر والشام بإحياء ليلة النصف من شعبان في كل سنة قبل صلاة العشاء في المسجد وإنهم يدعون الله تعالى بصيغة دعاء نصف شعبان التي من جملتها: اللهم إن كنت كتبتني عندك في أم الكتاب شقياً فامح اللهم بفضلك من أم الكتاب شقاوتي لأنك قلت وقولك الحق في كتابك المترل على نبيك المرسل: ﴿يَمْحُوا

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣/٦٦٥.

(٢) المرجع السابق، ٦/٨٢٤.

(٣) المرجع السابق، ١٤/٢٥٤-٢٥٦.

ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾الرعد: ٣٩، وذلك بعد صلاة ركعتين بنية طول العمر وغيرها، وقراءة سورة يس ويكررون العمل ثلاثا، هذه هي صفة العمل في ليلة النصف من شعبان أو هي الاغلب. [١]

وقد حاربها الشيخ وبين عوارها وأنها من مواسم البدعة التي ينسبونها إلى الشرع وليست منه فذكر بعض ما يكون فيها من البدع والمحرمات فقال: (ومن مظاهر البدع في شهر شعبان وليلة النصف منه:

(١) تكلف النفقات الباهظة وهو إسراف يعملونه باسم الدين وهو بريء منه.

(٢) الحلاوات المحتوية على الصور المحرمة شرعا وهي في مصر مخصوصة بالموالد.

(٣) زيادة وقود القناديل وغيرها، وفي زيادة وقودها إضاعة المال.

(٤) حضور النساء وما فيه من المفاسد.

(٥) إتيانهم الجامع الأعظم واجتماعهم فيه، وذلك عبادة غير مشروعة.

(٦) ما يفرشونه من البسط والسجادات وغيرها.

(٧) جعل بيت الله تعالى بيتهم، والجامع إنما جعل للعبادة لا للفراش والرقاد والأكل والشرب.

(٨) السقاءون وفي ذلك من المفاسد جملة منها البيع والشراء لأنهم يأخذون الدراهم، ورفع الصوت في المسجد وتلويثه، وتخطي رقاب الناس وكلها منكرات.

(٩) اجتماعهم حلقات كل حلقة لها كبير والقارئ يقرأ القرآن فيزيد فيه ما ليس منه، وينقص منه ما هو فيه بحسب تلك النغمات والترجيعات التي تشبه الغناء وهو منكر يحتف به عدة منكرات.

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٦١/٢٩، و١٣٧/٦.

(١٠) أن القارئ يبتدئ بقراءة القرآن، والآخر ينشد الشعر أو يريد أن ينشده، فيسكتون القارئ أو يهمون بذلك أو يتركون هذا في شعره وهذا في قراءته لأجل تشوف بعضهم لسماع الشعر، وتلك النغمات الموضوعة أكثر، فهذه الأحوال من اللعب في الدين أن لو كانت خارج المسجد منعت فكيف بها في المسجد سيما في هذه الليلة الشريفة .

(١١) حضور الولدان الصغار وما يتبع ذلك من لغطهم وتنجيسهم المسجد.

(١٢) إهانة الأموات بفعل المنكرات بجانب قبورهم. وخروج النساء إلى القبور.

(١٣) اللغو في المسجد وكثرة الكلام بالباطل.

(١٤) الطبول والدفوف والرقص في الذكر.

(١٥) الدعاء المعروف الذي يطلب فيه من الله تعالى أن يمحو من أم الكتاب شقاوة من كتبه شقياً إلخ، ولا ندري من وضع هذا الدعاء الاجتماع لقراءته بالطريقة المعروفة وجعل ذلك شعيرة من شعائر الدين). [1]

ومن ذلك فتاوى الشيخ لسؤال من أحد المدرسين قال فيه بعد الثناء والتحية: (جاء إلى مدينتنا ليلة النصف من شعبان رجل من الأشراف المنتسبين للعلم، وقصد أشهر مسجد ومدرسة دينية بها حيث اجتمع خلق كثير لرؤية ما أعده أرباب الطرق به من الاحتفال بهذه الليلة، وبعد صلاة العشاء أخذ القوم مجالسهم فقام هذا الرجل وجلس على كرسي مرتفع أعد لتدريس شيخ العلماء.... وابتدأ يسرد فوائد جمة لسماع قصة المولد النبوي.... لو كان هذا الرجل من العامة لسكتنا ولكنه معدود ضمن العلماء في قرية المترلة، وقد خطب أمام أمير البلاد هناك وصلى خلفه فريضة الجمعة سمعت ذلك من

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٩٤/٣.

بعض أهل المترلة... لهذا نرجوكم توضيح رأيكم في ذلك خدمة للدين وأهله، والسلام. (١)

جواب الشيخ عليه قال: (لو أن مدرساً عالماً مفسراً محدثاً على صراط السلف الصالح قعد مقعد ذلك الرجل المختلق على الله ورسوله ودينه، ونهى الناس عن بعض البدع الفاشية والظلمات الغاشية، وفسر لهم النصوص التي تنهى عن جعل الصالحين لله أنداداً، وجعل قبورهم أعياداً، والأحاديث التي تلعن الذين اتخذوا القبور مساجداً، وشرفوها وأوقدوا عليها السرج، وهداهم إلى رفض البدع، والوقوف عند حدود السنن لزلزلت به الأرض زلزالها، ووجهت إليه العامة أنكالها، ولوجد ممن يعرفون بالخاصة من ينصر الجهلة عليه، ومن أصحاب الجرائد التي تدعى إسلامية من يفوق السهام إليه، ولكادت له السياسة وناصبته منصات الرياسة، أما أمثال هذا المدرس فكثيرون لا سيما من المسجد الحسيني في العاصمة حيث يكثر تردد العلماء، والمحافظين على الرسوم الدينية من الكبراء، لا سيما في شهر رمضان، ومن هؤلاء المدرسين من يبيع البطائق للنجاة من النار، ويعلم الناس مكفرات الأوزار، ومنهم من يبيع النشرة والحجاب لقضاء الحاجات وشفاء الأوصاب، ومنهم من يدلي الناس بغرور، ويحولهم عن النور إلى الديجور، ولا منع ولا استنكار، ولا تعجب ولا استكبار). (٢)

---

(١) انظر: فتاوى الامام محمد رشيد رضا، ٤٣٩/٢. ومجلة المنار، رشيد رضا، ٨٦١/٨.

(٢) المرجع السابق، ٨٦١/٨.

المطلب السادس

موقفه من بدع شهر رمضان

أما شهر رمضان فهو الآخر لم يخل من البدع، فلم تسلم عبادة من عباداته من بدعة فيها، وقد بينها الشيخ في مقالة له بالتوضيح ثم الرد وشحذ هم العلماء والمسلمين لإنكارها بالطرق الصحيحة المبنية على الكتاب والسنه فكتب مقالات في ذلك بعنوان الأحاديث الموضوعة في رمضان والصوم[1]تطرق فيها لعدد كبير من الأحاديث المتداولة في هذا الشهر وبينها وحذر من الاعتماد عليها في أمور الدين ومدى خطر ذلك على المسلم ثم فصل في بدع هذا الشهر الكريم التي كانت في ذلك العصر فقال: (الصوم عبادة خفية بين العبد وربه كان من شأنها أن توجد ولا تعرف، ولكن يحتف بها أعمال وشئون صارت بها من أظهر الشعائر الدينية جملة وتفصيلا، وما أجمل المسلمين وأكملهم إذا جلسوا على موائدهم قبيل المغرب وأشهى الطعام والشراب الحلال بين أيديهم وهم في أشد الحاجة إليهما ولا يمكن لأمير ولا لسلطان ولا لعالم ولا لجاهل أن يمد يده فيتناول شيئا حتى تأتي تلك اللحظة التي يتساوون فيها في التناول كما كانوا متساوين في الإمساك، لكن أكثرهم أمسوا لا يعرفون من هذه العبادة إلا حفظ شعيرة العبادة الظاهرة من غير التفات إلى سرها وحكمتها وهو ملاحظة مراقبة الله تعالى وتحصيل ملكة ترك المنكرات والشهوات التي حرمها عليهم، ولو لاحظوا هذا المعنى لأدركوه، ولو أدركوه لما رأيتهم يغادرون المائدة إلى اللهو واللعب فمنهم من لا يصلي المغرب، والصلاة أفضل من الصوم بالإجماع، ومنهم من يذهب إلى الحانات والبير والمراقص، وهكذا شأن الدين في

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٧٧/٣.

ضعفه وتلاشيه يجهل الناس أولا أسراره الروحانية وحكمه المعنوية حتى لا تبقى لهم إلا الصورة الحسية، ولذلك نسر بما بقي من شعائر الدين الظاهرة عسى أن ينفخ في شبحها روح الحياة مرة أخرى بتوفيق من بقي عنده سر الدين من علمائه للإرشاد الصحيح، وإذا نفخت هذه الروح وحلت الحياة الحقيقية في هذا التمثال يصير خلقاً حياً تصدر عنه أعمال الأحياء. الوعظ هو أفضل الشعائر التي يمتاز بها رمضان في الأكثر ولكنه وسد إلى قوم لا شك أن الجهل المطلق خير من تعليمهم وإرشادهم ... ومنهم من يعلم الناس أدعية تكفر بها جميع المعاصي وتنال بها الدرجات العلى ويبيعهم ذلك في قراطيس ثمن الواحد قرش تعريفة، ومنهم من يعلمهم الزهد في الدنيا وهو جاهل أنه لم يبق لهم ما يزهدون فيه، وقد استدل أحد وعاظ هذا الفريق في المسجد الحسيني على تفضيل الفقر على الغنى بأن الفقر قديم والغنى حادث، وفاته أن الغنى من صفات الله وهو القديم الأزلي حقيقة والفقر من صفات الناس الحادثين.... تلاوة القرآن الكريم، هي بالصفة المعهودة من شعائر رمضان، ومن منكراتها في المساجد أنهم يجتمعون لها لأجل التلذذ بالتلحين والتغني بالقرآن ولذلك لا يجلسون إلا إلى صاحب الصوت الحسن، ومنها أن القراء يرفعون أصواتهم فيشوشون على المصلين، ومنها أنهم يأتون بالحركات والأصوات التي اعتادوها عند سماع المعازف والأغاني الغرامية، وما كان أجدرهم بالخشوع والبكاء والتذكر والاعتبار عند سماع الكلام الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر: ٢١، ولو تفكروا وخشعت قلوبهم لخشعت جوارحهم، ومن

منكراتها في الدور والقصور أن القراء يجعلون في محال الخدم وأنهم لا يصغون لتلاوتهم بل يشتغلون عنها باللهو الباطل إلخ). [١]

بعض البدع في هذا الشهر والتي وضحها الشيخ:

البدع في الوعظ : يقول الشيخ: (وهومن أفضل الشعائر التي يمتاز بها رمضان في الأكثر ولكنه وسد إلى قوم لا شك أن الجهل المطلق خير من تعليمهم وإرشادهم، فمنهم من يعلم الناس أدعية تكفر بها جميع المعاصي وتنال بها الدرجات العلى ويبيعهم ذلك في قراطيس ثمن الواحد قرش ومنهم من يعلمهم الزهد في الدنيا وهو جاهل أنه لم يبق لهم ما يزهدون فيه، وقد استدل أحد وعاظ هذا الفريق في المسجد الحسيني على تفضيل الفقر على الغنى بأن الفقر قديم والغنى حادث، وفاته أن الغنى من صفات الله وهو القديم الأزلي حقيقة والفقر من صفات الناس الحادثين، ومنهم من يعلم الناس غرائب النوادر التي يفتتحون الكلام عليها بقولهم لا عيب في الحلال، ولا يمكننا التمثيل لها إلى غير ذلك مما ننبه على ما نعلمه منه في الدرس الذي نلقيه في المسجد). [٢]

البدع في تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان: يقول الشيخ: (هي بالصفة المعهودة من شعائر رمضان، ومن منكراتها في المساجد أنهم يجتمعون لها لأجل التلذذ بالتلحين والتغني بالقرآن ولذلك لا يجلسون إلا إلى صاحب الصوت الحسن ومنها أن القراء يرفعون أصواتهم فيشوشون على المصلين، ومنها أنهم يأتون بالحركات والأصوات التي اعتادوها عند سماع المعازف والأغاني الغرامية). [٣]

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٧٧/٣.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٧٧/٣.

(٣) المرجع السابق، ٧٧٧/٣، وقد جمعها في مقال عن الصيام ضمنه بدع رمضان ومنكراته.

هذا نزر يسير من جهود الشيخ في التحذير من البدع وإلاّ فإن حصرها يستغرق مجلدات في ذلك لبيانها وبيان أثرها في مجتمعه وعصره.

المبحث الرابع

جهوده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

التعريف

التعريف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لغة وشرعا:

أولاً: **المعروف**.

المعروف لغةً :

المعروف ضد المنكر، والعرف ضد النكر، والمعروف كالعرف، والعرف والعارفة والمعروف واحد: ضد النكر ويطلق المعروف على كل ما تعرفه النفس من الخير وتطمئن إليه، وسمي بذلك لأن النفوس تسكن وتطمئن إليه. (١)

وأما المعروف اصطلاحاً :

كل ما كان معروفاً فعله مستحسن، غير مستقبح في أهل الإيمان بالله تعالى، وإنما سميت طاعة الله معروفًا، لأنه مما يعرفه أهل الإيمان ولا يستنكرون فعله. (٢)

وعرّفه شيخ الإسلام ابن تيميّة فقال: (اسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه). (٣)

وعرّفه الشيخ عبد الرّحمن ابن سعدي فقال: (هو ما عرف حسنه شرعا وعقلا). (٤)

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/ ٢٨١. ولسان العرب، ابن منظور، ٢ /٧٤٥-٧٤٨.

(٢) جامع البيان، الطبري، ٧ /١٠٥.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ابن تيميّة، ١٦.

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، ١/ ١٩٤.

ثانياً: المنكر.

المنكر لغةً:

نكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه. والنكرة؛ ضد المعرفة، والمنكر: واحد المناكر، والنكير والإنكار: تغيير المنكر، ومنه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ الكهف: ٧٤. (١)

أما المنكر اصطلاحاً:

هو اسم جامع لكل ما عرف في الإسلام قبحه وذمه. (٢)

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اصطلاحًا:

قيل هو: الأمر بواجب الشرع والنهي عن محرماته. (٣)

وقيل: بأنه اسم جامع لكل ما عرف في الإسلام قبحه وذمه. (٤)

وهو أقربهما.

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري، ٢ / ٨٣٦.

(٢) انظر: الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحيم المغذوي، ص٤٠.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيثمي، ٢ /١٤٦، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٤) انظر: الأصول العلمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد الرحيم المغذوي، ص٤٠.

أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الشيخ محمد رشيد رضا.

تبرز أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع وجود المجتمعات فيكون صمام أمان لها يقول الشيخ: (إن هذه الأمة ما فتئت خير أمة أخرجت للناس، حتى تركت الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر ثم قال: وقد بيَّن الفخر الرازي كون وصف الأمَّة هنا بالأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والإيمان علّة لكونها خير أمَّة أُخرجت للنّاس، فقال: واعلم أنَّ هذا الكلام مستأنف والمقصود منه بيان علّة تلك الخيريَّة، كما تقول: زيد كريم، يطعم النَّاس ويكسوهم، ويقوم بما يصلحهم، وتحقيق الكلام أنَّه ثبت في أصول الفقه أن ذكر الحكم مقرونًا بالوصف المناسب له يدلّ على كون ذلك الحكم معلّلا بذلك الوصف، فهنا حكم الله تعالى بثبوت وصف الخيريَّة لهذه الأمَّة، ثم ذكر عقيبه هذا الحكم وهذه الطّاعات، أعني الأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر، والإيمان، فوجب كون تلك الخيريَّة معلّلة بهذه العبادات). [1]

ويقول أيضاً عند تفسيره لسورة هود: (النهي عن الفساد في الأرض، ويلزمه الأمر بالصلاح فيها، وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بعد أن بين الله لعباده في آخر كتبه على لسان رسوله خاتم النبيين ما يكفر سيئاتهم أفرادا، وهو فعل الحسنات التي تمحو أثرها السيئ من أنفسهم، بين لهم ما هو منجاة للأمة والشعب من الهلاك في الدنيا قبل الآخرة، وهو وجود طائفة عظيمة التأثير فيها تنهاها عن الفساد في الأرض بالظلم والفساد والفسوق بارتكاب الفواحش والمنكرات، وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هود: ١١٦، وبين لنا عقب هذا

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٤/٦٠.

في الآية أن القرون التي أهلكها لم يكن فيها إلا قليل من أمثال هؤلاء هم الذين أنجاهم مع رسلهم، وأن الجمهور الذين أهلكهم كانوا متبعين للإتراف بالفسوق والإسراف، وهو غاية الفساد والإفساد، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سياج الدين والأخلاق والآداب). [١]

ومما يبين لنا مدى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دعوة الشيخ وجود الكثير من النماذج التي تدل على ذلك، مستخدما فيها ما أوتي من فصاحة اللسان وقوة الحجة ووسائل الاعلام في عصره خطيباً وكاتباً ومحاوراً، لأنه يبين المعروف أو المنكر ويدلل عليه ثم يذكر مظاهره والآثار المترتبة عليه ثم يبين من هو الأولى والأحرى بالقيام به، فكانت مناط اهتمامه ومنثورة بين صفحات مؤلفاته مليئة بها، وهذه الشعيرة كانت أولوية عنده فقد وصف أول بداياته في إنكار المنكر فقال: (وكنت بعد قراءة كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كتاب الإحياء آمر وأنهى لا أخاف لومة لائم). [٢]

الحد الذي تسقط به فرضية الأمر والنهي عند الشيخ.

بيَّن الشيخ الحد الذي يسقط به عن المسلم فرضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال: (الحد الذي تسقط به فرضية الأمر والنهي: قد اختلف العلماء في هذه المسألة ما بين مشدد ومخفف، وينبغي لكل أحد أن يحاسب نفسه في هذا وأمثاله، وإذا كانت المنكرات في زماننا أكثر منها في أزمنة أولئك العلماء كالغزالي والشاطبي وابن تيميّة – رحمهم الله– فإن في زماننا من حرية القول في مثل هذه البلاد ما لم يكن في أزمنتهم، وإننا نرى سفهاء الجرائد يطعنون أشد الطعن وأقذعه في الأمراء والوزراء والعلماء ولا

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١٢/ ١٩٠.

(٢) السيد رشيد رضا، شكيب ارسلان، ص٧٤.

يصيبهم أذى، فأجدر بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بالنزاهة والأدب وحسن النية ألا يصيبه أذى، ولا خلاف بين العلماء في سقوط الفريضة عمن يخاف على نفسه أذى كبيراً، ورخص بعضهم في الترك لمن يعتقد أن أمره ونهيه لا يفيد، ولكن استفت قلبك وما أنا ممن يستطيع أن يضع لك حداً، ولا ينبغي أن تنسى أن هذه الفريضة هي سياج الدين فلولا ترك القيام بها لما فشت المنكرات إلى هذا الحد). [١]

وسأذكر فيما يلي نماذج من إنكاره في مجتمعه وتطبيقه لهذه الشعيرة العظيمة توضح اهتمام الشيخ بها ودعوته إلى إقامتها وكونها ركيزة أساسية تقوم عليها حياة المجتمعات المسلمة.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٢٠/٣١.

المطلب الأول

الإنكار على أهل البدع

لقد كان للشيخ جهد بارز في الإنكار على أهل البدع ومن هذا ما نتبينه من تلك الحادثة التي أنكرها قبل هجرته الى مصر وهي أول حادثة له في الإنكار العلني على أهل البدع يقول: (قيل لي ألا تتفرج على مقابلة المولوية في تكيتهم التي تشبه جنة الآخرة فجلست في إيوان النظارة المتفرجين نمتع البصر برؤية جنات البرتقال والشم بعبير زهرها والسمع بخرير ماء النهر من تحتنا حتى إذا ما آن وقت المقابلة تراءى أمامنا دراويش المولوية قد اجتمعوا في مجلس تجاه إيوان النظارة وفي صدره شيخهم الرسمي وإذا بغلمان منهم مرد حسان الوجوه يلبسون غلائل بيضاء ناصعة كجلاليب العرائس يرقصون بها على نغمات الناي المشجية يدورون دوراناً فنياً سريعاً تنفرج علائلهم فتكون دوائر متقاربة على أبعاد متناسية لا يبغي بعضها على بعض ويمدون سواعدهم ويميلون أعناقهم ويمرون واحد بعد آخر أمام شيخهم فيركعون له قلت: ما هذا قيل هذا ذكر طريقة مولانا جلال الدين الرومي صاحب المثنوي الشريف و لم أملك نفسي أن وقفت في بهرة النظارة وصحت بأعلى صوتي بما معناه: أيها الناس أو المسلمون إن هذا منكر لا يجوز النظر إليه ولا السكوت عليه لأنه إقرار له وأنه يصدق على مقترفيه قول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾الأعراف: ٥١، وإنني قد أديت الواجب علي فأخرجوا رحمكم الله وخرجت من المكان راجعاً أدراجي إلى المدينة مسرعاً وفي أثناء المسير التفت فوجدت ورائي عدداً قليلاً قد رجعوا وبقي الأكثرون و لم ينكروا علي ولا على القوم

بقول ولا عمل ثم كانت هذه الحادثة الغريبة حديث الناس وموضوع سمرهم مدة طويلة فمن عاذل وعاذر). [١]

ومن الغريب في الأمر أن ممن أنكر عليه شيخه الشيخ حسين الجسر فقد كان رأيه ألاّ يتعرض لأصحاب الطرق الصوفية وبدعهم لا من قريب ولا من بعيد فقال: منكراً على الشيخ محمد رشيد رضا: (إني أنصحك لك أن تكف عن أهل الطريقة فردّ عليه الشيخ منكراً: هل لأهل الطريقة أحكام شرعية غير الأحكام العامة لجميع المسلمين ؟ فقال: لا ولكن لهؤلاء نية غير نية سائر الناس ووجهة غير وجهتهم ومالك تخصّهم بالإنكار عليهم دون أهل اللهو والفساد، فرد عليه رشيد رضا إن أهل الطريق ذنبهم أكبر من أهل اللهو لأنهم جعلوا سماع المنكر ورقص الحسان عبادة مشروعة فشرعوا لأنفسهم من الدين ما لم يأذن به الله على أني لم أر منكراً آخر و لم أنكره). [٢]

ومنها أيضاً: إنكاره على الوصية المزورة حيث جاءته في سؤال كالتالي: عن الشيخ أحمد خادم حرم النبي الشريف قال: كنت ساهرًا ليلة الجمعة أتلو القرآن وبعد تلاوته قرأت أسماء الله الحسنى.... ومن يكتبها ويرسلها من بلد إلى بلد أو من محل إلى محل، كتب الله له قصرًا في الجنة، ومن لا يكتبها ولا يرسلها حرمت عليه شفاعتي يوم القيامة، ومن لا يعرف أن يكتبها يأمر كاتبًا بكتابتها بثلاثة دراهم، ومن كتبها وكان فقيرًا أغناه الله، أوكان مديونًا قضى الله دينه عنه، أو عليه ذنب غفر الله له ولوالديه ببركة هذه الوصية، ومن يكتمها عن عباد الله اسودّ وجهه في الدنيا والآخرة وقال الشيخ أحمد: والله العظيم ثلاثًا، إن هذه حقيقة، وإن كنت كاذبًا أخرج من الدنيا على غير الإسلام، ومن

---

(١) المنار والازهر، رشيد رضا، ١٧١-١٧٢.

(٢) السيد رشيد رضا، شكيب ارسلان، ٧٦.

يصدق بها ينجو من عذاب النار، ومن كذب بها كفر، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. [(١)]

وأجاب الشيخ عليها فقال: (جاءنا هذا السؤال فقدمنا عليه في النشر والجواب أسئلة أخرى جاءت قبله، ثم أطلعنا قلم التحرير في جريدة الأهرام على كتاب يقترح فيه مرسله نشر هذه الوصية في الأهرام، ومطالبة العلماء ببيان ما يجب في شأنها فتذكرنا أننا قد سئلنا عنها، هذه الوصية فرية ملفقة سبقها أمثال لها كثيرة، وكلها معزوة إلى اسم الشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف أوخادم الحجرة النبوية الطاهرة، وأذكر أني رأيت أول وصية منها بين أوراق لوالدي من زهاء أربعين سنة أو أكثر، فصدقتها واهتممت بأمرها، وكان ذلك قبل طلبي للعلم بل في أول العهد بالقراءة.... ومن العجب أن الذين يجددون تلفيق الوصية لا يتركون اسم الشيخ أحمد كأنه خالد في الحرم النبوي الشريف، وكأنه أعطي خدمة الحجرة الطاهرة خالدة تالدة، لا تؤثر فيها أحداث الزمان ولامرور السنين ولا تغير الحكومات، ويلوح في ذاكرتي أن بعض زوار المدينة سأل عن الشيخ أحمد هذا منذ سنين كثيرة، فلم يجد في الحرم النبوي من يعرفه ومن دلائل كذب هذه الوصايا أسلوبها العامي). [(٢)]

وقد تقدم ذكر نماذج من إنكار الشيخ على أهل البدع في المبحث الثالث من هذا الفصل.

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٥/٤٠١.

(٢) المرجع السابق، ٢٥/٤٠١.

المطلب الثاني

نماذج من إنكاره على الحكام

١) إنكاره على الملك سعود-رحمه الله-حين كان ولياً للعهد يقول الشيخ: (إن الأمير سعودًا أكبر أنجال ملك الحجاز وسلطان نجد سيؤم مِصر لمعالجة عينيه لا لغرض آخر، وأن الحكومة المصرية قد دعته إلى نزوله ضيفًا عليها... وصلى الجمعة في المسجد الحسيني، وزار بعد الصلاة حجرة الآثار النبوية المشهورة فكان كلما عرض عليه شيء منهما قال: اللهم ارزقنا اتباع آثار نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأذاعت الجرائد له أنه زار المشهد الحسيني أي القبر المنسوب إلى الإمام الحسين السبط عليه سلام الله ورضوانه كذبًا وزورًا، وقد أنكرت هذا على الأمير كتابة، فمشافهة وقلت له: كيف تزور قبرًا مزورًا يعبد من دون الله أو مع الله بالدعاء والطواف والنذور وغير ذلك ؟ فكذب الخبر وقال: إنه لم يدخل حجرة المشهد ولا رأى ذلك القبر، واستشهد على ذلك المدير الرسمي لدار الضيافة، فشهد وكذب لي ذلك قبله وكيل الحكومتين الحجازية والنجدية، وسألتهما عما نشر في الجرائد من حضوره لحفلة الموسيقى العسكرية في حديقة الأزبكية وتصفيقه للعازفين فأنكرا ذلك أيضًا، وقالا: إنه إنما دخل الحديقة لحضور حفلة شرب الشاي التي دعي إليها ولم يحضر محل عزف الموسيقى، وإنما سمعها من بعد بغير قصد ولم يصفق لها). [1]

٢) الإنكار بالتبيين للحكام دورهم والواجب عليهم. عبر مقالة له يقول فيها: (العلماء والحكماء من مجموع الأمة بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الإنسان،

(١) المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٨.

فصلاح حال العلماء والحكام يصلح حال الأمة، وفساد حالهما مفسد لحال الأمة بأسرها، فإذا رأيت الكذب والزور والرياء والنفاق والحقد والحسد وأشباهها من الرذائل فاشية في أمة فاحكم على أمرائها وحكامها بالظلم والاستبداد، وعلى علمائها ومرشديها بالبدع والفساد، والعكس بالعكس، ولا يصدنك عن الجزم بهذا الحكم المؤرخون الكاذبون والشعراء الغاوون، الذين يرفعون هياكل الإطراء، وينصبون تماثيل المدح والثناء لكل رئيس من أولئك الرؤساء، بما ينشئونه من الجرائد، وما ينظمونه من القصائد، ولا تعول في الاحتجاج والاستدلال، إلا على الآثار والأعمال، فهي التي تشرح الحقائق وتترجم عن السجايا والخلائب، من غير كذب ولا محاباة وبلا مصانعة ولا مداجاة). [١]

٣) إنكاره على رجال الدولة العثمانية فقد أنكر الشيخ على والي بيروت إساءته في صلاته في مصلى طرابلس وبين له ما حصل منه بأسلوب رفيق فقبل الوالي كلام الشيخ شاكراً. [٢]

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/٤٦٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٧/٤٦٣.

المطلب الثالث

إنكاره على العلماء

كان الشيخ محمد رشيد رضا ينكر كل ما يعرض أمامه من المنكرات فقد أنكر على العلماء بأدب جم، وبالحجة الواضحة والدليل فمن ذلك ما حصل من شيخه حسين الجسر حيث يذكر الشيخ موقفا بينه وبين أستاذه الجسر فيقول: (وإنني لما أنشأت المنار انتقد علي – عفا الله عنه – التركيز على خرافات أهل الطريق، والشدة والاستقلال في مسائل أخرى في كتاب كتبه لي بعد أشهر من صدور المنار، قال فيه ظهر المنار بأنوار غريبة إلا أن أشعته مؤلفة من خيوط قوية كادت تذهب بالأبصار، فكتبت إليه جوابًا مفصلاً يدخل في بضع ورقات، بينت فيه ما عندي من الحجة على صحة ما كتبته، وكونه نافعًا وضروريًّا، وقلت فيه ما معناه: إنني أعرض هذا على مسامع أستاذي معترفًا بأنني لا أزال تلميذاً له، لكن على ما عهد مني من عدم قبول شيء إلا بعد الاقتناع به، وإنني أنتظر ما يجيب به لأقرره مذعنًا له إذا ظهر لي أنه الصواب، وإلا راجعته فيه كتابةً إلى أن ينجلي لي الحق، فلم يرجع إلي قولاً في ذلك، وهو لم يكن ينتقد يومئذ إلا الأسلوب، وما فيه من نشر عيوب المسلمين). [(١)]

ومن ذلك مع أستاذه حسين الجسر في ذات السياق بعد تجافي طويل استمر حتى زيارة الشيخ حسين الجسر لمصر ذاهباً للحج يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (وسألته النصيحة فأعاد عليّ إنكاره ذاك ومسائل أخرى أنكرها على بعض ما في الكتب المألوفة وقال: أنني أحب لك ما أحب لنفسي قلت: ولكن هل الله تعالى يحاسبني يوم القيامة بما

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢١ /١٥٣.

أعتقد وأعلم أم بما تعتقد أنت وتعلم ؟ أقنعني بما تقول بالدليل ليصير عقيدة لي أرجع إلى قولك قال: أنت أهل علم وصاحب حجة وليس عندي لك غير ما قلته فذكرت في نفسي قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٤، فمن عرف سيرتي هذه مع أستاذي الأول ولا أعرف له في الأزهر مثلاً في علمه وعمله وسيرته لا يستغرب إنكاري على علماء الأزهر بل يعلم أن لي فيه قدم صدق وموقف حق أجري فيه على عرق وأدين الله تعالى به لا أهاب أحداً ولا أخاف لومه لائم). [١]

ومن ذلك إنكاره على شيخه الشيخ محمد عبده في بعض المواضع من تفسير المنار نذكر منها :

عند تفسير الغضب في قولة تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الفاتحة: ٧، قال الشيخ محمد رشيد رضا: (وغضب الله يفسرونه بلازمه: وهو العقاب، ووافقهم الأستاذ الإمام، والذي ينطبق على مذهب السلف أن يقال: إنه شأن من شئونه تعالى يترتب عليه عقوبته وانتقامه، وإن الضالين هم الذين لم يعرفوا الحق ألبتة، أو لم يعرفوه على الوجه الصحيح الذي يقرن به العمل). [٢]

عند تفسيره لرحمة الله في قوله تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ الأعراف: ١٥٦، حيث خالف تفسير صفة الرحمة على مذهب السلف يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (ما نقلناه عن شيخنا في معنى الرحمة: ومحصله أن الرحمة ليست من صفات الذات أو صفات

---

(١) المنار والأزهر، رشيد رضا، ١٨٨-١٨٩.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/٥٧.

المعاني القائمة بذاته تعالى لاستحالة معناها اللغوي عليه فيجب تأويلها بلازمها وهو الإحسان فتكون من صفات الأفعال كالخالق الرزاق، وقال بعضهم: يمكن تأويلها بإرادة الإحسان فترجع إلى صفة الإرادة فلا تكون صفة مستقلة، وهذا القول من فلسفة المتكلمين الباطلة المخالفة لهدي السلف الصالح، والتحقيق: أن صفة الرحمة كصفة العلم والإرادة والقدرة.... فقاعدة السلف في جميع الصفات التي وصف الله تعالى بها نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله أن نثبتها له ونمرها كما جاءت مع التتريه عن صفات الخلق الثابت عقلاً ونقلاً بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١، فنقول: إن لله علماً حقيقياً هو وصف له، ولكنه لا يشبه علمنا، وإن له سمعا حقيقيا هو وصف له لا يشبه سمعنا، وإن له رحمة حقيقية هي وصف له لا تشبه رحمتنا التي هي انفعال في النفس، وهكذا نقول في سائر صفاته تعالى فنجمع بذلك بين النقل والعقل). [1]

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/٦٤.

المطلب الرابع

إنكاره على العلماء الذين يهملون الرد على النصارى وأصحاب المذاهب

لقد كان للشيخ جهدٌ بارز في التحذير من الأديان والمذاهب المنحرفة وقد أنكر على العلماء وأهل الرأي عدم التصدي لهذا المنكر العظيم وعدم الاهتمام بالأخذ على يد كل من يدعو له فيقول الشيخ محمد رشيد رضا في التحذير من خطر شبه النصرانية وبيان وجه نظره على من عليه ذلك: (إن هذه الشبه منشورة في كتب لهم مطبوعة، تباع للمسلمين وغيرهم، ويطَّلع عليها بعض المسلمين في المجلة التي تنقل من الكتب، ومتى أظهر المخالفون الاعتراض على الإسلام فالواجب على المسلمين مدافعتهم). [(١)]

ولذلك يرى الشيخ أولئك المنصرين من أكبر الأخطار التي تحدق بالمسلمين فيقول: (ونحن نرى المبشرين أشد إفسادًا في بلادنا من غيرهم لأن صاحب الحانة يحمل المسلم أو يساعده على مخالفة الإسلام في أمر واحد وهو السُّكر، والمبشر يحمله على ترك دينه كله، وزد على ذلك أن المبشرين هم الذين يوقدون نار العداوة بين المسلمين والنصارى ويفسدون المسلمين أنفسهم بتشكيكهم في الدين الذي هو أساس الفضيلة والتقوى والوحدة والاتفاق). [(٢)]

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦/٤٢٥.

(٢) المرجع السابق، ١٧/١٩٠.

المطلب الخامس

المنكرات العامة

أنكر الشيخ في المنكرات العامة على عدة أمور نذكر من أهمها ما يلي:

بيع أراضي فلسطين لليهود لما فيه من تمكينهم بالتملك فيكون ذريعة لطرد أهل فلسطين يقول: (إن من يبيع شيئًا من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنكليز فهو كمن يبيعهم المسجد الأقصى، وكمن يبيع الوطن كله، لأن ما يشترونه وسيلة إلى جعل الحجاز على خطر، فرقبة الأرض في هذه البلاد هي كرقبة الإنسان من جسده، وهي بهذا تعد شرعًا من المنافع الإسلامية العامة، لا من الأملاك الشخصية الخاصة، وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل، وخيانة لله ولرسوله ولأمانة الإسلام، لا أذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة، وإنما أقترح على كل من يؤمن بالله، وبكتابه، وبرسوله خاتم النبيين أن يبث هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة الذين يصرون على خيانتهم، في كل شيء من المعاشرة والمعاملة والزواج والكلام حتى رد السلام). (١)

خطب الشيخ خطبة في الأمر بالمعروف والنهي عن بعض المنكرات والطريق الى ذلك فقال: (انني خطبت القوم في تلك الجمعية خطبة في التربية، قلت فيها: أيها الإخوان، تكلم الخطباء الأفاضل في أمراضنا الروحية، وأدوائنا الاجتماعية، فلم يدعوا مقالا لقائل، ولا مجالا لجائل، مثلوا الداء للأنظار حتى كاد يحس، وصوروه حتى تخيلت أنه يلمس، فبقي علينا أن نتكلم في العلاج، ونشرع له أقرب منهاج، وليس من قصدي الخطابة وإنما أحب أن أقول كلمات ثلاث أبين بها ماذا يجب علينا أن نعمله لإرجاع مجدنا.... إن

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦١٢/٣٤.

علاج مثل هذه الأمة أمر كبير لا يعرفه إلا الحكماء والراسخون في العلم، وقليل ما هم، كتبنا وكتب الكاتبون، وقلنا وقال آخرون، والبحث لم يزل في أوله، والجماهير لم تزل تتخبط في دياجير الحيرة، وتهيم في أودية المشكلات، يقال لكم: عليكم بالإخاء، عليكم بالاتحاد، وما أشبه هذا، وهذا كلام إجمالي يخرج كل سامع له غير عالم بما يطلب منه، وما يجب أن يأخذ به، ولهذا أحببت أن أختصر القول بثلاث كلمات ليعيها الواعون، ويعمل بها الموفقون.... الكلمة الأولى: كيف نربي أنفسنا تربية دينية صحيحة ؟ والثانية: كيف نربي نساءنا ؟ والثالثة: كيف نربي أولادنا؟ فهذه هي الفرق التي تتألف منها الأمة... لا أنكر أنه لا يقدر على هذا العمل كل إنسان، لا يقدر عليه إلا أرباب الفطرة الزاكية، والهمة العالية، والعزيمة الصادقة، ولابد من الاستعانة عليه بأمرين، أحدهما كثرة المذاكرة في قبح القبيح الذي يريد تركه، وحسن الحسن الذي يحاول استبداله به، وثانيهما أن يجعل بعض أصدقائه مهيمنا ورقيبا عليه، ويأذن له بأن يذكره إذا نسي، ويؤنبه ويعنفه إذا أخل بما التزامه من ترك الرذيلة والتلبس بالفضيلة، من يرضى منا أن يوصف بضعف الاستعداد الفطري للخير ؟ من يرضى أن يرمى بوهن العزيمة ؟ من يرضى أن يغمز بقلة الهمة ؟ لا يرضى أحد منا بهذه المثالب، فعلى كل منا أن يجعل مرمى نظره، وقبلة عزيمته تهذيب نفسه وتزكيتها، وإلحاقها بنفوس الكملة، إن صح منك الهوى أرشدت للحيل، متى شرعنا في العمل يفتح في وجهنا باب العلم بنفوسنا ومصالحها، فكلما أصلحنا شيئا يلوح لنا غيره فنشتغل بإصلاحه، وهذا هو معنى الحديث الشريف: ((من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم))[1] يجب أن يبدأ كل منا بالرجوع عن كبائر

---

(١) قال أبو نعيم: (ذكر أحمد بن حنبل-رحمه الله- هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى ابن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم =

ذنوبه، وبمعالجة أسوأ أخلاقه، وهذه العظائم لا تخفى على أحد منا، الحلال بين والحرام بين، وإنما يجهل الكثير من الناس الشبهات، ولا يتقي الشبهات إلا من اتقى الفواحش والمنكرات). (١)

إنكار تقليد الغرب تقليداً أعمى يقول الشيخ: (أختم القول بتذكير أبناء العصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم، وهي أن الأمم الحية تحافظ على عاداتها القومية وشعائرها الملية وإن كانت تعتقد أنها وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك إلا إذا تبين لهم أنه ضار ضرراً كبيراً لا يشفع فيه حفظ الرابطة العامة بالثبات عليه، ثم إنهم يتروون في ذلك التروي الواجب، فما بالكم وأنتم تقلدونهم في الزي والحركة في الطريق لا في العمل وفي الماعون والأثاث لا تقلدونهم في الثبات على شعائركم والمحافظة على روابط جامعتكم؟ تعلمون أنهم ما تركوا شيئا إلا بعد أن استبدلوا به ما رأوه خيرا منه، فماذا استبدلتم بهذه الشعائر الإسلامية النافعة، والروابط الملية الجامعة، التي تتركونها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير؟ ألا إنكم تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، تحلون عرى جامعتكم التي فيها عزكم وشرفكم في الدنيا وسعادتكم في الآخرة وأنتم لا تشعرون، فتوبوا إلى الله لعلكم تفلحون). (٢)

الإنكار على إنشاء مقرات للبغايا في بلاد المسلمين يقول الشيخ: (ألا فليعلم أهل طرابلس الشام ومن على شاكلتهم من المتعرضين لإنشاء البغاء في بلادهم أنهم إذا لم

فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل) حلية الأولياء، أبو نعيم، ١٠/ ١٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٩هـ.

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٤٣٣/٢.

(٢) المرجع السابق، ٦٤١/٥.

يتداركوا هذا الأمر قبل ثباته واستقراره فإن أعراضهم على خطر وأن ما عندهم من الغيرة والحماسة الآن سيكون في أول العهد بهذا البلاء سبباً لسفك الدماء ثم تضعف الغيرة رويداً رويداً حتى تكثر القيادة والدياثة كما في جميع البلاد التي فشا فيها البغاء والبشر متشابهون في الاستعداد لذلك والعلل مربوطة بمعللاتها والأسباب موصولة بمسبباتها). [١]

وفي سؤال وجه الى الشيخ من لجنة بحث موضوع البغاء الرسمي يذكر الشيخ : أنه أرسل إليه صاحب السعادة رئيس هذه اللجنة الأسئلة الآتية كما أرسلها إلى كثير من الجماعات وأفراد العلماء الباحثين منذ شهر يونيو، وكنا أخرنا أجوبتنا لأجل أن ندرس الموضوع من جميع أطرافه فتكون مفصلة، ولما رأينا من سبقنا إلى الكتابة في الموضوع قد أطالوا في كل جواب رأينا الاكتفاء بما يوجبه علينا الشرع من بيان حكمه في الموضوع، وهذا نص الأسئلة مع أجوبتنا: أسئلة يراد الإجابة عليها:

السؤال الأول: هل ترون إلغاء البغاء الرسمي أو إبقاءه، وما هي الأسباب التي تبنون عليها رأيكم؟

أجاب الشيخ: إنني أرى وجوب إلغاء البغاء الرسمي وغير الرسمي وعقاب الزناة والزواني، لأن الزنا فاحشة حرمها الله تعالى بنص القرآن وعلى ألسنة جميع الأنبياء، فإباحته واستباحته – أعني استحلاله – ارتداد عن الإسلام، وما حرمه الله تعالى إلا لما فيه من المضار والمفاسد البدنية والنفسية والاجتماعية التي تضاعفت في هذا الزمان بفشوه في جميع الطبقات، ومنه بعض الأمراض السرية التي لم تكن كلها معروفة في العصور السابقة، وإن من أكبر العار على الأمة المصرية ولا سيما علمائها، وعلى الحكومة المصرية التي وضعت في دستورها أن دينها الإسلام أن تبيح الزنا في هذا القطر الإسلامي الذي

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٣/ ٦٨٤.

يدين جميع أهله بتحريم الزنا وقبحه، لا يشذ منهم إلا زعانف من الملاحدة الإباحيين هم أكبر خطر على هذه الأمة، فإن هذا الإسراف في الفسق يهلك الأمم القوية فكيف يكون فتكه بالأمم الضعيفة التي هي في سن التكوين السياسي والمدني والاقتصادي.

ومن العجب أن كثيراً من أهل هذه البلاد وغيرهم يرون أن مصر أولى الأقطار الإسلامية بزعامة العالم الإسلامي، وبأن تكون مقر الخلافة الإسلامية، وأن تكون الحجاز تابعة لها أو تحت سيادتها، وهي تبيح الزنا والسكر والربا والميسر إلا بعض أنواعه.

بل يجب على الحكومة المصرية سد ذرائع الزنا من تهتك النساء ورقصهن وتبرجهن في الأسواق والشوارع ((كاسيات عاريات مائلات مميلات))[1] كما ورد في الحديث الصحيح في صفات أهل النار ولا سيما استحمامهن على شواطئ البحار مع الرجال، ورقصهن معهم وخلوتهن بهم في هذه الحال، وتلك المحال، بل خروجهن بسترة الحام الرقيقة إلى الشوارع والملاهي والمقاهي، وهذه الإباحة شر من إباحة الزنا في مواخير لا يراها إلا من يدنس نفسه بدخولها، ولا يمكن منع الزنا مع إباحتها.

السؤال الثاني : في حالة الإلغاء ما هي الطرق التي تشيرون بها لمعاملة البغايا المرخص لهن الآن؟

أجاب الشيخ: إن الأطباء ورجال الإدارة أوسع رأيا مني في هذه المسألة، وإنما أقول إن كل معاملة يعاملن بها خير لهن وللناس من إباحة هذه الحرفة الملعونة.

السؤال الثالث: ما هي الوسائل التي تقترحونها لمكافحة البغاء السري؟

أجاب الشيخ: لعل أقرب الوسائل إلى ذلك وضع العقوبات الشديدة على الزنا

---

(١) أخرجه مسلم، ١٦٥/١٧، كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها، باب جهنم أعاذنا الله منها، رقم الحديث (٢١٢٨).

والقيادة وأصحاب المواخير السرية مع مراقبتهم بالدقة التي يراقب بها شر الجناة والمجرمين ومنع إباحة تهتك النساء جهرا في شواطئ البحار وأمثالها.

السؤال الرابع وجوابه: ما هي الوسائل التي تقترحونها لتلافي أضرار الأمراض السرية؟

أجاب الشيخ –رحمه الله-: إن خير وسائلها منع أسبابها، ومصلحة الصحة في غنى عن رأي مثلي في طرق علاجها.

السؤال الخامس وجوابه: إذا كنتم ترون إلغاء البغاء الرسمي فهل يكون ذلك تدريجا أم دفعة واحدة؟ أي هل يكتفى مبدئيا بعدم الترخيص لبغايا جديدات فيندثر البغاء الرسمي تدريجا؟ أم يحرم على البغايا الموجودات في الوقت الحاضر ممارسة مهنتهن فيقضى على البغاء دفعة واحدة؟

أجاب الشيخ –رحمه الله-: الواجب القطعي الذي لا تخيير فيه شرعا ولا مصلحة: إلغاء البغاء دفعة واحدة بقانون صريح يتضمن العقاب الشديد على مخالفته، وتحريمه فعلا كما حرمه الله حكما، ورجال القانون أعلم بأقرب الطرق الممكنة لتنفيذه. (١)

هذه جملة من المنكرات في عصره رحمه الله والتي تصدى لها بالإنكار بجميع درجاته حسب الاستطاعة حيث يبدو ذلك بارزاً من خلال سيرته واهتمامه الكبير بهذه الشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٥٩/٣٢.

المبحث الخامس

جهوده في جمع الكلمة والتحذير من التفرق والتحزب

مدخل:

إن جمع كلمة المسلمين من اهداف الدين الإسلامي الحنيف بل إن اجتماع الكائن البشري بشكل عام يمثل له قوة وغلبة ويبعث على الحياة في جسد الامة وفي الارض بل في كل مجالات الحياة وجمع كلمة المسلمين ما هو إلا شعور يبعثه باعث الفطرة ويؤكد عليه الدين الإسلامي وينميه وينظمه بل يجعل منه رابطة لمجتمع متكامل تترامى أطرافه الى مالا نهاية و الشيخ محمد رشيد رضا له في ذلك الجهد البارز والعمل الواضح فيقول: (ومن القواعد المسلمة: أنه لا تقوم لقوم قائمة إلا إذا كان لهم جامعة تضمهم ووحدة تجمعهم وتربط بعضهم ببعض، فيكونون بذلك أمة حية كأنها جسد واحد، كما ورد في حديث: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) [(١)]رواه أحمد ومسلم من حديث النعمان بن بشير وحديث: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))[(٢)]رواه الشيخان والترمذي، والنسائي من حديث أبي موسى فإذا كانت الجامعة الموحدة للأمة هي مصدر حياتها سواء

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، فتح الباري، ابن حجر، ١٠/٤٣٨، رقم الحديث(٦٠١١)، ومسلم في كتاب البر، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ٤/ ١٩٩٩، رقم الحديث(٢٥٨٦).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، فتح الباري، ابن حجر، ١٠/٤٤٢، رقم الحديث(٦٠٢٦)، ومسلم في كتاب البر، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، صحيح مسلم، النووي، ٤/ ١٩٩٩، رقم الحديث(٢٥٨٥).

أكانت مؤمنة أم كافرة فلا شك أن المؤمنين أولى بالوحدة من غيرهم لأنهم يعتقدون أن لهم إلها واحدا يرجعون في جميع شئونهم إلى حكمه الذي يعلو جميع الأهواء، ويحول دون التفرق والخلاف، بل هذا هو ينبوع الحياة الاجتماعية لما دون الأمم من الجمعيات حتى البيوت). (١)

وفي مقالة بعنوان الجنسية والدين الاسلامي يقول: (البداوة في النوع الإنساني سابقة على الحضارة، ولكن الإنسان مدني بالطبع، ميال للاجتماع بالفطرة، وقد كان مبدأ اجتماعه تكون الشعوب والقبائل بالعصبية النسبية، فكانت هي مناط الجنسية، ثم صعد النوع في سلم الارتقاء الاجتماعي، فاتسعت دائرة جنسيته، فكان مناطها اللغة، وكما كانت تتألب القبيلة التي يجمعها نسب واحد، وتزحف لقتال قبيلة أخرى من أهل لغتها لأقل عدوان يقع بين أفراد القبيلتين، صارت تتألب القبائل الكثيرة التي يرتبط بعضها ببعض برابطة اللغة ويلتحم بلحمتها، على قتال الأجناس التي تجمعها لغة أخرى غير لغتهم، وبهذه الجنسية تكونت الأمم، فكان منها العربي والتركي، والفارسي والهندي والصيني إلى غير ذلك ما كانت عناية الله تعالي بالإنسان لتقف به عند هذا الحد من الاجتماع والتمدن، بل أعطاه سلما ليعرج عليه إلى الأفق الأعلى من المدنية وسعة دائرة الاجتماع، وهو المعبر عنه بناموس الارتقاء العام، ولما استعد بمقتضى هذا الناموس لامتزاج بعض أجناسه ببعض، ومؤاخاة العربي للعجمي والرومي والفارسي، منحه رابطة أعلى من جميع روابط الاجتماع، رابطة تضم متفرق العناصر وأشتات الأجناس، وتصوغها فتجعلها عنصرا واحدا، رابطة يمكن لكافة البشر أن يكونوا بها أمة واحدة،

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٤/ ٢٢.

وإخوانا على سرر متقابلين، هذه الرابطة هي الديانة الإسلامية، التي بني أساسها على الوحدة في الاعتقاد، والتهذيب والأحكام القضائية والمدنية التي يخاطب قرآنها البشر كافة بقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾الشورى: ١٣). [(١)]

ويقول الشيخ واصفاً حال المسلمين في عصره: (ترى المسلمين يتململون من سلطة الأجنبي عن دينهم، وإن كان عادلا، ويودون الفرار من ظل عدل، ولو لفحهم مثل لهيب جهنم من ظلم المتحدين معهم في الاعتقاد والمذهب، وبهذا لم يكن للمسلمين جنسية في غير دينهم، ولا يخضعون باختيارهم سراً وجهراً إلا لحكومة شوروية تحكمهم بشريعتهم، وتقيم حدودها العادلة فيهم، مقتفية آثار خلفائهم الراشدين، بحيث يكون لديها الخليفة والصعلوك في الحق سواء، لو اهتدت لهذا الأمر أية حكومة إسلامية، ووفقت للعمل به مع الحكمة، من غير زيغ ولا زلل، لأمكنها أن تجمع كلمة المسلمين في مدة قصيرة، بل لو أن دولة حكيمة كإنكلترا اعتنقت الإسلام وأقامت شريعته، لتسنى لها امتلاك باقي الشرق وإفريقيا كلها، عرف الأوروبيون من المسلمين ما ذكرنا، فانتفعوا بمعرفتهم واجتهدوا في إزاحة القابضين على أزمة الحكومات الإسلامية عن صراط شريعتهم، وأدخلوا عليهم القوانين الوضعية، فنفرت قلوب الرعايا منهم وكرهت سلطتهم، حتى صارت تخرج عليهم واجتهدوا في حل عروة الرابطة الدينية من نفوس المسلمين باسم المدنية الجديدة التي تسمي التمسك بالدين تعصباً، وتمثل هذا التعصب بمثال مشوه قبيح ينفث السموم في الأرواح فيقتلها، ويعترض دون شمس العلوم والمعارف فيحجب أنوارها

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/ ٣٢١.

وما كان الأوروبيون ليتمكنوا من خلابة المسلمين بأنفسهم فيجعلوا اسم التعصب بمعنى التمسك بالدين بينهم سبةً وعاراً، ويتخذوا هذا ذريعة لفصم عروة الدين وتوهين رابطته العامة، ولكنهم تمكنوا من فتنة بعض المسلمين الجغرافيين بمدنيتهم، واتخذوهم أعوانا لهم على كل ما يقصدونه من المسلمين). (١)

ويقول الشيخ في ذلك باحثا وملهماً للحل: (فعلى كل مسلم حقيقي أن يسعى جهده في توثيق الرابطة الإسلامية الروحية بين كل من ينتسب للإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، بأن يعرف أهل كل بلاد تاريخ أهل البلاد الأخرى، وشؤونها الغابرة والحاضرة، وأن يكون لهم طرق للتعارف، وأمثل هذه الطرق الجرائد، والاجتماع في موقف الحجيج العام، ومما يقضي بالأسف واللهف أن الحجاج بعد ما يرجعون من أداء الفريضة يقضون أعمارهم في الحديث عن سفر الحج، وما لاقوه وجرى لهم فيه، ولا نسمع منهم خبرا عن أحوال إخوانهم من أهل الأقطار الأخرى الذين ضمتهم وإياهم عرفات حتى كأنهم لم يشهدوا ذلك الموقف الشريف الذي لم يسم بهذا الاسم عرفات إلا لأنه موقف التعارف بين الشعوب والقبائل، واحسرتاه، فقدنا كل شيء، حتى معاني أركان ديننا الكبرى، وأسرارها وفوائدها). (٢)

ومن طرق جمع الكلمة يقول الشيخ: (من الضروري في هذا أن يكون منا أمة يدرسون اللغات التي ينطق بها إخواننا في كل قطر، أليس من البلاء أن لغة أوردو التي ينطق بها ثمانون مليوناً من المسلمين في الهند لا يوجد تركي في الرومللي أو الأناضول ولا عربي في العراق أو سوريا أو مصر أو المغرب يتعلمها ليتعرف بها شؤون أولئك الملايين

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/ ٣٢١.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ٣٢١.

من إخوانه؟ ونرى الجم الغفير من دعاة النصرانية يتعلمون هذه اللغة، وسائر لغات العالم لأجل دعوة أهلها إلى دينهم). (١)

وقال الشيخ بعد ان نقل كلاماً لشيخ الإسلام ابن تيميّة وجعله في مقاله باسمه وسماها جمع كلمة المسلمين قاعدة أهل السنة والجماعة في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم في صلاة الجماعة واتقاء تكفيرهم للإمام شيخ الإسلام وعلم الأعلام تقي الدين أحمد بن تيمية : (هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الإسلام وأنفعه في التأليف بين أهل القبلة الذين فرق الشيطان بينهم بأهواء البدع وعصبيات المذاهب، على كونه أقوى أنصار السنة برهانا، وأبلغ المفندين للبدع قلما ولسانا، ومنهاجه في الرد على المبتدعة: بيان الحق بالأدلة، وحكم ما خالفه من شرك وكفر وبدعة، مع عدم الجزم بتكفير شخص معين له شبهة تأويل، فضلا عن تكفير فرقة تقيم أركان الدين. فجزاه الله أفضل الجزاء على إرشاده ونصحه للمسلمين). (٢)

والقاعدة في افتراق الأمّة عند الشيخ تتضح في قوله: (ان الذين هم على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه هم أهل الحديث وعلماء الأثر، المهتدون بهدي السلف، وأنهم ثلة من الأولين وقليل من الآخرين ولا تزال منهم طائفة ظاهرة على الحق إلى أن تقوم الساعة كما ورد في الصحيح، وأنهم لا يمكن أن يكونوا أتباع أحد من علماء الكلام المبتدع. سواء منهم من ضر ومن نفع ولا من المقلدين في الفروع أيضا، بل هم الذين يقدمون كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم على كل شيء، ولا يؤولون

---

(١) المرجع السابق، ٢/ ٣٢١.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣١/ ٢٨١.

شيئا منهما ليوافق مذهبا من المذاهب أو يؤيد عالما من العلماء كائنا من كان، وإن كثيرا من المنسوبين إلى تلك المذاهب قد وصل باجتهاده إلى الحق فصار منهم). [١]

ومما يجب على الدعاة إلى الله عز وجل والمصلحين أن يسعوا إليه هو جمع كلمة الأمة والتحذير من التفرق والتحزب ومن الأمور المعينة بإذن الله للوقاية من افتراق الأمة:

- وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنه.
- معرفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم والتمسك به.
- السير على منهج السلف الصالح والتمسك به.
- طلب العلم وأخذه عن العلماء بطريقته الصحيحة، عن العلماء المعروفين باتباع مذهب السلف الصالح .
- الالتفاف حول علماء الأمة.
- الحذر من التعالي على العلماء أو الشذوذ عنهم.
- إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على فقه وبصيرة.
- الحذر من الأفكار الهدامة الدخيلة على الأمة، والتي من شأنها أن تفرق الأمة وتشتتها إلى أحزاب وفرق. [٢]

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٨/ ١٩٦.

(٢) انظر: موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة، حسين الحازمي، ص٢١٥-٢١٨، ط ١، ١٤٢٠هـــ، مكتبة أضواء السلف، وجهود الشيخ تقي الدين الهلالي في الدعوة إلى الله، خالد الزهراني، ص١٠٠، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤٢٨ ه.

المبحث السادس

جهود الشيخ في تصحيح صورة دعوة

الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

نظرا لما طال دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١) وأتباعها من عداء لدرجة أن سماهم خصومهم بالوهابيين نسبة إليه، وأخطأ بعضهم فجعلها مذهباً جديداً في الإسلام، تبعا لهذه الفرية.

---

(١) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ولد ونشأ في بلدة العيينة بنجد ورحل إلى الحجاز، فمكث في المدينة النبوية مدة قرأ بها على بعض أعلامها، وزار الشام، ودخل البصرة، ثم عاد إلى نجد، فسكن حريملاء وكان أبوه قاضيها، ثم انتقل إلى العيينة، ناهجا منهج السلف الصالح، داعيا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام، وارتاح أمير العيينة عثمان بن حمد بن معمر إلى دعوته فناصره بداية الأمر، ثم خذله، فقصد الدرعية سنة ١١٥٧هـ فتلقاه أميرها الإمام محمد بن سعود بالإكرام، وقبل دعوته وآزره كما آزره من بعده ابنه عبد العزيز ثم سعود بن عبد العزيز، وقاتلوا من خلفه وكانت دعوته، الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، وسماهم خصومهم بالوهابيين نسبة إليه، وكانت وفاته في عام ١٢٠٦هـ في الدرعية عن عمر يناهز اثنتين وتسعين سنة. له مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة منها: كتاب التوحيد، ورسالة كشف الشبهات، وتفسير الفاتحة، وأصول الإيمان، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله، والمسائل التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية أكثر من مائة مسألة، وأكثر هذه الكتب مطبوع متداول. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٦/٢٥٧. وحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العلمية، إسماعيل بن محمد بن ماحي السعدي الأنصاري، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ٢، ١٤٢٠هـ).

وتعتبر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب امتداداً لدعوة شيخ الإسلام ابن تيميّة في التمسك بمنهج السلف الصالح، ولا جرم إذاً أن يُكال لها مثل الذي كيل لسلفه، وأن يدافِع عنه من يدافع عن ابن تيميّة .

و لم يعرف الشيخ محمد رشيد رضا عن هذه الدعوة في الشام إلا ما يعرفه عامّة الناس آنذاك وما تتناقله الألسن من الكذب والافتراء عليها، و لم يعرف حقيقة هذه الدعوة إلا بعد قدومه إلى مصر والاطلاع على تاريخ الجبرتي. [(١)][(٢)] فقد تعرف عليها على يد من قدم إلى مصر من أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذا لأنهم درسوا في الأزهر وصنَّفوا الكتب، وكان ذلك بعد أن انتشرت هذه الدعوة بمصر وعُرفت. [(٣)]

وكان بقاء الشيخ عبد الرّحمن بن حسن[(٤)]، حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مدة

---

(١) الجبرتي هو عبد الرّحمن بن حسن الجبرتي، نسبة إلى جبرت وهي الزيلع في بلاد الحبشة، ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر، وجعله نابليون حين احتلاله مصر من كتبة الديوان، وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي باشا، من مؤلفاته: عجائب الآثار في التراجم والأخبار وهو تاريخ الجبرتي، ومظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس، توفي سنة ١٢٣٧ هـ. (انظر: معجم المؤلفين، كحاله، ٥/١٣٤، الأعلام، الزركلي، ٣/٣٠٤).

(٢) انظر: مقدمة محمد رشيد رضا على كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي، ص ٧-٨، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط٣، ١٣٧٨هـ.

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، للبسام، ١/١٧٧و١٧٨و١٨٥و٢٠٤، ط٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩ه، وعنوان المجد، لابن بشر، ٢/٢٠ و٨٤، تحقيق: عبد الرّحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢-١٤٠٣ هـ.

(٤) هو عبد الرّحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، فقيه حنبلي، من علماء نجد، مولده في الدرعية، سنة ١١٩٣ه، وهو حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة إلى التوحيد المعروفة باسمه، تفقه عبد الرّحمن بنجد ثم بمصر، وعاد إلى نجد سنة ١٢٤١هـ، تولى قضاء الرياض،
=

ثمان سنوات في مصر قبل عودته إلى وطنه، كما بقي الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ (١) ثلاثين عاماً في الأزهر. (٢).

ويقول عنه الشيخ: (الذي يظهر أن الشيخ عبد اللطيف كان أوسع علماً بفنون العربية وأصول الفقه ومصطلح الحديث من جده شيخ الإسلام، ولكن جده هو الذي هدى إلى العلم الواسع الدقيق بتوحيد الله تعالى الذي هو أساس الإسلام، وقام بالدعوة وهدى الله به الألوف ومئات الألوف إلى دين الله الخالص، وكان أولاده وأحفاده ومنهم الشيخ عبد اللطيف - رحمه الله - هذا من بعض حسناته). (٣)

ومن هذا يتَّضح أن هذه الدعوة وصلت لمصر مبكراً، وهناك عرفها الشيخ محمد رشيد رضا على حقيقتها فماذا عرف عنها؟

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (لم يخل قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين يجدِّدون لهذه الأمة أمر دينها، بالدعوة والتعليم وحُسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين... ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي -رحمه الله- من هؤلاء العدول المجدِّدين، قام يدعو إلى تجريد

وتوفي بها سنة ١٢٨٥ هـ وقد قارب المئة، له كتب منها: الإيمان والرد على أهل البدع وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد. (انظر: معجم المؤلفين، كحاله، ٥/ ١٣٥، الأعلام، الزركلي، ٣/٣٠٤).

(١) عبد اللطيف بن عبد الرّحمن هو: عبد اللطيف بن عبد الرّحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد في الدرعية سنة١٢٢٥هـ ودرس في الأزهر، وتوفي في الرياض١٢٩٣هـ. من مؤلفاته منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، ومصباح الظلام في الرد على ابن منصور. (انظر: علماء نجد، البسام، ص ٢٠٢، وما بعدها. والأعلام، الزركلي، ٤/١٨٢).

(٢) انظر: علماء نجد، البسام، ص١٨٥و٢٠٤.

(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٨/٤٢٤.

التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وترك البدع والمعاصي وإقامة شرائع الإسلام المتروكة، وتعظيم حرماته المنتهكة المنهوكة). [١]

ومما عرفه عن أثر هذه الدعوة على نجد يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (وقد كان من حسنات تأثير محمد بن عبد الوهاب المجدد للإسلام في نجد إبطال عبادة الجن وغير الجن منها، ولم يبق فيها إلا أهل تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله). [٢] ومن ذلك الحين والشيخ محمد رشيد رضا نصيراً لها في مصر وفي العالم كله بقدر ما تصل إليه مجلته، ناشراً لرسائله وراداً على أعدائه. [٣]

أسباب نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

لعل من أهم أسباب نجاحها بعد توفيق الله عز وجل:

(١) أن دعوته انطلقت من التوحيد الذي هو أساس دعوة جميع الأنبياء، ووفت العقيدة حقها، ونبذت كل صور الشرك والوثنية والبدع.

(٢) أن دعوته جسدت منهج أهل السنة والجماعة في أجلى صوره، وسارت على خطى المجددين السابقين وبخاصة شيخ الإسلام ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم.

(٣) اجتماع الوالي والداعية في صف واحد مما زاد من قوة دعوة الشيخ رحمه الله. [٤]

---

(١) مقدمة رشيد رضا على كتاب صيانة الإنسان، السهسواني، ص ٦- ٧.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٨ /٣٦٩.

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٤٣٣/٢٩، ٥٢١، ٥٩٥ و٢٤١/٢١، ٢٨١.

(٤) انظر: خواطر حول الوهابية، محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ص٣٢، دار التوحيد للتراث، الإسكندرية، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

المطلب الأول

طباعة كتب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

إن المطبعة التي انشأها الشيخ محمد رشيد رضا لم تكن محصورة على مؤلفاته فقط بل مكنته من نشر ما يراه مناسبا لفكره ومعتقده، وإن طباعة كتب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك الوقت كان له الأثر البارز في نشرها وتعريف العالم الإسلامي بها، فقد عني رحمه الله بكتب ابن تيميّة وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب، حتى اشتهر بذلك وأسماه خصومه بالوهابي، ولعل سبب هذه التسمية أيضا أنه كتب مقالات عديدة في الدفاع عنه وعن دعوته، منها مجموعة مقالات أسماها الوهابيون والحجاز شرح فيها دعوة الشيخ، وجلى مبادئها وأهدافها، من ٩٨ صفحة، كما كتب كتابا رد فيه على خصوم الدعوة من الشيعة والرافضة، أسماه السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة.

ومن كتب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي طبعها في مطبعته مطبعة المنار:

الطبعة الأولى من كتاب الضياء الشارق في رد شبهات المازق المارق، لسليمان بن سحمان(١) المطبوع بمطبعة المنار عام ١٣٤٤هـ.

الطبعة الأولى من كتاب مجموعة رسائل وفتاوى من مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر، لعلماء نجد الأعلام، المطبوع بمطبعة المنار بمصر عام ١٣٤٦هـ.

---

(١) هو: سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان العالم المصنف واللسان المدافع عن الدعوة السلفية. ولد بقرية السقا سنة ١٢٦٨هـ، فنشأ فيها وقرأ على والده ثم بالرياض على الشيخ عبد الرّحمن بن حسن وابنه الشيخ عبد اللطيف، فلازم دروسهما وله مصنفات كثيرة في توضيح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب توفي بالرياض سنة ت١٣٤٩هـ. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٣/ ٨٤. وعلماء نجد، ابن بسام، ١/ ٢٦٦ – ٢٦٩).

الطبعة الاولى من كتاب تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الالفاظ المبتدعة الوخيمة، لسليمان بن سحمان طبع بالمنار عام١٣٤٣هـ.

الآداب الشرعية لابن مفلح، طبع بالمنار عام ١٣٤٨هـ .

كتابا إرشاد الطالب إلى أهم المطالب ومنهاج أهل الحق والاتباع، لسليمان ابن سحمان، المطبوعان بمطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٠هـ.

مجموعة التوحيد النجدية، طبعت بمطبعة المنار، الطبعة الاولى، وتحتوي على:

١) كتاب كشف الشبهات.

٢) كتاب التوحيد .

٣) تسع رسائل في التوحيد .

٤) أربع مسائل .

٥) الكلمة النافعة في المكفرات الواقعة .

وهذه كلها للشيخ محمد بن عبد الوهاب، كما شملت هذه المجموعة أيضاً: كتاب قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، وكتاب: خمس رسائل في التوحيد والإيمان، للشيخ عبد الرّحمن بن حسن.

٦. مجموعة الحديث النجدية، طبعت في القاهرة سنة ١٣٤٢هـ، بمطبعة المنار وتشتمل على عدد من الكتب والرسائل لعدد من العلماء، وهي: كتاب الأربعون النووية، للإمام النووي، وعمدة الأحكام، للحافظ المقدسي، ومن كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

١-أصول الإيمان.

٢-فضل الإسلام.

٣-الكبائر.

٤-نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين.

وتضمنت : رسالة الصلاة، والوابل الصيِّب من الكلم الطيب، وكلاهما للإمام ابن القيم.

٧. الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية والطريقة المحمدية، سليمان بن سحمان، طبع في مطبعة المنار، الطبعة الأولى ١٣٤٢ هـ.

٨. الإيمان والكفر والنفاق والظلم والفسق، للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرّحمن بن حسن، نشرها في المجلة ليعلم منها ما عليه علماء نجد في مسألة تكفير المخالفين واحتياطهم فيها.[1]

---

[1] انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢١/٢٨٤، و ٢١/٢٢٩، و ٢٩/٥٢١، و ٢٧/٥٠٥ و٢٧/٥٨٥. وعناية الملك عبد العزيز بنشر الكتب، عبد العزيز أحمد الرفاعي، ٢٢-٣٣، ط١، مكتبة الملك فهد، الرياض، ١٤٠٨هـ.

المطلب الثاني

ردود الشيخ على المخالفين أو المفترين على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوتـــــــه

لقد اقتنع الشيخ محمد رشيد رضا بهذه الدعوة وبمبادئها فيقول عنها: (الوهابية كانوا قائمين بإصلاح إسلامي لو تم لعاد للإسلام مجده الأول وأن الذين وسوسوا لمحمد علي بمحاربتهم هم الأوربيون الذين ينظرون إلى غايات الأمور وعواقبها كما هو مصرح به في بعض تواريخهم، وأما ما شاع في بلاد الشام والحجاز من أن الوهابية خارجون عن السنة وملحقون بأهل البدعة فسببه بعض المصنفات التي لفقها العلماء الرسميون المصانعون للحكام وهي مملوءة بالأكاذيب، وإنما مذهب القوم مذهب السلف في العقائد مذهب الإمام أحمد في الفروع ولهم تشديد عظيم على مخالف السنة هذا هو اعتقاد الخواص، وهم يقولون: إن هذا العمل الثالث هو أكبر سيئات محمد علي وأنه به وبما سبقه كان أكبر بلاء على الإسلام والمسلمين في القرن الماضي). [(١)]

ومن اهم هذه الردود تأليفه لكتاب الوهابيون والحجاز، والذي ضمنه مقالات له في على ما كان يدور في ذلك الوقت من شبهات على هذه الدعوة وكذلك كتاب السنة والشيعة أو الوهابيون والرافضة، والذي رد فيه على خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الشيعة والرافضة، وكذلك ضمن تفسيره تفسير المنار بعض هذه الردود والتي منها قوله: (ألم تر إلى ما استحدثه بعض المبتدعة في الإسلام، وقلدهم فيه بعض الملوك من المنسوبين إلى السنة: من تشييد القبور، وتزيينها بالعمائم والستور، وبناء القباب

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٥/ ١٥٧.

فوقها، واتخاذها مساجد يصلى إليها أو لديها، وإيقاد السرج والشموع عليها، أنه قد جعل لها مكانة دينية كبيرة في قلوب عامة المسلمين حتى صارت عندهم من شعائر الدين، بحيث يعدون من روى لهم الأحاديث الصحيحة في لعن الله ورسوله لمن يفعل ذلك مبتدعا فيه أو مارقا منه، وينبزونه في بعض البلاد بلقب وهابي إذ كانت طائفة من الحنابلة في بلاد العرب سميت الوهابية قد عمدوا إلى إزالة هذه المنكرات بأيديهم، لما لم يؤثر في إزالتها إنكار علماء السنة المصلحين لها بألسنتهم وأقلامهم). [(١)]

ومن ذلك أيضاً يقول الشيخ: (وأما اتهام الأستاذ وغيره بالدعوة إلى مذهب الوهابي، فهو من ضيق العطن وقلة العلم فقد اتخذ المتعصبون اسم الوهابي وصاروا يهددون به الناس، والأستاذ الإمام لا يدعو إلا إلى الكتاب والسنة فمن اتبعهما فهو المهتدي عنده وعندنا وإن سمي وهابيا، ومن أعرض عنهما فهو الضال وإن سمي نفسه سنياً أو أشعرياً أو حنفيا أو شافعيا، وإنما يخاف من النبذ بالألقاب من لا يعرف الله ولا يرجوه بعمله، وإنما يرجو مرضاة العوام الذين يشتمون كل مخالف لتقاليدهم التي ليس بها من علم إن هم إلا يخرصون، وجملة القول: إن من يرغب عن الكتاب والسنة فقد سفه نفسه وكان بريئا من الأئمة، وإن ادعى اتباعهم فإنهم حرموا التقليد الأعمى). [(٢)]

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٩/ ٩٥.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٨/ ٢٩٤. وانظر: ايضاً كتاب صواعق من نار في الرد على صاحب المنار، يوسف الدجوي، مكتبة التقدم، القاهرة، حيث تجنى فيه الكاتب على الشيخ محمد رشيد رضا، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، اتهامات بدون مرجع ولا حجة إلاّ الروايات المنقطعة السند والجهل بحال القوم، ورد عليها الشيخ في كتابه المنار والأزهر.

ومن جهوده في ذلك ما قام به من تقديمٍ لكتاب صيانة الانسان عن وسوسة دحلان[1] والذي تصدى فيه بالرد على صاحب كتاب الدرر السنية في الرد على الوهابية لمؤلفه الشيخ دحلان[2] من علماء مكة المكرمة في ذلك الوقت وطبعة في مطبعة المنار فيقول في مقدمته للكتاب: (ثم اطلعت على كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورسائله وفتاويه.... وقد طبعت أكثر كتبهم وعرف الألوف من الناس أصل تلك المفتريات عنهم، ومن المستبعد جداً أن يكون الشيخ أحمد دحلان لم يطلع على شيء من تلك الكتب وهو في مركزه بمكة المكرمة على مقربة منهم). [3]

هذه بعض جهود الشيخ محمد رشيد رضا نحو دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والذي لم يدخر جهدا في خدمتها، والدفاع عنها ليس لأطماع ولكن لاقتناع بما عليه هذه الدعوة واحتكاكه برجالها ولإدراكه بماهيتها، وإتباعها لمذهب السلف الصالح رضي الله عنهم والذي كان الشيخ يناصر أهله واصحابه ولو اختلفت الوانهم وجنسياتهم ومما يدلل على ذلك صدق فراسته في الدولة السعودية وما ينتظرها من مستقبل باهر وهو ما تشهده المملكة اليوم من اتِّباع لمذهب السلف الصالح والسير عليه.

---

(١) وهو: كتاب صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي، المطبعة السلفية ومكتبتها، قدم له الشيخ محمد رشيد رضا.

(٢) أحمد بن زيني دحلان ، ولد بمكة في سنة ١٢٣٢هـ وتولى فيها الإفتاء والتدريس، له مؤلفات بث فيها الأكاذيب والمفتريات ضد دعوة ومجددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ومن ذلك رسالته الدرر السنية في الرد على الوهابية، طبعت عدة مرات وموجودة أيضاً ضمن كتابه : خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام وغيرهما، توفي سنة١٣٠٤ه. (انظر: الأعلام، الزركلي، ١/١٢٩. ومعجم المؤلفين، كحالة، ١/٢٩. ومجلة المنار، رشيد رضا، ٧/٣٩٣).

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، السهسواني، مقدمة محمد رشيد رضا، ص ٢٨.

المطلب الثالث

تأييده للملك عبد العزيز والدولة السعودية

عاصر الشيخ محمد رشيد رضا قيام الدّولة السعودية الثالثة، فكان أكبر نصير لها، ونستطيع أن نقول: إن مجلة المنار صارت لسان حال الدولة السعودية الثالثة ومقالها أيضاً، دفاعاً عنها ودعايةً لها وتأييداً لملكها في كل محفل ومناسبة، ونستطيع بسهولة أن ندرك ذلك بمطالعة الأجزاء الأخيرة من مجلة المنار. (١)

ولقد كان موقف الشيخ من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية محل دراسة وبحث للعلماء والباحثين. (٢) والشيخ محمد رشيد رضا يؤمن بزعامة الملك عبد العزيز آل سعود(٣) الإسلامية في المحيط السياسي للعالمين العربي والإسلامي، ويؤيِّد

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٦/٥٤٠، ٢٧/١٦٢و٢٧٢وما بعدها، ٢٧/٥٥٥، ٢٨/١ و٢٣٨و٤٦٥ و٢٩/١٦٣ و١٦٧و١٨٥ و٢٢٣ و٤٣٢ و٦٩٦و ٧٦٤ و٧٩٢، ٣٠/١١١و٢٢٦و ٣٩٤و٥٢١ و٦٣٣، ٣٣/١٠٨و٣٠٥.

(٢) من هذه الدراسات: كتاب الشيخ رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد عبد الله السلمان، رسالة علمية من قسم التاريخ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٣) عبد العزيز بن عبد الرّحمن بن فيصل آل سعود، وهو ملك المملكة العربية السعودية ومؤسسها، ولد الملك عبد العزيز في مدينة الرياض عام ١٢٩٣هـ-١٨٧٦م، ونشأ تحت رعاية والده، ووالده هو الإمام عبد الرّحمن بن فيصل أصغر أبناء الإمام فيصل بن تركي بن عبد الّله آل سعود وتعلمّ الملك عبد العزيز القراءة والكتابة والقرآن الكريم على يد الشيخ القاضي عبد الله الخرجي من علماء الرياض، ثم قرأ القرآن الكريم كاملاً على يد الشيخ محمد بن مصيبيح، كما درس جانباً من أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، تولع بالفروسية وركوب الخيل منذ صباه، وكان حازماً ذكياً متفوقاً على أترابه شجاعاً جريئاً مقداماً، يتمتع بخلق قويم وإرادة

=

هذه الزعامة ويناصرها، خاصة بعد أن أتم الملك عبد العزيز توحيد المملكة العربية السعودية، وبالمقابل فالملك عبد العزيز يقدر الشيخ كعالم إسلامي مُصلِح، ويستنير بآرائه ويصغي لنصائحه وتوجيهاته، وغني عن البيان أن هذه العلاقة القوية بين الشخصيتين قامت على أساس اعتناقهما العقيدة السلفية، فالملك عبد العزيز يعد زعيم أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عهده والشيخ أعجب بهذه الدعوة وناصرها وتأثر بها كما مر، ولم يكتف الشيخ بذلك، بل أخذ ينشر على صفحات مجلة المنار كثيرًا من القرارات السياسية للدولة السعودية ويعلِّق عليها مؤيدًا لها، مثل البلاغ الذي أعلنه الملك عبد العزيز عند دخوله الحجاز [1] ووثيقة دعوة الملك عبد العزيز لمؤتمر إسلامي في مكة لتقرير مستقبل الحجاز. [2]

نافذة، بعيد المطامح، طويل الرويّة، صحب الملك عبد العزيز أباه في رحلته إلى البادية، بعد رحيلهما عن الرياض، وقد أثرت حياة التنقل إلى حد بعيد في شخصية عبد العزيز خاصة في مجال الحروب فقد تعود حياة البادية بما فيها من قوة وشجاعة وأخلاق وتحملٍ للمسؤولية واستقر الملك عبد العزيز مع أبيه في الكويت عقب سيطرة آل الرشيد على نجد ومر خلال إقامته بالكويت بتجربة سياسية كبيرة من خلال مجالسة الشيوخ والأمراء والحكام ورجال الدولة وكان مشروع توحيد المملكة العربية السعودية في مقدمة أعمال الملك عبد العزيز ومنجزاته، تمكن من استرداد الرياض في ٥ شوال ١٣١٩هـ–١٥ يناير ١٩٠٢م شرع الملك عبد العزيز في توحيد مناطق نجد تدريجياً وحد معها الحجاز ولقب بملك الحجاز ونجد وملحقاتها وفي ١٧ جمادى الأولى ١٣٥١هـ، صدر مرسوم ملكي بتوحيد كل أجزاء الدولة السعودية الحديثة في اسم واحد هو المملكة العربية السعودية، توفي الملك عبد العزيز بن عبد الرّحمن آل سعود بقصره بمحافظة الطائف التابعة لمنطقة مكة المكرمة في يوم الاثنين٢/٣/١٣٧٣هـ أثر نوبه قلبيه بعد حكم دام اثنتين وخمسين سنة وبلغ من العمر ثمانين سنة. (انظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، الزركلي. والوهابيون والحجاز، رشيد رضا، ٨٩-٩٢).

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٧٣/٢٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١١٣/٣١.

والحقيقة أن الشيخ لم يتَّجه بكلِّ قوَاه لتأييد جهود الملك عبد العزيز وأعماله إلا بعد أن فقد الأمل في تركيا.

واستمرت بينهما الرسائل والتي كانت في أغلبها تحمل ألوانًا من النصائح التي يوجهها الشيخ إلى الملك عبد العزيز فيتقبلها الملك بصدر رحب بالرغم مما تحمله بعض تلك النصائح من الشدة في الأسلوب[١] وقد برزت هذه العلاقة من جهة الملك عبد العزيز نظراً لجهود الشيخ وأعماله في سبيل رفعة شأن أمَّته العربية والإسلامية، فقد أرسل إلى الشيخ خطاباً افتتحه بقوله: (في الحقيقة يا صاحب الشرف الرفيع أنك تبذل نصحك بأمانة وإخلاص، نظرًا لغيرتك على الإسلام والعروبة.... الخ) [٢] كما ختم الملك عبد العزيز خطابه يطلب إلى الشيخ في أن يواصل في كتابته إليه.

ومما ينبغي ذكره هنا أن علاقة الشيخ بالملك عبد العزيز تعرَّضت لهجوم عنيف من قِبَل أعداء الشيخ في مختلف الأمصار الإسلامية، فهاجمتْه أقلامهم المختلفة، واتهموه بأنه وهَّابي يحصل من وراء نصرته لابن سعود أموالاً طائلة .

---

(١) وفي ذلك يقول عبد الرّحمن بن عاصم ابن عم الشيخ محمد رشيد رضا: (وإن أنسى لا أنسى أني وجدت شدَّة في خطاب منه إلى جلالة الملك عبد العزيز وراجعتُه فيها، فغضب وقال: أتريد أن تعلمني المداجاة والجبن أقفل المكتوب وأرسله إلى البريد، واعلم أن مزيتي عند الملك إخلاصي وصراحتي في النصيحة، ومزيته عندي أن يقبل النصيحة). مجلة المنار، رشيد رضا ٣٥/٤٨٣-٤٨٥، من كلام السيد عبد الرّحمن عاصم.

(٢) العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، مكي الطيب شبيكة، ص٤٠-٤١، ١٩٧٥م، معهد البحوث والدراسات العربية، والرسالة المذكورة موجودة في دار الوثائق البريطانية بلندن.

وقد رد الشيخ في مجلة المنار على هذه التهم وذكر أن نصرته للملك عبد العزيز لم تكن لناحية دنيوية، وإنما هي نصرة للسنة ومذهب السلف، ودلَّل على ذلك بدفاعه عن الوهَّابية ضد محمد علي سنة ١٣٢٠هـ، وهو لا يعرف أن للوهابية أميرًا يحسن أن يرسل إليه بما كتب عنهم، ثم يذكر أنه صار للوهابية حزب كبير في مصر بإرشاد المنار، ولا تشوبه أدنى شائبة دنيوية، ثم ذكر أنه بعد ذلك التاريخ ١٣٢٠هـ، ببضع سنوات بدأت المكاتبة بينه وبين الأمير عبد العزيز آل سعود، ثم يقول الشيخ: (كيف لا أنصر ابن سعود وأناضل خصومه من المبتدعين والخرافيين وقد فعل كل هذا، ويرجى أن يفعل ما هو أتمُّ منه وأكمل). [(١)]

وعلى كلٍّ فقد استمرَّت العلاقة الطيبة القوية بين الشيخ والدولة السعودية حتى وفاة الشيخ، بل إن قصة وفاته تدلُّ على عمق هذه العلاقة، فقد صادف أن زار الأمير سعود بن عبد العزيز ولي العهد السعودي حينذاك مصر في جمادى الأولى سنة ١٣٥٤هـ، وحرص الشيخ على الاجتماع بالأمير وحده ليفضي إليه بآرائه ونصائحه. [(٢)]

هذه بعض جهود الشيخ التي كان لها الأثر البارز في ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والرد على أعدائها حيث ألقى بثقله كعالم له مكانته في العالم الإسلامي في سبيل ما عاش من أجله في الدفاع عن الكتاب والسنه ومذهب السلف الصالح رضي الله عنهم ونصرته ونظراً لما رآه من صحة المعتقد وحسن الاتباع في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيث اعتبر مناصرتها مناصرة للكتاب والسنه ومذهب السلف الصالح.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٨/٤-٨.

(٢) المرجع السابق، ٣٥/١٥٣-١٦١.

الفصل الثالث

أساليب دعوة الشيخ محمد رشيد رضا

وفيه ستة مباحث:

المبـــــــــحث الأول : الحكمة .

المبـــــــــحث الثاني: الموعظة الحسنة.

المبـــــحث الثالث : المجادلة بالتي هي أحسن .

المبـــــحث الرابع : القدوة الحسنة .

المبحث الخامس: دعوته إلى إقامة الجمعيات الإسلامية والدعوية خاصة.

المبحث السادس : مراسلة الحكام والنصح لهم.

تمهيد

تتنوع الأساليب الدعوية لاعتباراتٍ تتعلق بها وتظهر أهمية اختيار الأسلوب يقول الشيخ: (الحكماء الذين يرشدون الناس إلى العدالة العامة في كل شيء، ويجعلونها روح الفضائل وقوامها، ومرتبتهم في الهداية والإرشاد تلي مرتبة الأنبياء وأثرهم في ذلك يلي أثرهم، ذلك أن جميع طبقات الناس تنتفع بهدي الأنبياء، كل صنف بقدر استعداده، وأما الحكماء فلا ينتفع بهم إلا بعض الخواص المستعدين لتلقي الفلسفة، ألم تر كيف اصطلم التوحيد وثنية العرب في مدة قليلة بدعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكيف عجزت دعوة فلاسفة اليونان إلى التوحيد عن مثل ذلك أو ما يقاربه فلم يستجب لهم فيها في الزمن الطويل إلا قليل من طلاب الفلسفة؟ ذلك بأن دعوة النبي على ما تختص به من التأييد الإلهي وتأثير روح الوحي لها ثلاثة مظاهر بينها الله تعالى في قوله: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾النحل: ١٢٥ . فالحكمة ما يدعى به العقلاء وأهل النظر من البراهين والحجج، والموعظة ما يدعى به العوام السذج، والجدل بالتي هي أحسن للمتوسطين الذين لم يرتقوا إلى الاستعداد لطلب الحكمة ولا ينقادون إلى الموعظة بسهولة، بل يبحثون بحثا ناقصا، فلا بد من الحسنى في مجادلتهم ومخاطبتهم على قدر عقولهم، وأما الحكماء فإن لهم طريقة واحدة في الدعوة إلى الحق، والفضيلة مبنية على طلب العدل في الأفكار والأخلاق، وقد يكون الحكيم الذي يدعو إلى ذلك متدينا ويجري في الإقناع بالدين على الطريقة المذكورة آنفا، وقد يكون غير متدين وهو مع ذلك يدعو إلى القسط والعدل من العقل بحسب ما وصل إليه علمه

مع الصدق والإخلاص، والإقدام على قتل هؤلاء دليل على غمط العقل ومقت العدل، وأقبح بذلك جرما وكفى به إثما). [(١)]

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٣/ ٢١٦.

المبحث الأول

الحكـــــــمة

وفيه مطالب :

المطلب الاول: تعريف الحكمة.

المطلب الثاني: أسلوب الحكمة عند الشيخ محمد رشيد رضا.

المطلب الثالث: استخدام أسلوب الحكمة عند الشيخ محمد رشيد رضا.

المطلب الأول

تعريف الحكمة

الحكمة لغة:

الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع، حكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل، وتقول حكمتُ فلان: أي منعتُه عما يريد[١] والحكمة: العلم، وصاحب الحكمة والحكيم المتقن للأمور[٢] والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل[٣]والحكيم: المانع من الفساد، ومنه سميت حَكَمة اللجام، لأنها تمنع الفرَس من الجري والذهاب في غير قصد. [٤]

فالحكمة في اللغة تأتي بمعاني كثيرة تدور حول العقل وجعل الأمور في نصابها إما بالمنع، أو بالعلم، أو بالعدل، أو بالحلم، وتنتهي بإتقان الشيء وإنجازه على أحسن وجه.

الحكمة شرعا:

لقد تعددت تعاريف العلماء – رحمهم الله – للحكمة جاء منها:

قيل هي: المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله. [٥]

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/٩١.

(٢) انظر: الصحاح، الجوهري، ٥/١٩٠١. ولسان العرب، ابن منظور، ١/٦٨٨.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص١٢٧، مادة: حكم، تحقيق محمد سيد الكيلاني، ١٣٨١هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/ ٢٨٨.

(٥) انظر: تفسير ابن كثير، ١/١٨٤، من كلام ابن عباس رضي الله عنه.

وقيل الحكمة في القرآن هي: معرفة الحق وقوله والعمل به. (١)

وقيل الحكمة هي: فعلُ ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي. (٢)

وقيل : هي وضع الشيء في موضعه. (٣)

وقيل: الحكمة شيء يجعله الله في القلب، ينور له به. (٤)

وقيل: الإصابة في الأقوال والأفعال، ووضع كل شيء في موضعه. (٥)

ومن التعاريف أيضاً للحكمة أنها: الإصابة في معرفة الحق والعمل به، والدقة في وضع الأمور موضعها الصحيح. (٦)

وأشمل تعريف لها هو: فعلُ ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي في الوقت الذي ينبغي.

ويعرفها الشيخ محمد رشيد رضا فيقول: (الحكمة ما يُدعى به العقلاء وأهل النظر من البراهين والحجج). (٧) ويعتبر تعريفه هنا تعريفاً لها كأسلوب من أساليب الدعوة.

---

(١) انظر: الفتاوى، ابن تيميّة، ٢/٤٥.

(٢) انظر: مدارج السالكين، ابن القيم، ٢/٤٩٩.

(٣) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق، زيد عبد الكريم الزيد، ص٣٠، دار العاصمة، الرياض.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري، ١/٨٧.

(٥) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص١٧، ط٤، ١٤٢٥هـ، مؤسسة الجريسي، الرياض.

(٦) وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي، ص٣١، ط١، دار اشبيليا، ١٤٢٠هـ.

(٧) تفسير المنار، رشيد رضا، ٣/ ٢١٦.

المطلب الثاني

أسلوب الحكمة عند الشيخ محمد رشيد رضا

تتجلى أهمية الحكمة للداعية لأنها مطلب عزيز، وفوائدها وآثارها وتظهر على الدعوة على المدى القريب والبعيد، قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ٢٦٩، وهي صفة من الصفات الفطرية للأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

يقول الشيخ مميزاً بين الحكمة والعلم: (الحكمة أخص من العلم، هي العلم بالشيء على حقيقته وبما فيه من الفائدة والمنفعة الباعثة على العمل، فهي بمعنى الفلسفة العملية كعلم النفس والأخلاق وأسرار الخلق، وسنن الاجتماع). [١]

والحكمة اسلوب قرآني في الدعوة الى الله بل في جميع مناحي حياة المسلم زاد للداعية بشكل خاص قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾النحل: ١٢٥، فيتضح من هذا الترتيب أن الحكمة في الدعوة مقدمة على جميع الاساليب الدعوية.

ويقول الشيخ في أصول الدعوة بالحكمة: (وأما الحكماء فإن لهم طريقة واحدة في الدعوة إلى الحق، والفضيلة مبنية على طلب العدل في الأفكار والأخلاق، وقد يكون الحكيم الذي يدعو إلى ذلك متدينا ويجري في الإقناع بالدين على الطريقة المذكورة آنفا،

---

(١) الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص ١٨٠.

وقد يكون غير متدين وهو مع ذلك يدعو إلى القسط والعدل من العقل بحسب ما وصل إليه علمه مع الصدق والإخلاص). (١)

واستخدام الأساليب في الدعوة الى الله بشكل عام والحكمة بشكل خاص له أهمية عند الشيخ فيقول: (فإذا كانت الدعوة في الصدر الأول قد تيسرت بغير تعليم صناعي ولا تأليف جمعية معينة كما كان فهم الدين متيسرا بغير تعلم صناعي ففي هذا الزمان يتوقف فهم الدين على التعليم الصناعي، وتتوقف الدعوة إليه والأمر بما جاء به من المعروف وما حظره من المنكر على تعليم خاص وتأليف جمعيات خاصة تقوم بهذا العمل، ولا ينتشر الدين ولا يحفظ على وجهه إلا بهذا). (٢) وهذا من الحكمة في الدعوة، حيث إن هذين الأمرين هما عماد توصيل الدعوة بشكل واضح ومنظم ومستمر فالتعليم الصناعي أي الموجه والمركز المنضبط بالكتاب والسنه إذا كانت في جمعيات مخصصه للدعوة الى الدين توتي نتائجها بشكل سريع وواضح ويضمن الدعوة استمراريتها وقوتها، والحكمة من الداعية هي البدأ بالأهم فالمهم، فيبدأ بالعقيدة أولاً ثم شرائع الدين، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب)). (٣)

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٣/ ٢١٦.

(٢) المرجع السابق، ٤/ ٣٦.

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ٢/ ٥٤٤، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء، رقم الحديث(١٤٢٥)، حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن.

وقال ابن القيم: (جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يُدعى بطريقة الحكمة ...). (١)

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (للإصلاح شرطان: أولهما استعداد الأمة لقبوله، والثاني الزعيم الداعي إليه من طريقه الطبيعي مع الكفاءة والاضطلاع، فإذا ظهر مثل هذا الكفؤ للقيام بالإصلاح في قوم ورآهم غير مستعدين لقبول إصلاحه فإنما يشتغل بالسعي في إعدادهم وتهيئتهم للأخذ بأركان ذلك الإصلاح، ولا يدعوهم إليها في أول الأمر.... المصلح إما داع ذو بيان، يستصرخ الشعور والوجدان، ويستنفر العقل والجنان، دالا على طريق الإسعاد، هاديا إلى سبيل الرشاد، وإما ملك مستبد، حكيم مستعد، على أمة خاملة، ورعية جاهلة، يحملها بالقهر والإلزام، على ما يطلب ويرام، وكل منها مطالب بمراعاة استعداد الأمة ودرجة قابليتها، ولكن الأول يحتاج من ذلك أكثر مما يحتاج إليه الثاني، لأنه يدعو النفوس إلى العمل باختيارها، وإنما العمل الاختياري ما توجهت إليه الإرادة بباعث العلم والإذعان بأن فيه اجتناب مفسدة، أو اجتلاب مصلحة، وليس لأحد سلطان على النفوس يفهمها ما لم تستعد لفهمه، ويقنعها بما لا تحيط بعلمه، وإذا عجز المستبد عن التسلط على الضمائر، والسيطرة على السرائر، فلا يعجز عن التصرف بالظواهر، بأن يلزم الناس بالأعمال النافعة، وإن لم يعتقدوا نفعها حتى إذا جاء وقت الجني والقطوف، عرفوا ما لم يكن معروف، فكانوا كمن يقاد للجنة بالسلاسل). (٢)

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، ١٥٨/١، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٨١/٤.

المطلب الثالث

استخدام أسلوب الحكمة عند الشيخ محمد رشيد رضا

كان استخدام الشيخ للحكمة في عدة مواقف منها:

أولاً: يقول الشيخ: (كان في أرض القرية بعد بضع دقائق مجرى ماء للمطر يسمى وادي الولية وفيه شجرة زيتون كبيرة تسمى زيتونة الولية كان كثير من المارة يتبرك بها لما اشتهر من أن هناك ولية مدفونة وبجانبها شجرة أس كبرت وارتفعت و لم يرتفع غيرها من آس في تلك الأرض على كثرته لأنه يقلعونه دائماً للوقود، فأمرت رجلاً ممن كانوا يحضرون دروسي فقطعها ليلاً و لم يصب بشيء كما كانوا يتوهمون). [1] فعمل الشيخ هنا تبرز فيه الحكمة لأمرين:

١) اثباته لبطلان ما كانوا يعتقدونه في هذه الشجرة عملياً وأنها تجلب النفع وتدفع الضر.

٢) تجنب الشيخ لاستثارة العامة للموقف حين قطعها ليلاً من قبل أحد طلابه.

ثانياً: ما قام به الشيخ محمد رشيد رضا من تأسيس مطبعة المنار وهي مطبعة تجارية خاصة بالشيخ سيأتي الحديث عنها بإذن الله تقوم بطباعة مجلته مجلة المنار وتفسيره تفسير المنار وغيرهما من كتبه، فمن الطبيعي أن تكون المطبعة مستعدة لطبع ما يعرض عليها ويطلب منها أو تراه مناسبا من كتب ورسائل بشرط أن تكون تلك الكتب متلائمة مع الأهداف التي يدعو إليها الشيخ فهي تسهل عليه تحقيق دعوته كما أن منها منفعة تساعده وتدعمه للمضي في طريق الدعوة الى الله، وكثيراً ما نجد في غلاف بعض الكتب التي كان

---

(١) المنار والأزهر، رشيد رضا، ٩٣ــــ٨٢، والسيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ٨٢- ٨٣.

يطبعها بجانب المنار إعلاناً باستعداد الدار لطبع الكتب والجرائد وسائر المطبوعات، ومما لاشك فيه أن هذا يدل على اتساع ونشاط نطاق مطبعة المنار وإدارتها مما يدل على حكمته في استخدام وسائل الإعلام بل صناعتها لخدمة الدعوة إلى الله تعالى.

ولقد تعود الشيخ التعليق على ما ينشره لغيره في مجلة المنار، وعلى ما يشرف على طبعه في مطبعته من كتب غيره وهذا التعليق قد يكون تخريجاً لحديث أو توضيحاً لعبارة، أو تصحيحاً لخطأ لغوي أو نحوي أو ديني، وقد يكون إضافة إلى الموضوع الذي يعلق عليه، وقد يكون ذكراً لشخص خاص أو عام يتعلق به ووجد فيه الفرصة مناسبة لذكره ومن المعروف أن الشيخ عالم غزيز المعارف ويرى التعليق وسيلة من وسائل نشر العلم الذي لا يليق به كتمانه. (١)

ثالثاً: إنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد: إن إنشاء هذه المدرسة والتي سيأتي الحديث عنها بالتفصيل بإذن الله، وتعتبر مفخرة عظيمة من مفاخر الشيخ وغرة في جبين حياته الإصلاحية إذ دعا الشيخ لإنشاء جمعية للدعوة إلى الدين الإسلامي يكون عملها الأول إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة وبدأت المكاتبة بينه وبين أهل الغيرة من المسلمين في العالم الإسلامي من الصين إلى بلاد المغرب في ذلك الهم فأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد في مصر والتي تخرج منها عدد كبير من الدعاة في العالم الإسلامي، فإن أهم ما ظل يدفع به نحو إخراج فكرته إلى حيز التنفيذ هو كثرة المكاتبات التي وردت إلى مجلة المنار من شتى البلدان الإسلامية تشكو من نشاط المبشرين الاستعماريين في بلادها، وتستنجد بأصحاب الغيرة والإصلاح الإسلامي لتدارك ذلك الخطر حيث دأب الاستعمار في البلاد الإسلامية على هدم عقيدة المسلمين في نفوس أهلها وذلك بإثارة الشكوك في عقيدتهم عن طريق

(١) انظر: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد عبد الله السلمان، ١٨٨-٨٩.

التعليم في المدارس الخاصة والوعظ في الملاجئ والمستشفيات التي يقيمونها هناك، ومن هذه المكاتبات التي وصلت إليه خطاب من مسلم سائح في سنغافورة يشكو من نشاط المبشرين الهولنديين في اندونيسيا وبخاصة في جاوة، وكذلك رسالة من مسلم في السودان يشكو من نشاط المبشرين الإنجليز هناك وغيرها. (١)

رابعاً: في قريته قبل هجرته لمصر كان للشيخ موقف مع متصرف طرابلس فقد زار هذا المتصرف القلمون، وزار بيت الشيخ محمد رشيد رضا وعلى مائدة الطعام تحدث الحاضرون في شئون الدولة وسبب ضعفها، فأدلى الشيخ برأيه الجريء أمام المتصرف وقال: إن الذي أضعف الدولة هو جهل العلماء بالسياسة وجهل الحكام بالدين ولكن المتصرف ظهر على وجهه الغضب فتجهم وجهه بالاستياء، ورد المتصرف على الشيخ منكراً: وهل رجال الدولة جاهلون بالدين ؟ فرأى الشيخ أن من المصلحة لوي الموضوع ولو ظاهراً، فرد على المتصرف بقوله: لو كانوا كلهم أو أكثرهم مثل سعادتك لما كنا نقول هذا، فسري عنه وحسنت صلته بالشيخ لما رأى منه من الحكمة بحسن التصرف والرد ومعالجته السريعة للموقف. (٢)

خامساً: إنشائه مجلة المنار، وتوزيعها في العالم، وتخصيصه في أغلب أجزائها ركناً بعنوان الانتقاد على المنار، يورد فيه ما يرد إليه من ملاحظات القراء أو انتقادهم لها، ويسلم بما يرى التسليم به، ويرد على ما يراه محتاجاً للرد، وكان في خاتمة كل سنة من سنوات المنار يشير إلى هذا الجانب، ويكرر الرجاء على القراء بأن يوالوا إرسال ما يرونه من انتقاد أو ملاحظة.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٢١٦- ٢١٧.

(٢) انظر: المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٩١.

ومن ذلك يقول الشيخ: (لا نلح هذا الإلحاح في حمل الناس على انتقاد المنار إعجاباً به وتوهما أنه يعلو عن الانتقاد، ولكن حرصا على بيان الحق الذي نطلبه واستعانة عليه بأنصاره، والراغبين في إعلاء مناره). [١]

سادساً: دعوته لأحد العلماء المعاصرين له بإخلاص النية في تعليمه للعلم الشرعي، فيقول الشيخ: (لما اشتغلت بطلب العلم في طرابلس وعرفت الأستاذ الشيخ محمد إبراهيم الحسيني[٢] وكان عائداً من الأزهر قال لي مرة: إنني بعد ن أتم مطالعة على كتب الأصول والكلام والبلاغة سأذهب إلى الأستانة وأقرأ درساً في جامع السلطان أحمد وذكر ما يتوقع لهذا الدرس من حسن التأثير والشهرة وما يعقبه من الفوائد، فقلت له ما معناه: إنه لخير لك أن تنوي بقراءة هذه الكتب التقرب إلى الله تعالى والاستعداد لخدمة دينه ونفع عباده، وان منافع العلم بالجاه والمال قد تأتي تابعة لذلك، ولا يصح أن تكون متبوعة له، ولا مقصودة لذاتها، ثم رجع الأستاذ عن ذلك الرأي بعد أطوار مرت عليه كما تمر على أمثاله من كبار الأذكياء، إن الذين اشتغلوا بعلوم الدين بقصد إصلاح أنفسهم وإصلاح

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٥/ ٩٥٧.

(٢) محمد بن إبراهيم الحسيني ولد عام١٢٧٠هـ مفسر طرابلسي المولد والوفاة، تعلم في الأزهر بمصر، وعاد إلى بلده في لبنان، فكان عينها وعالمها، مما قيل عنه قال له الوالي التركي عزمي باشا يوماً: كنتُ أنّى توجهتُ في أوروبة، أقولُ لمن ألقاه: إن لدينا في الشرق فولتير جديداً، هو أنتَ، فلِمَ لا تفعل مثلما فعل فولتير ؟ ! فأجابه الحسيني باسماً: ثق أنه لو كانت أمتي كأمة فولتير، لحقّقتُ بالإيمان والدين أضعاف ما حقّقه فولتير بالإلحاد والشك، توفي سنة١٣٥٩هـ وصنف كتباً منها: تفسير الحسيني وقد طبع منه الجزء الأول، حتى نهاية سورة البقرة، وفريدة الأصول في الأصول، وهي ارجوزة في الفقه الحنفي ورسالة في المقولات العشر، ورسالة في تطبيق المبادئ الدينية على قواعد الاجتماع. (انظر: الأعلام، للزركلي، ٥/ ٣٠٦. وتراجم علماء طرابلس وأدبائها، عبد الله نوفل، ص ١٣٦، مكتبة السائح، طرابلس، ١٩٨٤م).

غيرهم في كل جيل كانت الدنيا اشد انقياداً لهم ممن طلبوها بالدين وعلومه ولكن أكثر أولئك قد زهدوا فيها، وأثروا ما عند الله تعالى على جاهها ومالها). [١] فالشيخ هنا نصحه فبين له الأجر الحاصل بالإخلاص وحثه عليه مما وسرعة بروز أثره على المدعو.

سابعاً: الأقوال الحكيمة في بعض الأبيات الشعرية له والتي يقول فيها :

ولا تغـرنـك الدنيـا فإنـها
بـزخـرفـهـ كـخيـال
عنـد من عقـلا

أو كالهشيم إذا ما الذاريات أتت تذروه قد ضرب الرحمن ذا مثلاً[٢]

ومنها :

يا نائماً وصروف الدهر إن توقظـه كنـت في غفلة فالله مـا غفـلا

وأنـت مؤذن الموت نادى يـا ذاهلاً عما يراد الناس حي على [٣]

---

(١) المنار والأزهر، رشيد رضا، ص٢١١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ١٩٦.

بــــــــــــــــــــــــــــــــــــــه

هذه بعض الأبيات وله غير ذلك .

ثامناً: طريقته في الردود حيث يبين قاعدة حكيمة في ذلك يقول الشيخ: (لا أذكر في دروسي هذه من مسائل الخلاف إلا ما عساه يتوقف عليه فهم المتفق عليه، ولا أخوض في شبه المبتدعة لئلا يعلق منها شيء في الأذهان الضعيفة فيفسدها ويميتها، فقد علمنا ما فعل ذلك بمن قبلنا ممن كانوا خيرا منا علما وعملا بحيث لا تقاس علماؤنا في الغالب بعامتهم، فضلا عن أن نقيس دهمائنا بدهمائهم). (١)

هذه بعض الأمثلة من استخدام أسلوب الحكمة لدى الشيخ والذي كان له الأثر البالغ في الدعوة إلى الله والأثر في نفوس المدعوين حيث يظهر بارزاً في انتشار دعوته وإكسابها الثقة واهتمام العالم بالاطلاع على آرائه ومقولاته في كل ما يجدّ لديهم أو يعرض لهم في حياتهم في تلك الفترة من خلال مجلة المنار.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/ ٤٧٥.

المبـــحث الثاني

الموعظة الحسنة

وفيه مطالب:

المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة.

المطلب الثاني: استخدام الشيخ لأسلوب الموعظة الحسنة.

المطلب الأول

تعريف الموعظة الحسنة

الموعظة لغة:

الواو والعين والظاء أصل يأتي بمعنى: التذكير، والتخويف، والإنذار، والعظة الاسم منه، والوعظ والعظة: النصح والتذكير بالعواقب، وهو تذكيرك الإنسان بما يليّن قلبه من ثواب أو عقاب، والوعظ: زجر مقرون بتخويف. (١)

إذن فالموعظة تأتي بمعنى: التذكير، والتخويف، والإنذار، والنصح، والوعظ المقرون بالتخويف، والتذكير بعواقب الأمور.

الموعظة شرعاً:

عرفت بتعاريف كثيرة منها:

هي: الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة. (٢)

وعرفت بأنها: الدعوة إلى الله عز وجل بتلطف ولين دون مخاشنة وتعنيف. (٣)

وقيل هي: الوعظ: التذكير بالخير فيما يرق له القلب، والموعظة هي التي تُلين القلوب القاسية، وتُدمع العيون الجامدة، وتُصلح الأحوال الفاسدة. (٤)

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١٢٦/٦. ولسان العرب، ابن منظور، ٤٦٦/٧. والمفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٢٧.

(٢) انظر: مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ١٥٨/١.

(٣) انظر: جامع الأحكام، القرطبي، ٢٠٠/١٠.

(٤) انظر: التعريفات، للجرجاني، ص٢٣٧، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

وقيل إن الوعظ هو: تخويف يرق له القلب. (١)

وعرفت بأنها: تذكير الناس بعذاب الله ليجتنبوا معصيته، وبنعمته ليرغبوا في طاعته. (٢)

والحسنة: مقابل السيئة، فالموعظة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، وذلك بحسب ما يوعظ به الإنسان ويؤمر به، وبحسب أسلوب الوعظ، ومن هنا جاء الأمر بها مقيداً بالقرآن الكريم: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾النحل: ١٢٥، فإذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها انصرفت إلى الحسنة. (٣)

والموعظة الحسنة: هي التي تتسم باللين والشفقة والرحمة، وتخلو من السب والشتم والتعيير والفضيحة، وتطابق الكتاب والسنة.

وعرفها الشيخ محمد رشيد رضا في أكثر من موضع بتعاريف متقاربة في المضمون فقال: (الموعظة هي التعاليم التي تشعر النفس بنقصها وخطر أمراضها الاعتقادية والخلقية، وتزعجها إلى مداواتها وطلب الشفاء منها، والشفاء تخلية، يتبعها طلب التحلية، بالصحة الكاملة، والعافية التامة). (٤)

---

(١) انظر: القصاص والمذكرين، ابن الجوزي، ص١١، تحقيق محمد لطفي الصباغ، ط١، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٢) انظر: قبسة من أنوار الوحي، محمد تقي الدين الهلالي، ص١١٣، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبي الفتح البيانوني، ص٢٥٨، ط٢، ١٤١٢ه، مؤسسة الرسالة.

(٤) تفسير المنار، رشيد رضا، ١١/ ٣١١.

وعرفها الشيخ في موضع آخر فقال: (الموعظة ما يدعى به العوام السذج)(١) ويقول معرفاً لها كأسلوب دعوي: (الموعظة الحسنة: وهي اسم من الوعظ أي الوصية بالحق والخير، واجتناب الباطل والشر، بأساليب الترغيب والترهيب التي يرق لها القلب، فتبعث على الفعل والترك). (٢)

وبتعريف عام فقال: (الوعظ هو: النصح والتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب، ويبعث على العمل، أي ذلك الذي تقدم من الأحكام، والحدود المقرونة بالحكم والترغيب والترهيب يوعظ به أهل الإيمان بالله، والجزاء على الأعمال في الآخرة، فإن هؤلاء هم الذين يتقبلونه، ويتعظون به، فتخشع له قلوبهم ويتحرون العمل به قبولا لتأديب ربهم، وطلبا للانتفاع به في الدنيا، ورجاء في مثوبته ورضوانه في الأخرى، وأما الذين لا يؤمنون بما ذكر حق الإيمان كالمعطلين والمقلدين الذين يقولون آمنا بأفواههم لأنهم سمعوا قومهم يقولون ذلك، ولم تؤمن قلوبهم لأنهم لم يتلقوا أصول الإيمان بالبرهان الذي يملك من القلب مواقع التأثير ومسالك الوجدان، فإن وعظهم به عبث لا ينفع، وقول لا يسمع). (٣)

وقيدت الموعظة بالحسنة، لأن المقصود منها في الغالب ردع النفس عن الأعمال السيئة أو القرب منها، والناس بطبيعة الحال تنفر من الغلظة والقسوة، من أجل ذلك جاءت الآية الكريمة بأن تكون الموعظة بالحسنى، ويكون التناصح باستعمال الأسلوب الحسن الذي لا غلظة فيه، وقال تعالى مادحاً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَبِمَا

(١) المرجع السابق، ٣/ ٢١٦.
(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ١١/ ٣٢٨.
(٣) المرجع السابق، ٢/٣٢١.

رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران: ١٥٩، قال ابن القيم: (أطلقت الحكمة و لم تقيد بالحسنة، إذ كلها حسنة ووصف الحسن لها ذاتي، وأما الموعظة فقيدت بوصف الإحسان، إذ ليس كل موعظة حسنة). [١]

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، ١٥٧/٣، ط٣، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية.

المطلب الثاني

استخدام الشيخ لأسلوب الموعظة الحسنة

اتخذ الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- من قريته الصغيرة ميدانًا لدعوته الإصلاحية بعد أن تزود بالعلم وتسلح بالمعرفة، فكان يلقي الدروس والخطب في المسجد بطريقة سهلة بعيدة عن السجع الذي كان يشيع في الخطب المنبرية آنذاك، ويختار آيات من القرآن يحسن عرضها على جمهوره، ويبسط لهم مسائل الفقه، ويحارب البدع التي كانت شائعة بين أهل قريته، ولم يكتف الشيخ بمن يحضر دروسه في المسجد، فذهب هو إلى الناس في تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا على الجلوس فيها، ولم يخجل من جلوسه معهم يعظهم ويحثهم على الصلاة، وقد أثمرت هذه السياسة المبتكرة، فأقبل كثير منهم على أداء الفروض والالتزام بالشرع والتوبة والإقبال على الله، وكذلك مع النساء، فقد بعث إلى نساء قريته من دعاهن إلى درس خاص بهن، وجعل مقر التدريس في دار الأسرة، وألقى عليهن دروسًا في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئًا من العقائد في أسلوب سهل يسير ويقول الشيخ عن ذلك: (أرسلت إلى نساء القرية من يدعوهن إلى درس خاص بهن في دارنا القديمة، فكنت ألقي إليهن القول في العقائد وأحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة بدون كتاب والزمتهن تغيير زيهن في اللباس بما هو أستر وأطهر... وكان أكثر النساء في القلمون تاركات الصلاة فصرن يصلين وحسن حالهن في النظافة وفي معاشرة أزواجهن). [1]

---

(١) المنار والأزهر، رشيد رضا، ١٧٧-١٧٨.

ويقول الشيخ: (ولم أخص الرجال دون النساء بل أرسلت إلى نساء القرية من يدعوهن إلى درس خاص بهن في دارنا القديمة فكنت ألقي إليهن القول في العقائد وأحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة بدون كتاب وألزمتهن تغيير زيهن في اللباس بما هو أستر وأطهر بحيث تكون المرأة في الشارع في حال أداء الصلاة). [١]

وأما المواعظ التي كان يلقيها في المسجد فكانت تعتمد على الكتاب والسنه فقد وفق لاستحضار الآيات الكثيرة في الموضوع الواحد من ذلك العهد ولم يكتف بذلك وإنما كان يذهب إلى مقهى يجتمع فيه الناس لشرب القهوة فيجمعهم وكان فيهم أفراد تاركون الصلاة فما كان منه إلاّ أن ينكر عليهم ويعظهم بما يناسب حالهم. [٢]

ولم ينحصر نشاط الشيخ على الوعظ الديني في مسجد بلدته القلمون بل غشي المحافل في مدينة طرابلس وخطب فيها وهو شاب وكان ذلك في حفلة تكريم دعا إليها المتصرف التركي في طرابلس في الخطاب الذي أرتجله وجاء فيه: (ولا التفات إلى سفهاء الأحلام المتكبرين بالأوهام، الذين يحتقرون الزراع والصناع، فإنما مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية وبين زوائد الأظافر والشعور ولو كانوا يعقلون). ومباشرة عقب انتهائه من إلقاء الخطاب إذ بدا عليه الإعجاب بما قاله الشيخ ولم يظهر عليه أي مظهر من مظاهر الغضب أو الاستياء ثم علق على كلام الشيخ فقال في تعليقه: أني أفتخر اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب. [٣]

---

(١) المنار والأزهر، رشيد رضا، ١٧٧.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٧٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١٧٥.

ومما كان ينادي به الشيخ في عصره الحث على استخدام أسلوب الموعظة الحسنة فيقول: (قال أستاذ حكيم: إن الإيمان نائم في قلوب العامة يحتاج إلى إيقاظ. وهي كلمة صحيحة لا ريب فيها، والذي يوقظ الإيمان حتى تصدر عنه آثاره الحسنة وتتشعب فوائده وفضائله التي أدناها إماطة الأذى من الطريق هو التذكير الصحيح والموعظة الحسنة، فلو وُجد فينا علماء مخلصون لهم غيرة على الدين بعدد مساجدنا، وتولى كل واحد منهم الوعظ والتذكير في مسجد منها، وإرشاد خطيبه إلى الخطب النافعة ولو بإنشائها له لأمكنهم إيقاظ الإيمان في قلوب الناس، ومتي استيقظ الإيمان صدرت عنه آثاره وتلك سعادة الدنيا والآخرة). [1] يقول الشيخ: (تدخل مسجد سيدنا الحسين – عليه الرضوان والسلام – في هذه الأيام فتشاهد كثيرًا من الوعاظ والمدرسين، وقد حشر الناس إليهم حتى كادوا يكونون عليهم لبدًا، ولكن أكثر هؤلاء الوعاظ من أطباء النفوس الكاذبين الذين يضاعفون الداء فيُنهك من يعالجونه مرضًا حتى يكون حرضًا أو يكون من الهالكين ! يزيدون الخاملين خمولاً بما يكررونه من عبارات التزهيد في الدنيا، ويزيدون الفجار استرسالاً في فجورهم بما يعِدونهم، ويمنونهم المغفرة والعتق من النار مهما عظمت الذنوب وتراكمت الأوزار، نعم إن منهم من يأمر بالتوبة ويستتيب الناس، ولكن تلك التوبة كلام بكلام فهي أيضًا من جملة أنواع التغرير، فبتزهيدهم في الدنيا أمسكوا بالهمم عن تحصيل سعادتها الصحيحة وبتمنيتهم بالمغفرة والرحمة أمنوهم من العقوبة فبطُل الخوف الذي يزجر عن المحرمات وصار الرجاء الذي يبعث على الجد في العمل غرورًا، والخوف والرجاء هما الجناحان اللذان يطير بهما صاحب الدين إلى مرضاة رب العالمين، وهي غاية السعادة الأخروية، فهكذا تضافر الخطباء والوعاظ على قطع طريقي السعادتين، وطمس

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٨٨١/١.

معالم النجدين، وتركوا المسلم مقصوص الجناحين.... يا رباه ماذا أقول؟ لو كان هؤلاء الوعاظ يقرءون للناس شيئًا من الأحكام الفقهية لما وصل إضرارهم إلى هذا الحد، فالخطأ في الاعتقاد يُنتج الكفر والخطأ في تهذيب النفوس ينتج فساد الأخلاق واختلال الأعمال وشقاء الأمة في الحال والمآل، أما الخطأ في الأحكام الفقهية فالأمر فيه أهون، لأنه لا يكون غالبًا إلا في الأحكام الخفية التي يُعذر جاهلها ولا يؤاخَذ المخطئ بها، على أن هذه الأحكام لما يكثر فيها من الخلاف لا يكاد يعدو المدرس قول فقيه يؤخذ بقوله.... يظن أكثر شيوخنا أن علم الأخلاق الذي هو مادة الوعظ والتذكير بديهي، لا حاجة إلى دراسته وتلقيه لسهولته بخلاف الفقه وهذا من أغرب الظنون الأثيمة، **فإن موضوع هذا العلم قوى النفس الإنسانية**، وصفات الروح العاقل المدبر للبدن المتصرف له في أعماله وغايته السعادة الحقيقية، لأن السعادة ثمرة الأعمال الصالحة النافعة، والأعمال تابعة للأخلاق حسنًا وقبحًا، كما أوضحناه في مقالة سابقة، لا جرم أن هذا العلم من أدق العلوم وأعوصها كما أنه من ألذها وأنفعها.... فعسى أن يحاسب العلماء أنفسهم ويقوم كل بما يجب عليه، فترى المساجد في جميع الشهور لا في رمضان فقط ينابيع لعلوم الدين وتهذيب المسلمين، وينتفي بعلم الراسخين جهل الجاهلين، والله ولي المتقين). (١)

فبين الشيخ هنا موضوع علم الوعظ -الدعوة-وأنه علم قوى النفس البشرية التي هي عديلة الجسد وبها حياته وموته فهذا العلم يخاطبها ويغذيها، فيخاطبها بما تفهمه وتحبه وينفعها. وبين غاية علم الوعظ بأنه الحصول على السعادة الحقيقية وهي رضا الله ودخول الجنة فهي ثمرة لاهتداء النفس التي تحرك الجسد فتحرص على العمل الصالح والأخلاق

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/٨٨١.

الحسنة وبهذا يتلذذ بالوعظ الداعية ويتلذذ به المدعو لأن فيها حصول لذة الإيمان ولذة الأثر ولذة الطاعة ولذة الجنة في الآخرة.

ويروي لنا الشيخ بداية اهتمامه بالموعظة فيقول: (كنت من قبل اشتغالي بطلب العلم في طرابلس الشام مشتغلا بالعبادة ميالاً إلى التصوف، وكنت أنوي بقراءة القرآن الاتعاظ بمواعظه لأجل الرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، ولما رأيت نفسي أهلا لنفع الناس بما حصلت من العلم –على قلته– صرت أجلس إلى العوام في بلدنا أعظهم بالقرآن مغلباً الترهيب على الترغيب، والخوف على الرجاء، والإنذار على التبشير، والزهد في الدنيا على القصد والاعتدال فيها). (١)

هذا بعض ما كان من استخدام الشيخ لهذا الأسلوب في الدعوة الى الله تعالى في المكان والوقت المناسب لحال الدعوة والداعية وحث العلماء على الاهتمام به مؤصلاً لهذا العلم والذي هو علم الدعوة إلى الله تعالى.

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/١١.

المبـــحث الثالث

المجادلة بالتي هي أحسن

وفيه مطالب هي:

المطلب الأول: تعريف المجادلة.

المطلب الثاني: أنواع المجادلة.

المطلب الثالث: أهمية أسلوب المجادلة في الدعوة الى الله.

المطلب الرابع : شروط المجادلة عند الشيخ محمد رشيد رضا.

المطلب الخامس: استخدام الشيخ أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن.

المطلب الأول

تعريف المجادلة

المجادلة لغة:

يقال: جدل، الجيم والدال واللام أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام والمجادلة هي اللدد في الخصومة والقدرة عليها، ورجل جَدل ومِجْدل ومجدال: أي شديد الجدل، وجادله: أي خاصمه مجادلة وجدالاً، والجدل: شدة الخصومة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة، والمجادلة في علم المناظرة هي المناظرة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم، فيتبين أن المجادلة تكون بين طرفين، كل منهما يريد بيان ما عنده. (١)

والجدل والجدال والمجادلة مقابلة الحجة بالحجة، وتكون بحق وباطل، وأصل الخصومة الشديدة يسمى جدلاً، لأن كل واحد منهما يحكم خصومته وحجته إحكاماً بليغاً على قدر طاقته، تشبهاً بجدل الحبل: وهو إحكام فتله، يقال جادله يجادله وجدالاً. (٢)

المجادلة شرعاً:

جاءت بعدة معاني منها:

المجادلة هي: الاحتجاج لتصويب رأي وإبطال ما يخالفه أو عمل كذلك، ولما كان ما

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ١ /٤٣٣. ولسان العرب، ابن منظور، ١١/١٠٣-١٠٥. والمعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرين، ١/١١١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) انظر: تهذيب أسماء اللغات، النووي، ٣/ ٤٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

لقيه النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين قد يبعثه على الغلظة عليهم في المجادلة أمره الله بأن يجادلهم بالتي هي أحسن. (١)

وقيل: الجدل دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهي الخصومة في الحقيقة، والجدال عبارة عن مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها.(٢)

وقيل الجدل: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة. (٣)

وقيل: هي عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة. (٤)

وعرفها الشيخ محمد رشيد رضا فقال: (الجدل بالتي هي أحسن للمتوسطين الذين لم يرتقوا إلى الاستعداد لطلب الحكمة ولا ينقادون إلى الموعظة بسهولة، بل يبحثون بحثا ناقصا، فلا بد من الحسنى في مجادلتهم ومخاطبتهم على قدر عقولهم). (٥)

وللمجادلة أهمية بالغة في الدعوة إلى الله، فإن الناظر في القرآن يجده مليئاً بالمجادلة لإقناع الخصم وإلزامه بالحق بالبراهين والحجج القاطعة، لإبطال ما عليه المخاصم من أفكار وعقائد ودعوات فاسدة.

والمجادلة أسلوب قرآني من أساليب الدعوة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾النحل: ١٢٥، وقال تعالى: ﴿ وَلَا

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ١٤/٣٢٨، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م —

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص٧٤-٧٥.

(٣) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص٨٩.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، ص٢٦٣.

(٥) تفسير المنار، رشيد رضا، ٣/٢١٦.

تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾العنكبوت: ٤٦، حيث تم ذكرها في سياق جملة الأساليب الرئيسية في الدعوة الى الله، وهذه الآيات تأكيد لأهميتها ودورها في المدعوين.

المطلب الثاني

أنواع المجادلة

المجادلة نوعان: نوع ممدوح، ونوع مذموم.

فالممدوح هو: ما كان المراد فيه إحقاق الحق ونصرته والدعوة إليه بنية خالصة وطريقة صحيحة، وهو جائز شرعاً بل مأمور به، والله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده أن يدعو بأسلوب المجادلة، قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾النحل: ١٢٥، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾العنكبوت: ٤٦.

وكذلك كل نبي جادل قومه بالتي هي أحسن، وقد قص علينا سبحانه وتعالى في كتابه المبين قصصاً كثيراً عن أنبيائه عليهم السلام وهم يدعون أممهم ويبينون لهم طريق الحق مستخدمين في ذلك أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن.

فهذا نوح عليه السلام عندما دعا قومه إلى عبادة الله وحده قال تعالى عنه: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ هود: ٣٢، وكذلك إبراهيم عليه السلام استخدم المجادلة بالتي هي احسن في دعوته قال تعالى في ذلك: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾البقرة: ٢٥٨، وكذلك جادل إبراهيم عليه السلام أباه مستخدما هذا الأسلوب لما رآه من عناده وإصراره على دين قومه في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ الأنعام: ٧٤، وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم استخدم أسلوب المجادلة في دعوته، فجادل

قومه بالتي هي أحسن مع شدة عناد قومه واستكبارهم، فقد جادلهم، وأثبت لهم بطلان ما يعتقدونه في آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ الحج: ٧٣، وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴾ الحج: ٥، فمن هذه الآيات وغيرها يتبين لنا كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يجادل قومه بالتي هي أحسن، وكان جوابه لهم مقنعاً، وهذا كله حكمة في تحديد الأسلوب المناسب لحال المدعو، والناظر في السنة النبوية يجدها مليئة بهذا الأسلوب النبوي ومنها: (أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به

من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يا أبا الوليد أسمع قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك رآه وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال: أقد فرغت يا أبا الوليد قال: نعم قال: فاسمع مني قال: أفعل فقال: ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ فصلت: ١ - ٥، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك). [(١)] يقول الشيخ مبينا أثر مجادلته صلى الله عليه وسلم لمشركي مكة: (وهذا التأثير هو الذي كان يجذب رءوس أولئك الجاحدين المعاندين ليلا لاستماع تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في

---

(١) السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/١٣٠-١٣٢، تحقيق مصطفى الفا وآخرون، تراث الإسلام.

بيته، على ما كان من نهيهم عنه ونأيهم عنه، وتواصيهم وتقاسمهم لا يسمعن له، ثم كانوا يتسللون فرادى مستخفين، ويتلاقون في الطريق متلاومين). [(١)]

والمجادلة قيدت بالتي هي أحسن- كما مر في الآيات السابقة -وهذا وصف ينبغي أن يكون عليه المجادل من رفق ولين، وكذلك صفة لما يجادل به من حجج وبراهين، قال الإمام ابن القيم: (الجدال قد يكون بالتي هي أحسن وقد يكون بغير ذلك، وهذا يحتمل أن يرجع إلى حال المجادل وغلظته ولينه، وحدته ورفقه، فيكون مأموراً بمجادلتهم بالتي هي أحسن، وقد يكون صفة لما يجادل به من الحجج والبراهين والكلمات التي هي أحسن شـــيء وأبــيــنــه وأدله على المقصود وأوصله إلى المطلوب والتحقيق أن الآية تتناول النوعين). [(٢)]

أما النوع المذموم من المجادلة فهو: كل جدال باطل أو مفضٍ إلى باطل ولا يؤدي إلى خير، أو كان بطريقة غير صحيحة، وهو محرم شرعاً ومنهي عنه، كما قال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴾ غافر: ٤، وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴾ غافر: ٦٩، ومن السنه قال صلى الله عليه وسلم: ((إني زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ولو كان محقا

---

(١) الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص١١١.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ١/٤٧٩-٤٨٠.

))[١] وقال صلى الله عليه وسلم: ((من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يريد أن يقبل بوجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم)). [٢]

والجدل المذموم في القرآن ذكر في أنواع منها:

أولاً: ما قصد به دحض الحق قال تعالى: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ غافر: ٥.

ثانياً: أن تكون المجادلة بعد ظهور الحق وبيانه قال تعالى: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ الأنفال: ٦.

ثالثاً: المجادلة بغير علم قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ النساء: ١٠٩.

---

(١) رواه أبو داود، ٤/ ٢٥٣، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق رقم(٤٨٠٠)، حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم(٢٦٤٨).

(٢) رواه الترمذي، ٣٢/٥، كتاب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء فيمن طلب بعلمه الدنيا رقم (٢٦٥٤)، وقال حديث غريب، ورواه ابن ماجة، ٩٣/١، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم (٢٥٣).

المطلب الثالث

أهمية أسلوب المجادلة في الدعوة الى الله

وهذه الأهمية تتمحور في عدة أمور منها:

اولاً: أنها اسلوب فطري جُبل عليه الإنسان، لطلب توضيح الحق، قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ الكهف: ٥٤، وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١، إذ حاجة النفس البشرية له ضرورية لبيان الحق والاستدلال عليه.

ثانياً : أنها أسلوب قرآني أستخدم في الدعوة على مر العصور، فحكى سبحانه وتعالى عن مؤمن آل فرعون جدله لقومه قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ

﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ غافر: ٢٨ – ٣٣. (١)

ثالثاً: أنها تنفع لبيان الحق مع أهل البدع والأهواء والإلحاد من أهل الشبهات، يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة – رحمه الله تعالى -: (فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين). (٢)

رابعاً: أنها إذا استخدمت لمقارعة الحجة بالحجة تكون نافعة يقول ابن القيم وهو يستخلص الفوائد من قصة وفد نجران حين قدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (.... ومنها جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل واستحباب ذلك بل وجوبه، إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فيول ذلك أهله، ويخلي بين المطي وحاديها، والقوس وباريها). (٣)

ومما ينبغي أن يُعرف في هذا الباب أنه قد ترِد شبهة على الداعية، وهي ورود النهي عن الجدل في كثير من الآيات والأحاديث، فإذا قام ليبين الحق عارضه المبطلون بدعوى النهي عن المجادلة، وهي كلمة حق أريد بها باطل، وقد نقض هذه الشبهة العلامة ابن القيم بقوله: (وليس المراد نفي الاحتجاج من الطرفين كما يظنه بعض من لا يدري ما

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، ٢٦٥.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيميّة، ١/٣٥٧، تحقيق محمد رشاد سالم، ط١، الرياض، طبع في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٣٩٩هـ.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ١/٦٣٩، دار الكتاب العربي.

يقول وأن الدين لا احتجاج فيه، كيف والقرآن من أوله إلى أخره حجج وبراهين على أهل الباطل قطعيةً يقينيةً وأجوبة لمعارضتهم وإفساداً لأقوالهم بأنواع الحجج والبراهين، وهل تكون المجادلة إلا بالاحتجاج وإفساد حجج الخصم ...). [1] فهذه الدعوة محمولة على المجادلة المذمومة كما تقدم، أما المجادلة بالتي هي أحسن لإظهار الحق فإنها محمودة.

فمن حكمة الداعية وبصيرته، أنه يقف أمام المدعو وهو عالم بحاله ويستطيع التواصل معه، فإن كان من أصحاب الحكمة والعلم والمعرفة أعطاه منها ما يكون رافعاً لجهله بالحكمة، وإن كان عارفاً ولكنه ترك العلم لنوع غفلة فيه وعظه وذكره، وإن كان صاحب شبهة عارضة منعته من العمل أو الاقتناع فليستخدم معه أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن موضحا له مواقع الحق ومعائب الباطل.

---

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٢/٢٤١-٢٤٢.

المطلب الرابع

شروط المجادلة عند الشيخ محمد رشيد رضا

لقد بين الشيخ عند كلامه عن المجادلة بالتي هي أحسن شروطها توضيحاً تاماً فبين أنّه يشترط في هذه المجادلة بل وفي أصل الدعوة شروط:

أولاً: العلم بلغة من يراد دعوتهم ومجادلتهم، والشاهد لهذا الشرط من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾إبراهيم: ٤ .

ثانياً: العلم بأخلاق الناس وعاداتهم، ومواقع أهوائهم ورغباتهم، ليخاطبهم بما يعقلون، ويجادلهم بما يفهمون.

ثالثاً: الوقوف على ما عندهم من المذاهب والتقاليد الدينية، والعلوم والفنون الدنيوية، ما يتعلق منها بالدعوة كما كان شأن سادة الدعاة إلى الله عليهم الصلاة والسلام.

رابعاً: إلقاء الدعوة بصوت ينبه العقول والفكر، وصيحة تستلفتها إلى البحث والنظر، وتشوق النفوس إلى غايتها، وتخيفها من مغبة مخالفتها، ومن شواهده في القرآن العزيز قوله تعالى: ﴿ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ﴾النساء: ٦٣ .

خامساً: التلطف في القول، والرفق في المعاملة، وهذا أوّل ما يتبادر إلى الفهم من قوله تعالى: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾النحل: ١٢٥ وإن أردت الدليل الصريح من القرآن على تأييد هذا البيان، فاتْلُ قوله تعالى: لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾طه: ٤٤ .

سادسًا: تلبس القائم بالدعوة بما يدعو إليه بأن يكون موقنًا أو مقتنعًا به إن كان اعتقادًا ومتخلقًا به إن كان خلقًا وعاملاً به إن كان من الأعمال، فمن لم يكن موقنًا ولا مقتنعًا فقلما يقدر على إقناع غيره لأن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن حث على التحلي بفضيلة وهو عاطل منها، أو أمر بالتزكي من رذيلة هو متلوّث بها، لا يقابل قوله إلا بالرد، ولا يعامل إلا بالإعراض والصد.

سابعاً: الصبر وسعة الصدر، فمن استعجل الشيء قبل أوانه، عوقب بحرمانه، ومن ضاق صدره، مل، والملل آفة العمل، وقد جعلنا هذين شرطًا واحدًا لتلازمهما وجودًا وعدمًا، وحسبك من دليل اشتراطهما في الكتاب قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ ﴾الأحقاف: ٣٥ ، وقوله عز وجل: ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾الأعراف: ٢ .

ثامنها: الأمل بالنجاح، والرجاء بالفلاح، مهما عظمت المصاعب، وانتابت النوائب، فإن اليأس أدوأ الأدواء، الذي لا ينجع مع وجوده دواء، وناهيك أن القرآن جمعه مع الكفر في قرن، وجعله مع الضلال في كفن. (١)

(١) انظر: مجلة المنار، ٣/ ٤٨١.

المطلب الخامس

استخدام الشيخ أسلوب المجادلة بالتي هي أحسن

استخدم الشيخ هذا الأسلوب في بيان الحق والرد على الشبهات ومنها هذه ما يلي :

أولًا: ما ذكره الشيخ في كتابه الوحي المحمدي عند دفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ: (وإنني أبدأ الرد عليه وعلى أمثاله بنقل أصح الروايات في خبر تحنثه في الغار الليالي ذوات العدد من شهر رمضان في تلك السنة لا فيما قبلها لتفنيد أخيلته وشعرياته، وإبطال نتيجة مقدماته، وللاستغناء بها عما نقله من الخلط في صفة الوحي). [(١)] فقد ذكر الشيخ طريقته في الرد على شبهات المنكرين لعالم الغيب وتصويرهم لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بما يسمونه بالوحي النفسي فذكر أن هذه الشبهة لها عشر مقدمات وناقش تلك الشبهات ورد عليها بمنطق الحجة والبرهان في مناظرة طويلة. [(٢)]

ثانياً: المجادلة التي حصلت له في طرابلس يرويها الشيخ فيقول: (وقد اتفق أنني لما زرت مدينة دار الفنون في الآستانة سنة ١٣٢٨ه وطفت على حجرات المدرسين ألفيت مدرس التفسير يفسر هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ المائدة: ٥١، فلما قرر ما قاله البيضاوي قام أحد طلاب العلم من الترك وقال: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا جعلت الدولة بعض الوزراء والأعيان والمبعوثين والموظفين من النصارى واليهود؟ فأرتج

---

(١) الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص٥٧.

(٢) انظر: المناظرة كاملة، المرجع السابق، ص٥٧-١٤١.

على المدرس، وعرق جبينه، وناهيك بعقاب الحكومة العرفية العسكرية هنالك لمن يطعن في دستورها، فقلت للمدرس: أتأذن لي أن أجيب هذا السائل؟ قال: نعم فقمت فبينت له أن الولاية في الآية ولاية النصرة بنحو ما قدمته هنا، وإنها لا تدل على عدم جواز استخدام الدولة لغير المحاربين لنا، ولا هي من هذا السياق في شيء، فاقتنع السائل والسامع، وسر الأستاذ، وسري عنه، وكان لهذا الجواب أحسن الوقع عند مدير قسم الإلهيات والأدبيات من المدرسة، وبلغه ناظر المعارف فارتاح إليه وأعجبه، فاقترح المدير عليه أن يقرر جعل تدريس التفسير بالعربية، وكذلك الحديث، رجاء أن يعهد إلي به إن أقمت في الآستانة، فأجابه إلى ذلك). (١)

ثالثاً: محاجة المنصرين في دينهم وبيان سوء عقيدتهم :

لا يتأتى ذلك إلا من قبل العلماء ولا يكون من قبل جهلة الناس وعوامهم ففي محاجتهم في دينهم وبيان فساد عقيدتهم ينتج عنه إحجام المخدوع بهم عن الدخول في دينهم من ناحية وفيه بيان مفاسد هذه العقيدة لعوام النصارى حتى يتسنى لهم مراجعة دينهم ومن ثم البحث عن الدين الصحيح يقول الشيخ: (أذكر أنه كان لهؤلاء المبشرين مدرسة في باب الخلق، فبينما كنت مارًّا من أمامها منذ ٢٩ سنة، قال لي رجل منهم: تفضل واسمع كلام الله فدخلت فإذا بخطيب يقرر لهم عقيدة الصلب والفداء، فلما أتم كلامه قمت بجانبه، وقلت له: اسمح لي أن أعيد عليك ما فهمته منك، لتعلم هل كان فهمي صحيحاً كما أردت أم لا ؟ فأذن، فقلت: ملخص كلامك: أن الله تعالى وقع في مشكل عظيم بعد خلقه لآدم وعصيان آدم له، وهو أنه لما كان سبحانه رحيمًا كامل الرحمة، وعادلاً كامل العدل، رأى أنه إذا عاقب آدم لا يكون رحيمًا، وإذا عفا عنه لا

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٦/ ٣٥٥.

يكون عادلاً، فظل يتفكر في استنباط وسيلة للجمع بين العدل والرحمة، حتى اهتدى إليها بعد ألوف من السنين وذلك في السنة التي ولد فيها المسيح، وهذه الوسيلة هي أن يعذب المسيح المعصوم من كل ذنب بعذاب الصلب، وقبول اللعن، ودخول الجحيم- المسجلين في الكتاب على كل من يصلب -لأجل إنقاذ آدم وذريته من عذاب تلك الخطيئة التي لحقت بهم كلهم على دعواكم، وبذلك جمع بين العدل الرحمة، ولكنني رأيت أن الظاهر المتبادر من هذه الحكاية، أن الرب سبحانه وتعالى قد فقد كلاً من العدل والرحمة بتعذيبه للبريء وعفوه عن المذنب بل عن الملايين من المذنبين، فضلاً عما يلحقهم من خطيئة آدم على زعمكم، ثم إنه مع هذا لم يتم للرب تعالى عما تقولون ما أراد من الرحمة ببني آدم، لأنكم تقولون: إنه لا ينال نعمة النجاة من العذاب بهذا الفداء إلا من صدق هذه الحكاية غير المعقولة وغير اللائقة بجلال الرب وعظمته وتتزهه عن كل نقص ومن المعلوم عندنا بالضرورة أن أكثر بني آدم لم يصدقوها، فإذًا لا بد أن يعذبهم الله بذنب آدم، حتى من كان منهم لم يعص الله تعالى قط، فهل تدعوننا لأن ننسب كل هذا الجهل والحيرة والفشل إلى الله تعالى الكامل المنـــزه عن كل نقص ؟ فصاح المسلمون الحاضرون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقال القس المبشر: جوابي أننا غير مأمورين هنا بأن نجادل أحدًا، ولكن لنا مكتبا مفتوحًا لأجل الجدال، فإذا زرتنا فيه نجيبك عن كل ما ذكرته، قلت: إنني على علم برهاني فيما أقول وأعتقد، فلست بمحتاج إلى جوابكم عن شيء، ولكن كيف تلقنون الناس ما يفسد عليهم إيمانهم بتنـــزيه الله وتعظيمه، وتتركونهم في ضلالهم يعمهون إن صدقوكم ؟). [1]

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٨١/٢٩.

هذه بعض النماذج من مجادلة الشيخ بالتي هي أحسن يتبين فيها مدى حجته وتمكنه من هذا الأسلوب الذي كان استخدامه في مكانه له غاية البيان والأثر على الدعوة الى الله تعالى في عصره.

المبــحث الرابع

القدوة الحسنة

وفيه مطالب :

المطلب الأول: تعريف القدوة الحسنة.

المطلب الثاني: انواع القدوة الحسنة وأهميتها.

المطلب الثالث: شروط القدوة الحسنة.

المطلب الرابع: تطبيق القدوة في دعوة الشيخ رحمه الله.

المطلب الأول

تعريف القدوة الحسنة

القدوة في اللغة:

تأتي بمعنى الأسوة، يقال فلان قدوة إذا كان يقتدى به ويتأسى به، والقدوة بمعنى الأسوة، يقال فلان قدوة يقتدى به. (١)

القدوة في الاصطلاح:

أتت بتعريفات كثيرة منها:

منها: طلب موافقة الغير في فعله. (٢)

وعرفت أيضا: بالواقع الحي الملموس الذي يدعوا إلى الامتثال بالعمل قبل القول. (٣)

وقيل هي: اتِّباع طريق الصالحين والتأسي بهم. (٤)

وقيل: هو الشخص الذي يدعو إلى أنواع الفضائل والمكملات السلوكية والأفكار السليمة الصحيحة، وقد عمل بها واتصف بها من قبل. (٥)

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ٣٧٨/٤. ولسان العرب، ابن منظور، ١٧١/١٥.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٥/٧.

(٣) انظر: القدوة ودورها في تربية النشء، بريكان القرشي، ص٥٩، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٠٥هـ.

(٤) انظر: دراسات في التربية الإسلامية، أحمد سعيد الغامدي، ص٧١، ط ١، مكتبة العلوم والحكم.

(٥) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد العاني، ص٣٢٧، دار وحي القلم، ٢٠٠٨، سوريا.

=

وقيل: يقصد بالقدوة الحسنة الداعية الذي ينظر إليه الناس فتجله أنظارهم وتحبه قلوبهم ويكون صالحاً في نفسه، مصلحاً لغيره، بالسيرة الحسنة والمسلك الطيب والأثر الحميد. (١)

وقيدت القدوة بالحسنة لتخرج منها القدوة السيئة، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب:٢ .

(١) انظر: وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي، ص٢٠٥، ط١، دار اشبيليا، الرياض، ١٤٢٠هـ.

المطلب الثاني

انواع القدوة الحسنة وأهميتها

القدوة الحسنة من الأساليب المهمة للداعية وللإنسان بشكل عام وهي في الإسلام تنقسم إلى قسمين:

أولاً: **قدوة حسنة مطلقة**:

أي معصومة من الخطأ والزلل، كما في الأنبياء والرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١ وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الممتحنة: ٤ — ٦ .

ثانياً: **قدوة حسنة مقيدة**:

أي بما شرع الله عز وجل، لأنها غير معصومة، كما هي في العلماء والدعاة والصالحين والأتقياء من غير الرسل والأنبياء عليهم السلام فهؤلاء يُقتدى بهم في أمور دون أخرى، لذا كان الاقتداء بهم مُقيداً بموافقة الشرع.

وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوباً عاماً يشمل التأسي بكل من عمل عملاً حسناً سواء كان نبياً أو رسولاً، أو كان تابعاً للرسل الكرام. (١)

ولقد أمر الله سبحانه وتعالى بالاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم فقال سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ الأحزاب: ٢١، وهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم كما في غزوة الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل. (٢)

ولأهمية الاقتداء به صلى الله عليه وسلم أوجب الله عز وجل علينا اتّباع أمره واجتناب نهيه، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الحشر: ٧، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ آل عمران: ٣١، كما حذر سبحانه من مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم فقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ النور: ٦٣.

وأسلوب القدوة الحسنة له تأثيره في المدعوين أكثر من تأثير الأقوال المجردة، لأن الناس يتأثرون بالأفعال أكثر مما يتأثرون بالأقوال، كما في لبسه عليه الصلاة والسلام

---

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، البيانوني، ص٢٧١- ٢٧٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣/٤٧٤، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.

لخاتمه ففي الحديث: ((اتخذ خاتما من ذهب وجعل فصه مما يلي باطن كفه ونقش فيه محمد رسول الله، فاتخذ الناس مثله، فلما رآهم قد اتخذوها رمى به وقال: لا ألبسه أبداً، ثم اتخذ خاتماً من فضة، فاتخذ الناس خواتيم الفضة، قال ابن عمر: فلبس الخاتم بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان حتى وقع من عثمان....))[1].

(١) فتح الباري، ابن حجر، ٥/٢٢٠٢، كتاب اللباس، باب خاتم الفضة رقم الحديث (٥٥٢٨).

المطلب الثالث

شروط القدوة الحسنة

للقدوة الحسنة شروط يجب أن تتوفر فيها لكي تكون وسيلة دعوية ناجحة ومفيدة منها ما يلي:

سلامة العقيدة، وذلك بأن يكون الداعية ذا عقيدة إسلامية صحيحة خالية من أي بدعة أو شبهة، وعقيدته الصحيحة هي المأخوذة من الكتاب والسنة النبوية وهدي السلف الصالح.

العلم وهذا شرط هام أيضاً في الداعية إلى الله، لأنه قدوة ينظر إليه الناس، فيجب أن يكون عالماً بدعوته، وخاصة إذا كان يعيش في مجتمعات غير إسلامية، فيكون ترجماناً لأركان الإسلام وعباداته، ومصدراً يأخذ الناس منه كيفية الصلاة والصيام والزكاة والحج والأخلاق وسائر المعاملات، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الأنعام: ١٦٢.

استشعاره لأهمية هذا الأسلوب وتأثيره على المدعو بموافقة الأقوال للأعمال ومراعاة تقوى الله عز وجل، فلا انفصام ولا اضطراب في حياة الداعية ولا في شخصه، بل انسجام وتكامل وموافقة بين ما يقوله وبين ما يظهره وما يبطنه، قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ الصف: ٣.

حسن الخلق، ومعاملة الناس بما تحب أن يعاملوك به من الاخلاق والآداب الإسلاميّة، قال ابن القيم في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في معاملته: (هو الأسوة

والقدوة، فكان يعود المريض، ويشهد الجنازة، ويجيب الدعوة، ويمشي مع الأرملة والمسكين والضعيف في حوائجهم، وكان أحسن الناس معاملة). (١)

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ١/٤٣. وانظر: جهود الشيخ تقي الدين الهلالي في الدعوة إلى الله، خالد الزهراني، ص٢٩٥-٢٩٦.

المطلب الرابع

تطبيق القدوة الحسنة في دعوة الشيخ محمد رشيد رضا

مما لا يخفى أن القدوة في حياة الشيخ تكون إما بالنظر إليه وتقليده وإما باتباع أثرة وتقليده، وكان لمؤلفات الشيخ وعلى رأسها تفسير المنار ومجلة المنار الأثر في ذلك وكذلك مدرسته مدرسة الدعوة والارشاد ونذكر هنا بعضاً من مقالات الشيخ في القدوة واهميتها وتأثيرها على الداعية والمدعو والمجتمع فيقول: (وما كان من الدعوة متعلقًا بالأخلاق والأعمال فهو تربية، والتربية النافعة إنما تكون بالفعل لأنها مبنية على القدوة وحسن الأسوة، لا بمجرد القول. ألم يبلغك حديث الحلق في الحديبية وكيف لم يمتثل الصحابة عليهم الرضوان أمر النبي صلى الله عليه وسلم به حتى حلق هو فاقتدوا بفعله أجمعين ومن هنا تفهم السر في عصمة الأنبياء عليهم السلام). [(١)] ويقول الشيخ: (من قرأ التاريخ الحديث علم أن المسلمين الضاربين في أحشاء إفريقية ويعدون بعشرات الملايين ما تناولوا الدين الإسلامي بدعوة من العلماء والخطباء، ولا اعتنقوه بإلزام من الملوك والأمراء، وإنما دخل بلادهم بعض التجار والمحترفين من نحو مزين وحجام، فرأوا منهم ثيابا وأبدانا نظيفة، ونفوسا عفيفة، وسجايا شريفة، واعتقادات معقولة، وفعالا جميلة، فقلدوهم مختارين، ودخلوا في دينهم طائعين، من وقف على هذا وعلى الأسباب الصحيحة لانتشار الدين الإسلامي في كل قطر وكل عصر من العصور تجلى له أن هذا الدين لو وجد له دعاة كدعاة الأديان الأخرى لما بقي للوثنية هيكل يقصد، ولا صنم يعبد، ولظل الناس يدخلون فيه أفواجا من جميع الملل، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٤٨١/٣.

كله لله، ولكن أهله لم يكتفوا بعدم الدعوة إليه، بل أوقفوا سيره بأقوالهم وأعمالهم المخالفة لهديه، فإذا وفق الله المسلمين للاستعداد للدعوة، كما تستعد الدعاة من الملل الأخرى، وطافوا بلاد الله مبشرين ومنذرين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كما أمرهم الكتاب العزيز رأيت للإسلام شأنا عظيما وانتشارا عميما). (١)

ويقول مبيناً سبب اقتداء الناس بالداعية فيقول: (لا شك أن من يعامل أستاذه ومرشده معاملة المساواة في القول والعمل، يقل احترامه له وتزول هيبته من نفسه حتى تقل الاستفادة منه أو تعدم، وإذا لم تزل الاستفادة منه من حيث كونه معلما، فإنها تقل وتزول لا محالة من حيث كونه مربيا، لأن المدار في التربية على التأسي والقدوة، ومن أراه مثلي لا أرضاه إماما وقدوة لي، فإن رضيته بالمواضعة والتقليد وكذبتني المعاملة، فأي قيمة لهذا الرضى، والعبرة بما في الواقع ونفس الأمر، وهو أن من اعتقد أن امرأ فوقه علماً وكمالاً، وأنه في حاجة للاستفادة من علمه وإرشاده ومن أخلاقه وآدابه، فإنه لا يستطيع أن يساوي نفسه به في المعاملة القولية ولا الفعلية، إلا ما يكون من فلتات اللسان ومن اللمم). (٢)

ويقول الشيخ: (الأصل في الشر ألا يفعل قولا كان أم عملاً إلا لضرورة كالجهر بالسوء ممن ظلم للاستعانة على إزالة الظلم، والأصل في الخير أن يفعل، قولا كان أم عملا، وأما المفاضلة بين إبداء الخير وإخفائه فهي تختلف باختلاف العاملين والباعث على العمل وأثر الإبداء والإخفاء له، فمن كان كامل الإيمان عالي الأخلاق لا يخاف على نفسه الرياء لا فرق عنده في إبداء الخير وإخفائه من جهة نفسه، فهو يرجح أحد الأمرين

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/٧٨٨.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/ ٣٩٩.

على الآخر بنية صالحة، أو منفعة بينة، ومن ليس كذلك ينبغي أن يرجح الإخفاء حتى لا يكون له هوى فيه، ومن بواعث الإبداء قصد القدوة، ومن بواعث الإخفاء قصد الستر وحفظ كرامة من يوجه إليه الخير كالصدقة على الفقراء المتعففين). (١)

يقول الشيخ عن القدوة في إحدى خطبة: (وأما وضع الصدقة في المصالح العامة، فليس فيه هذا المعنى وإبداؤها قد يكون حينئذ خيرًا من إخفائها، لما فيه من حسن القدوة والترغيب في التعاون على الخير، وما زالت القدوة الصالحة مصدر البركات وسببًا في كثرة الأعمال الصالحات، وقد أمرنا الله تعالى أن ندعوه بأن يجعلنا أئمة في الخيرات، بمثل ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ الفرقان: ٧٤). (٢)

ويُرجع الشيخ التربية السليمة إلى القدوة الحسنة فيقول: (بالتربية الحسنة تسعد العائلات والأمم، ومدار التربية على الاقتداء، والرجل قدوة المرأة، والآباء والأمهات هم الأسى جمع أسوة بمعنى القدوة التي تأتسي بها الأبناء، والدين هو المرشد الأمين والنور المبين، فمتى ضل عن نهجه الآباء لحقه الأمهات، إما مشايعة ومتابعة وإما إقرارا وسكوتا، فكيف يكون مع هذا حال الأبناء والبنات؟ ليل بهيم، وفساد عظيم، فلا تكونوا معاشر المسلمين أعوانا للشياطين على أبنائكم وأنصارا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ التحريم: ٦). (٣)

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٧/٦.
(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٣١/١٤.
(٣) المرجع السابق، ١/ ٨٥٧.

ويقرر الشيخ قاعدة في الدعوة بالقدوة فيقول: (وإذا قرأ الإنسان جميع الكتب و لم يتلق الأمور العملية بالقدوة فإنه لا يحسنها على أن الأقوال لا يستغنى عنها في كثير من المسائل) [(١)].

ومما عرضناه يتبين أهمية القدوة الحسنة ومشاركتها الفاعلة في تغيير سلوك الفرد بل في إقناعه على امكانية تطبيق ما تدعو إليه، وهذه نقطة مهمه يركز عليها الداعية ويرعيها باله في أثناء دعوته.

(١) المرجع السابق، ١١/٨٨١.

المبحث الخامس

دعوته إلى إقامة الجمعيات الإسلامية والدعوية خاصة

إن تاريخ الجمعيات الإسلامية جزء من حركة الدعوة، وعلامة من علاماتها البارزة خلال القرن الرابع عشر الهجري، ولقد تطور أمر هذه الجمعيات فبينما كان عددها لا يتجاوز أصابع اليد في مطلع هذا القرن، وتعددت أنشطتها واختلفت مناهجها وتنوعت أساليبها، هذا وإن من المتعذر تتبع هذا العدد الضخم من تلك الجمعيات.

وتظهر أهميتها في التعاون على البر والتقوى كما أوضحه الشيخ بقوله فيها: (كان المسلمون في الصدر الأول جماعة واحدة، تعاونون على البر والتقوى عن غير ارتباط بعهد ونظام بشري، كما هو شأن الجمعيات اليوم، فإن عهد الله وميثاقه كان مغنيا لهم عن غيره، وقد شهد الله تعالى لهم بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ سورة آل عمران: ١١٠، ولما انتثر بأيدي الخلف ذلك العقد ونكث ذلك العهد، صرنا محتاجين إلى تأليف جمعيات خاصة بنظام خاص لأجل جمع طوائف من المسلمين وحملهم على إقامة هذا الواجب التعاون على البر والتقوى في أي ركن من أركانه أو عمل). (١)

ويقول الشيخ عن الجمعيات: (إن تأليف الجمعيات لأجل الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابت في كتاب الله بقوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ آل عمران:

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦/ ١٠٨.

١٠٤. ويدخل في ضمن قوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ المائدة: ٢). [١]

وهذه الجمعيات التي دعا إليها ما هي إلا لبنة وقفزة بالأمة إلى أعلى لكي تحصل الكثير في وقت قصير ويبين الشيخ أهميتها بقوله: (لا ينشر العلم في هذا العصر إلا بالجمعيات ولا يرتقي إلا بالجمعيات، فعلينا أن نبدأ بتأسيس الجمعيات الخيرية، التي تنشأ لنا المدارس، والكتاتيب، وأن نعاضدها بأموالنا قدر استطاعتنا). [٢] وها نحن اليوم في مجتمعنا بجميع طبقاته نسعى لتطبيق هذه الفكرة التي بالفعل هي الأساس لأنها مبنية على التعاون التخصص وتبادل الخبرات والمنافسة.

من أهم هذه الجمعيات التي أسسها الشيخ وأبرزها والتي خرجت من رحمها مدرسته مدرسة الدعوة والإرشاد هي جمعية الدعوة والإرشاد والتي كانت تطبيقاً لجمعية إسلاميّة مجتمعية متكاملة بالإضافة الى الجمعيات التي اسسها أو كان سبباً في إنشائها او داعيًا إليها ومن هذه الجمعيات :

١ – جمعية الدعوة والإرشاد.

بدأ الشيخ بالسعي لتأسيس جمعية الدعوة، يكون أول عملها إنشاء مدرسة لتخريج الدعاة[٣] فبدأت الفكرة في مقالتين:

الأولى: الدعوة إلى حياة الأديان.

والثانية : الدعوة وطريقها وآدابها.

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٢ / ٧٣٥.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ١١/٨٦٩.

(٣) سيأتي الحديث عنها في مبحث مستقل بإذن الله.

وكتب في مقالات أخرى ردا على كتب وصحف دعاة النصرانية شبهات النصارى وحجج المسلمين، ثم كتب مقالة نوه فيها إلى الدعوة وإشارة إلى الاستعداد لها وبحث فيها دعوة اليابانيين إلى الإسلام وإنشاء جمعية الدعوة ومدرسة لإعداد الدعاة فعزم أن يجعل مشروع الدعوة والإرشاد في الآستانة فرحل إليها في أواخر رمضان من سنة ١٣٢٧، أقام فيها سنة كاملة لا عمل لي فيها إلا السعي لهذا المشروع لأسباب أهمها أمران:

الأول: أنه كان يرجو إنجاح الجمعية والمساعدة والثقة به بالأستانة في ظل الدستور ما لا يرجوه في مصر التي أتوقع فيها مقاومة الاحزاب السياسية.

والثاني: أنه رأى الدولة العثمانية تكثر فيها الفتن باختلاف العناصر والمذاهب، وأن لكل طائفة من النصارى العثمانيين مدارس دينية، وأن المسلمين هم المحرومون من ذلك، فتأسيس المشروع في الأستانة تكون فائدته الأولى ترقية مسلمي الدولة العثمانية في دينهم ودنياهم، والتأليف بينهم وبين أبناء وطنهم ومنع أسباب الفتن والخروج على الدولة من أقرب طرقها وهو الوعظ الديني، وبذلك يكون ارتقاء الأمة العثمانية الاجتماعي والاقتصادي سريعا وبه تزيد ثروة الدولة وقوتها. ولكن حال خوف رجال الدولة العثمانية لأسباب دينية وسياسية منها ما كان فبعض العلماء الرسميين المعروفين بتعصبهم للمذهب الحنفي ولم يروا ان من مصلحتهم إقامة مثل هذا المشروع في الآستانة والخوف من كونها دعوة تحمل على تحويل الخلافة من الاتراك الى العرب لما يعرفون من غيرة الشيخ على العرب ومطالباته بحقوقهم في ظل الدولة العثمانية.

عاد الشيخ إلى مصر وقد عقد العزم على إنشاء الجمعية بها، بعد سنة كاملة انتهت بعدم قدرته على إقامتها بدار الخلافة العثمانية، فاتصل بعدة شخصيات ممن يأنس فيهم

القدرة على العمل في هذ المشروع. [١] وتشكل منهم مجلس إدارة الجمعية وسميت بهذا الاسم واسست مدرستها مدرسة الدعوة والإرشاد. [٢]

وقد نشر الشيخ نظامها الأساسي وأعضاء مجلس إدارتها في مجلة المنار، يقول الشيخ: (أما أعضاء مجلس الإدارة المؤسسون الذين وقعوه فهم عشرة مقصد هذه الجمعية إنشاء مدرسة كلية باسم: دار الدعوة والإرشاد في مصر القاهرة، لتخريج علماء مرشدين قادرين على الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، والإرشاد الصحيح، وإرسالهم إلى البلاد الشديدة الحاجة إليهم على قاعدة تقديم الأهم على المهم، ويرسل الدعاة إلى البلاد الوثنية والكتابية التي فيها حرية دينية، ولا يرسلون إلى بلاد الإسلام إلا حيث يدعى المسلمون جهراً إلى ترك دينهم والدخول في غيره، مع عدم وجود علماء مرشدين يدفعون الشبهات عن الإسلام ويبينون حقيقته لأهله، ولا تشتغل هذه الجمعية بالسياسة مطلقا، لا بالسياسة المصرية، ولا بسياسة الدولة العثمانية، ولا بسياسة غيرها من الدول.... أعضاء الجمعية ومجلس إدارتها وشعبها، كل مسلم يبذل للجمعية مقدارا من المال في كل سنة أو كل شهر، يكون عضوا فيها، وأعضاؤها أربعة أقسام: أعضاء مؤسسون وأعضاء عاملون، وأعضاء معاونون، وأعضاء شرف.... فالمؤسسون: هم الموقعون على هذا النظام، وكل من يدفع للجمعية عشرين جنيها مصريا فأكثر إلى مدة شهرين من تاريخ نشر هذا النظام في القطر المصري، ومدة ستة أشهر منها لسائر الأقطار، والعاملون هم الذين يقومون

---

(١) وعلى رأسهم: الخديوي عباس حلمي والذي أقنع الشيخ بإقامة المشروع في مصر، وكذلك الشيخ جاسم بن محمد آل ابراهيم والذي تبرع بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه انكليزي نقدا تبرعاً ناجزاً و١٠٠ جنيه انكليزي اشتراكاً سنوياً للجمعية. (انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١١٤/١٤ و٧٠٨/٣٥).

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٤١/١٤.

بالأعمال، كجمع المال في اللجان التابعة للمركز العام، وفي الشعب الخارجية وغير ذلك. والمعاونون: هم الذين يشتركون بالمال فقط.... وأعضاء الشرف: هم الذين ينفعون الجمعية بمالهم أو مكانتهم نفعا عظيما، صدر بمصر في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٩). [١]

ولكنها بعد نشوب الحرب العالمية الاولى عام١٣٣٣ه وبسبب انقطاع الإعانات المادية عنها ومحاربة الانجليز لها فقد تم إغلاقها واغلاق مدرستها تبعا لها.

٢ – جمعية مكارم الأخلاق.

هذه الجمعية من أقدم الجمعيات الإسلامية التي أنشئت للوعظ والإرشاد في مصر، يقول عنها الشيخ: (فإني لما هاجرت إلى مصر في منتصف سنة ١٣١٥ه لم أجد في مصر غيرها، واتفق أن كانت هي الجمعية الأولى التي تعودت إلقاء الخطابة الارتجالية على منبرها، ثم إن خطيب الجمعية المؤسِّس لها كان يدعوني إلى الخطابة في كل اجتماع لها و جمعية مكارم الأخلاق ضعفت بعد وفاة مؤسسها، فتداركها الله باللطف ونهضت نهضة جديدة بهمة أصحاب النجدة والغيرة: رئيسها ووكيلها ومراقبها، اتخذوا لها أولاً مكانًا مشهورًا في القاهرة هو القاعدة الأثرية المشهورة بدار السادات الوفائية المسماة بأم الأفراح، يتبعها حجرة للإدارة وباحة واسعة من وراء الدار، فكانت الخطب والمحاضرات تُلقى في القاعة مدة فصل الشتاء وزمن البرد، ثم تلقى في الباحة سائر أيام السنة، وموعدها بعد صلاة المغرب من يوم الجمعة، وكان أكثر من يحضرها طلبة الجامع الأزهر، وقد دعيت إلى إلقاء محاضرات كثيرة فيها كانت الإدارة تعلن خبرها في الجرائد اليومية فيحضرها خلق كثير من جميع الطبقات، ولا أزال أدعى فأجيب، بعد نقل الجمعية إلى مكانها الجديد، نقلت الجمعية إلى حي شبرا لمقاومة دعاة النصرانية فيه إذ كثرت جمعياتهم

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٤/١١٤-١١٥، ٤٨٠/١٤.

وتصديهم فيها لإغواء عوام المسلمين، فاتخذت لها دارًا فسيحة ذات حجرات كثيرة وباحة واسعة، وأنشأت في الدار مدرسة ابتدائية تعلم فيها أطفال المسلمين بأجرة زهيدة مع تربية عملية مفيدة). [١]

وقد أنشئ لمجلتها مكارم الأخلاق الإسلامية مطبعة خاصة بها، وأنشئ لها مجلة أخرى باسم المصلح فالمجلة الأولى في السنة الثامنة من حياتها الجديدة وهي تصدر في منتصف كل شهر عربي، وأما صحيفة المصلح فتصدر في كل شهر أو شهرين، ويرى القارئ لهما في كل منهما فوائد كثيرة من تفسير السور الصغيرة التي تُقرأ في الصلاة وشرح بعض الأحاديث الصحيحة وبيان السنن النبوية المتروكة لإحيائها، والبدع الفاشية مع النهي والتنفير عنها، والمسائل الفقهية والأدبية والتاريخية والمواعظ، وهي جمعية تهتم بالجانب الدعوي. [٢]

٣ – جمعية شمس الإسلام.

يقول عنها الشيخ: (ما نجحت جمعية في القطر المصري كجمعية شمس الإسلام، ولا خاض الناس في جمعية كخوضهم فيها، وكثيرًا ما يكون الخوض والتحامل من أسباب الفوز والنجاح، أما نجاح الجمعية فحسبك دليلاً عليه كثرة الفروع التي تتفرع منها آنًا بعد آن، وإنني أذكر من هذه الفروع الآن ما أتذكره من غير مراجعة الدفاتر وهو جمعيات....). [٣]

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٣٤/٣٢.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٦٣٤/٣٢.

(٣) المرجع السابق، ٣ /٩٣.

وفي مقالة للشيخ بعنوان: بضعة أيام في خدمة جمعية شمس الإسلام يقول: (خرجت من القاهرة.... في صحبة رئيس هذه الجمعية.... سافرنا قاصدين بلدة ملوي فلما وافيناها ألفينا الجم الغفير من أعضاء الجمعية فيها ينتظروننا في المحطة.... وفي ذلك اليوم وهو يوم الجمعة رغب إلي.... أن أخطب بالناس وأصلي بهم، ورأيت من رغبة الإخوان ما حملني على الإجابة، وعندما رقيت المنبر أنطقني الله الذي أنطق كل شيء بكلام في وصف حالة الإسلام والمسلمين، وما يجب أن يأخذوا به الآن، لم أكن زورته في نفسي، ولا ألم بفكري قبل تلك الساعة، فصادف آذانا واعية، وقلوبا مستعدة، فوجلت القلوب وذرفت العيون، وكان فصل الخطاب أن نجاة المسلمين مما هم فيه من فساد الأخلاق وسيئ الأعمال وتفرق القلوب، لا تكون إلا بالتعاون على البر والتقوى، وأن الله تعالى قد وفق طائفة من المسلمين للقيام بهذا التعاون، والتخلق بأخلاق الإسلام، والتأدب بآدابه، فعلى أصحاب الغيرة الملية أن يمدوا أيديهم لمصافحتهم ومعاهدتهم على ذلك، وقد فهم القوم الإشارة، وأقبلوا على الدخول في الجمعية أفواجا تائبين إلى الله تعالى توبة نصوحا.... آثار الجمعية في ملوي: كان من آثار هذه الجمعية في ملوي ترك المنكرات، حتى إن حانة من الحانات أقفلت وغادر صاحبها الرومي البلدة لكساد الخمرة، وفيها أن المساجد صارت تزدحم بالمصلين، وكان لا يوجد فيها لا سيما في صلاة الفجر إلا نفر قليل، وإنه منذ انتشرت الجمعية هناك قل التعدي والسطو، .... ومن أحسن آثارها أن المسلمين صاروا أقرب إلى الألفة مع مجاوريهم من المخالفين لهم في الدين، وأكثر ميلا إلى مجاملتهم، وقد سرني وسر سعادة رئيس الجمعية هذا منهم، ولما اجتمعت الجمعية العمومية خطبتهم فيها خطبة مطولة، كان جزء كبير منها في الحث على مجاملة جيرانهم المخالفين لهم في الدين وبيان أن هذا من موضوع الجمعية، لأنها دينية تهذيبية، والدين يحرم إيذاء الذمي والمعاهد، حتى ورد أن النبي نفسه صلى الله عليه وسلم يكون خصم من آذاه،

وسردت لهم بعض الآيات والأحاديث الواردة في ذلك كقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة: ٨، ...... وأفضل آثارها هناك الشروع في افتتاح مدرسة تعلم فيها جميع العلوم والفنون واللغة الانكليزية مع التربية علما وعملا على مبادئ الدين.... وفي مساء السبت ركبنا.... فعرجنا في الطريق على قرية صغيرة بتنا فيها عند بعض إخواننا، وجئنا ديروط مساء يوم الأحد فتلقانا أهلها بالحفاوة، واجتمع علينا في الليل وجهاء البلدة وكرامها من رجال الحكومة وغيرهم، وطلبوا أن أبين لهم موضوع الجمعية ووجه الحاجة إليها، وشروط الانتظام فيها بخطاب مسهب، ففعلت وأطلت في بيان عدم تعرض الجمعية للسياسة بقسميها الداخلية والخارجية وعنايتها في بث روح الوفاق والائتلاف بين أرباب الملل المختلفة في الوطن، لأن الشريعة التي هي أساس الجمعية تأمر ببر المخالف في الدين ومعاملته بالعدل ما لم يكن محاربا ومقاتلا لنا في الدين، ولأن نجاح الوطن لا يتم إلا باتفاق جميع أبنائه على ترقية شأنه واعتقاد أن العدالة الإلهية ساوت بينهم في الحقوق، وصرحت لهم بأن من دخل الجمعية تائبا من ذنوبه، ثم علم أنه يقترف كبيرة من الكبائر كالسكر والربا، وشهادة الزور والخيانة، والتعدي على حقوق الناس، فإنه يطرد من الجمعية طرداً لا فرق بين كبير وصغير، لأن الحق أعلى من كل أحد، فسر القوم بموضوع الجمعية وأقبلوا عليها أفرادا وأوزاعا، أسس الرئيس العام لجنة الإدارة وأعطاها الدفاتر وأوراق الدعوة والطلب، ثم قفلنا في يوم الثلاثاء إلى ملوي، وكان معنا جماعة من أهلها، فأقمنا فيها يوما وليلة وسافرنا منها ليلة الخميس، فعلم من هذه الخلاصة الموجزة أن استعداد أهل الصعيد لقبول الخير والتمسك بالحق أقوى من استعداد أهل مصر الذين أفسد مزاج الدهاء منهم التفرنج والتوغل في الترف، وأن المسلمين لا يرجى لهم خير إلا من الأخذ بآداب دينهم وفضائله، فلو أن أفصح الخطباء المتمدنين أقام عدة سنين يحث

المسلمين على مجاملة جيرانهم المخالفين لهم في الدين، والائتلاف معهم باسم المدنية، وترك السكر والفحش محافظة على الصحة مثلا، لما أمكن أن يكون له من الأثر بعض ما كان لهذه الجمعية الشريفة في مدة قليلة). [1]

٤–دعوة الشيخ لإقامة جمعيةٍ إسلامية عامة تهتم بالمسلمين وبالدين الإسلامي.

دعا إليها الشيخ واقترح أن يكون مقرها مكة المكرمة وجعلها من أسباب إصلاح الأمة يقول الشيخ: (ويتوقف هذا الإصلاح على تأليف جمعية إسلامية تحت حماية الخليفة يكون لها شعب في كل قطر إسلامي، وتكون عظمى شُعبها في مكة المكرمة التي يؤمها المسلمون من جميع أقطار الأرض ويتآخون في مواقفها ومعاهدها المقدسة، ويكون أهم اجتماعات هذه الشعبة في موسم الحج الشريف، حيث لا بد أن يوجد أعضاء من بقية الشعب التي في سائر الأقطار يأتون الحج فيحملون إلى شعبهم من المجتمع العام ما يستقر عليه الرأي من التعاليم السرية والجهرية). [2]

ويقول الشيخ: (نذكر أهم ما يناط بالجمعية وشُعبها من الأعمال وهو الاول: تلافي البدع والتعاليم الفاسدة التي تحدث قبل انتشارها، والثاني: إصلاح الخطابة والدعوة إلى الدين، والثالث: الدعوة إلى الدين، وأهم نتائجها: وهو ارتباط الحكومات الإسلامية واتحادها وغاية هذا الاتحاد أن تكون هذه الدول كالدول المتحالفة بالنسبة للأمور الخارجية و كالولايات المتحدة في الإصلاحات الداخلية، كالتربية والتعليم، ووحدة الأحكام والآداب واللغة، ولو لم يتم ذلك إلا في زمن طويل، وأن لا يكون لأحد منهم

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٨٩/٢.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٦٤/١.

سيطرة في ملك الآخر أو إمارته، بل تسير كل مملكة وكل إمارة في إدارة بلادها بإرشاد مجلس الشورى الذي ينتخبون أعضاءه من عقلاء بلادهم). (١)

وقد يكون اقتراحه هذا موجوداً الآن لأن عدداً من المنظمات الإسلاميّة مقرها مكة المكرمة يقام فيها الهدف الذي من أجلة اقترح الشيخ هذه الجمعية مثل رابطة العالم الإسلامي مع أن هدفها أعم من ذلك.

٥-دعوته لإقامة جمعية اقتصادية. يقول الشيخ: (ومن الضروري أن يبادروا إلى تأليف جمعية اقتصادية يكون من أعمالها إرسال بعض الطلاب المستعدين إلى معاهد العلم في أوربة لأجل الإحصاء في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج، ثم جعلهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها، والاستقلال المنتظر يزيل إن شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا العمل). (٢)

٦-دعوته لإقامة جمعية فقهيه. يقول الشيخ: (طلاب الإصلاح للأمة الإسلامية ما زالوا يقترحون تأليف جمعية من علماء المذاهب المتبعة كلها، تضع للأمة كتبًا في العبادات والمعاملات، تؤخذ من نصوص الكتاب والسنة، ومن اجتهاد جميع المجتهدين، يراعى فيها اليسر، ورفع الحرج، ودرء المفاسد، ومراعاة المصالح، ومراعاة العرف، وغير ذلك من القواعد العامة). (٣) وهذا المقترح موجود في رابطة العالم الإسلامي بمسمى مجمع الفقه الإسلامي.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٧٦٤/١.

(٢) المرجع السابق، ٥٢١/٣٥.

(٣) المرجع السابق، ٤٤٢/٢٦.

٧- **دعوته لإقامة جمعية تختص بأمور الفتاة المسلمة**. يقول الشيخ في ذلك: (فأحسن طريقة أراها لتنفيذ ما عرضناه في هذا الكتاب هي أن تؤسس جمعية يدخل فيها من الآباء من يريد تربية بناته على الطريقة التي شرحناها، وأن يُختار لتلك الجمعية رئيس من كبار المصريين ولا أظن أن الطبقات العليا من أهل بلادنا تخلو من واحد منهم وأن يكون عمل هذه الجمعية في أمرين:

الأول: التعاون على تربية البنات على هذه القاعدة الجديدة.

والثاني: السعي لدى الحكومة في إصدار القوانين التي تضمن للمرأة حقوقها بشرط أن لا تخرج في شيء من ذلك عن الحدود الشرعية، ولكن بدون أن تتقيد بمذهب من المذاهب، بل تأخذ من كل منها ما هو موافق لحاجتنا الحاضرة وضرورات عصرنا، فإذا تشكلت هذه الجمعية يخف اللوم عن كل واحد من أعضائها، فإن قوة الانتقاد تأتي متوزعة على جملة من الأفراد فيسهل احتمالها ومقاومتها، فلا يكون من شدة الانتقاد ما يبعث على فتور الهمة وضعف الإرادة عن العمل، لأن في قوة الجماعة من الاقتدار على المدافعة ما ليس في قوة الفرد الواحد، والاجتماع هو القوة الحقيقة التي بدونها لا ينجح شيء). [(١)]

٨ - **دعوته لإقامة جمعية تهتم بنشر التعليم**. يقول الشيخ: (وُجُوب العناية بتأسيس المدارس لنشر التعليم الأهلي في جميع طبقات الأهالي، وإن ذلك يتوقف على تأسيس الجمعيات الخيرية في كل لواء من ألوية كل ولاية، لأجل تعليم أولاد الفقراء بغير أجرة، وتعليم أولاد الأغنياء بالأجرة). [(٢)]

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٦٩/٢.

(٢) المرجع السابق، ٩٣٦/١١.

٩-الدعوة الى جمعية لدعوة غير المسلمين. يقول الشيخ: (وها نحن أولاء نرى كثيرا من المسلمين يأخذون علوم الإسلام عن المستشرقين من الإفرنج، وبدءوا يقلدون دولة الولايات المتحدة في أمريكة بالدعوة إلى ترك شرب الخمر، إن الإفرنج ولا سيما أولي التربية الحرة الاستقلالية منهم يقربون من الإسلام يوما بعد يوم، وإنما يرجى اهتداؤهم به في أقرب وقت بتأليف جمعية غنية، لنشر دعايته في أوربة وأمريكة وهذا ما كنا شرعنا فيه منذ بضع عشرة سنة، إذ أنشأنا جمعية الدعوة والإرشاد، ومدرسة الدعوة والإرشاد لها). [1] ودعوة الشيخ هذه الآن موجود ومراكز دعوة الجاليات والمراكز الإسلامية ماهي إلاّ تطبيق لهذه الفكرة التي راودت الشيخ وهي تثبت نجاحها يوماً بعد يوم في نشر الدين الإسلامي في الأرض.

١٠ - دعوته لإنشاء جمعية تهتم بالزكاة. يقول الشيخ: (فالواجب على دعاة الإصلاح فيهم أن يبدؤوا بإصلاح من بقي فيه بقية من الدين والشرف بتأليف جمعية لتنظيم جمع الزكاة منهم، وصرفها قبل كل شيء في مصالح المرتبطين بهذه الجمعية دون غيرهم، ويجب أن يراعى في نظام هذه الجمعية أن لسهم المؤلفة قلوبهم مصرفا في مقاومة الردة والإلحاد، وأن لسهم فك الرقاب مصرفا في تحرير الشعوب المستعمرة من الاستعباد إذا لم يكن له مصرف تحرير الأفراد، وأن لسهم سبيل الله مصرفا في السعي لإعادة حكم الإسلام، وهو أهم من الجهاد لحفظه في حال وجوده من عدوان الكفار، ومصرفا آخر في الدعوة إليه، والدفاع عنه بالألسنة والأقلام، إذا تعذر الدفاع عنه بالسيوف والأسنة وبألسنة النيران، ألا إن إيتاء المسلمين أو أكثرهم للزكاة وصرفها بالنظام، كاف لإعادة مجد الإسلام، بل لإعادة ما سلبه الأجانب من دار الإسلام، وإنقاذ المسلمين من رق

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٣١٦/١٠. ومجلة المنار، رشيد رضا، ١٠/ ٣١٦.

الكفار، وما هي إلا بذل العشر أو ربع العشر مما فضل عن حاجة الأغنياء، وإننا نرى الشعوب التي سادت المسلمين بعد أن كانوا سادتهم يبذلون أكثر من ذلك في سبيل أمتهم وهو غير مفروض عليهم من ربهم). [١] وهذه الفكرة بإنشاء هذه الجمعية فكرة قوية في مضمونها وسهلة التطبيق لأنها المجتمعات بالزكاة.

١١ - دعوته لإقامة جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين. وتتضح من خلال رسالة أرسلها له رئيسها بعد إقامتها يقول فيها: (بسم الله الرحمن الرحيم، معدن الفضل، وينبوع الحكمة، فضيلة العالم العلامة، والأستاذ الجليل، السيد رشيد رضا، كلأته العناية، تحية من عند الله مباركة طيبة، وبعد فإن لي الشرف الأعظم الأثيل أن أحيط فضيلتكم علما أن الحكومة السنية مدد الله مداها، قد لبت طلب الشعب الحجازي في تأسيس جمعية يوكل إليها أمر المطالبة بأوقاف الحرمين، وإذ قد اعترف رسميا بهذه الجمعية بعد أن بلغت تصديق نظامها الذي اعتزمت السير بمقتضاه نحو الغاية الجليلة التي أسست من أجلها، أجمع رأي الهيئة الإدارية المدون بمحضرها رقم ٤ وتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٣٥٠هـ.... هذا ولم يفت الجمعية بهذه المناسبة أن تبدي لشخصكم الكريم عظيم شكرها وخالص امتنانها على تلك النفثات العبقرية التي تضوعت من خلال مقال نشر لكم على صفحات صوت الحجاز في موضوع أوقاف الحرمين الشريفين.... وإذ تعظم الجمعية لفضيلتكم أيادي أسديتموها، ومننا أوليتموها.... تولى الله الجميع بعونه، وعين عنايته وتوفيقاته والسلام........ توقيع ٢٠/١٢/١٣٥٠هـ.... رئيس الجمعية). [٢]

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٠/٤٤٤.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٢ / ٢٩٣، وهو خطاب من رئيسها في ذلك الوقت: الأستاذ الشيخ عبد الله الشيبي.

ويقول الشيخ راداً عليه مبيناً دعوته إلى إقامة هذه الجمعية: (إنه ليسرني تأليف هذه الجمعية، وأعدها بكل ما تكلفني إياه من مساعدة أقدر عليها، وأحث كل مسلم مخلص لدينه، ومحب لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولجيرانهما في حرميهما على مساعدتها، ولعلي أول من فكر في مسألة البحث عن أوقاف الحرمين العامة والخاصة بمصارف معينة، والمطالبة بها لأجل إيصال ريعها إلى مستحقيها، وأول من دعا إلى ذلك السعي بعد استيلاء الملك عبد العزيز السعودي على الحجاز، وقد كلَّمته بهذا عند وضعي للمباحث التي يجب بحث المؤتمر الإسلامي العام فيها، وكنت أرى أنه يجب أن يوضع عامئذ مثل ما وضع في هذا العام من النظام وتأليف اللجان لهذا العمل، ولكن المرض الذي كاد يقضي علي، ثم ما كان من شغب وفد جمعية الخلافة في المؤتمر الذي كاد أن يقضى عليه والاشتراك في معالجته قد حالا دون هذا وغيره مما كنت عازمًا على السعي لنهوض المؤتمر به تقريرًا وتنفيذًا). (١)

كما كان لحكومة المملكة العربية السعودية دور بارز في ذلك، حيث صدر في عام ١٣٥٠هـ، نظام يعنى بالمطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين بالطرق الممكنة المشروعة في أي جهة كانت عن طريق إنشاء جمعية مختصة في هذا الأمر مقرها مكة المكرمة والمدينة المنورة، وسميت جمعية المطالبة بأوقاف الحرمين الشريفين، وقد نشر النظام في الصحف الصادرة في تلك الفترة وينحصر دورها في تحصيل مبالغ تلك الأوقاف وإيصالها إلى مستحقيها والذي يظهر أن الجمعية لم تستمر طويلا حيث تم انشاء إدارات خاصة بالأوقاف وكذلك إدارة خاصة بشؤون الحرمين الشريفين تتولى إدارة ذلك والإشراف عليه.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٩٣/٣٢.

١٢- **جمعية الوحدة الإسلامية**. اقتراح الشيخ على الجمعيات الإسلامية في إندونيسية وغيرها تأليف جماعة من رؤساء الجمعيات الإسلامية على اختلاف أنواعها والعاملين من أعضائها، ومن علماء الدين العارفين بحال الزمان وأهله ومعارفه في الجملة وغيرهم من الزعماء وعقلاء الأغنياء، باسم جماعة الوحدة الإسلامية.

مبادئها: أركان النجاح لكل مشروع عام: الإخلاص والتقوى والثبات والنظام.

مهمتها: تنظر هذه الجماعة في جميع المصالح الإسلامية العامة في الأمة وتقرر ما يجب عليها عمله فيها، وتسعى لتنفيذه من طرقه المشروعة، وأول ما يجب عليها البدء به ما يأتي:

الأول: تكوين رأس مال ثابت لهذه المصالح، لا يقوم عمل ويثبت إلا بالمال.

الثاني: النظر في توحيد التربية الإسلامية والتعليم الديني والمدني في البلاد من نواحيه كلها، النظام والعلوم والمناهج والكتب والمعلمين.

الثالث: النظر فيما ينشر بين المسلمين من دعوتهم إلى الإلحاد والإباحة، أو تبديل دينهم أو الابتداع فيه.

الرابع: النظر في وسائل تعميم لغة القرآن.

الخامس: أن تتولى هذه الجماعة أمر التواصل والتعاون مع الجماعات الإسلامية الموافقة لها في شيء من أعمالها، والمؤتمرات الإسلامية التي تعقد آنا بعد آن في الأقطار الإسلامية.

السادس: أن تعنى بإصلاح ذات البين في كل ما يقع من الشقاق بين الجماعات الإسلامية أو الزعماء في البلاد مع موادة الجميع.

السابع: أن تعنى بمسألة الدعاية والنشر لما تقرره وتسعى إليه. [1]

١٣ – جمعية الشبان المسلمين. من الجمعيات التي لها دور بارز في ميدان الدعوة الإسلامية جمعية الشبان المسلمين والتي ظهرت في فترة كانت الدعوة الإسلاميّة في أشد الحاجة إلى شبان يعتنقون مبادئها ويردون عنها تلك الهجمات الشرسة من كل أعداء الإسلام الذين استطاعوا الاطباق على ديار الإسلام في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ولم يكن على ساحة الدعوة حينذاك سوى بعض الجمعيات. ولقد كان تأسيس تلك الجمعية كرد فعل لجمعية الشباب المسيحية التي أنشئت عام ١٩٢٧م، بدأت الفكرة الأولى لإنشاء الجمعية لدى مجموعة من ذوي الغيرة الدينية والحماس الاسلامي. [2]

يقول الشيخ عنها: (أحمد الله تعالى أن وفق المسلمين في مصر إلى تأليف هذه الجمعية التي يرجى أن تكون على تأخرها عن أخوات لها في بلاد أخرى هي الرأس لهن وهن أعضاؤها، وأن تكون مصر هي الدوحة الباسقة لهن وهن فروعها، ولم يسرني تأليف جمعية بعد جماعة الدعوة والإرشاد كتأليف هذه الجمعية التي طال تفكري في شدة حاجة المسلمين إليها وتحدثي مع أهل الرأي في السعي لها، وقد مكثت سنين أبحث عن تاريخها وتطورها وتعاليمها السرية، وعز علي أن أختار طائفة تنهض بتأسيسها ثم تقوم بأعبائها..... وهل يمكن لنا تأليف جمعية للمسلمين كجمعية الشبان المسيحيين مع مراعاة

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٦١٧/٣٣.

(٢) أمثال: محمد الخضر حسين شيخ الأزهر فيما بعد والشيخ عبد العزيز جاويش، وأحمد تيمور باشا، والسيد محب الدين الخطيب، والدكتور عبد الحميد سعيد، والدكتور محمد أحمد الغمراوي، وجمع غفير من الشباب اجتمعوا في يوم الجمعة، ١٥ديسمبر ١٩٢٧م. (انظر: الجمعيات الاسلامية في مصر ودورها في نشر الدعوة الاسلامية، محمد عبد العزيز داود، ص٢٠١، ط١، الزهراء للإعلام العربي).

قانونها في اجتناب السياسة أم تعارض السلطة العسكرية في ذلك؟ ثم علمت منه ومن غيره عدم الإمكان في ذلك الزمان، على أنني لم أهتد بعد عودة الحرية إلى البلاد إلى رجال ينهضون بهذا العمل الجليل، ويستقلون بهذا الحمل الثقيل، ولكل قدر أجل، فلما استعدت البلاد بتطورها له ظهر ظهورا طبيعيا بتداعي بعض شباب المدارس العليا إليه، وهم أحق وأولى وأجدر به، فلما تم تكوين أعضاء الجنين ظهر له الرأس الطبيعي القمين بتدبيره، وما كان كذلك طبيعيا فهو الذي يحيا حياة طبيعية، فتأسست الجمعية ولله الحمد، وتأسس مجلس إدارتها ولله الحمد) [1]

أغراض الجمعية فيما يأتي:

١- بث الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة.

٢- السعي لإنارة الأفكار بالمعارف على طريقة تناسب روح العصر.

٣- العمل لإزالة الاختلاف أو الجفاء بين الطوائف والفرق الإسلامية.

٤- الأخذ من حضارتي الشرق والغرب بمحاسنهما جميعا، وترك ما فيهما من مساوئ.

أهداف جمعية الشبان المسلمين :

بث الآداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة.

السعي لإنارة الأفكار والمعارف على طريقة تناسب العصر.

العمل لإزالة الاختلاف والجفاء بين الطوائف والفرق الإسلامية.

الأخذ بمحاسن حضارتي الشرق والغرب وترك ما فيها من مساوئ.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٨/ ٧٨٨، وقد نشر الشيخ نظامها الاساسي في مجلته.

العمل على تنشئة الشباب نشأة دينية وثقافية ورياضية واجتماعية وتهيئة الوسائل والظروف التي تعينه على تفهم دينه والتزود من ينابيع الإسلام الصادقة.

توثيق رابطة الإخاء والتضامن بين المركز العام والجمعيات الإسلامية على الصعيد الدولي.

التعاون مع مختلف الهيئات العلمية والثقافية والجامعات والمعاهد ونبادل الدراسات معها وإحياء التراث الفكري الإسلامي وتعهد ولائد الفكر بالرعاية وتقرير المناهج الدراسية والجوائز والإعانات. (١)

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٨/ ٧٨٨، وقد نشر رحمه الله نظامها الاساسي في مجلته.

نجاح الجمعيات الإسلامية:

لقد علق الشيخ على عمل الجمعيات الخيرية وأثرها قائلاً: (يسر كل مسلم وكل إنسان يحب الفضائل وترقي أبناء نوعه ما نالته جمعية شمس الإسلام وجمعية مكارم الأخلاق من الترقي والانتشار، أما الأولى فقد كان احتفالها الباهر بعيد جلوس مولانا السلطان الأعظم - نصره الله تعالى – سببًا في زيادة الإقبال عليها وطيران صيتها، ومن توفيق الله تعالى لها على حداثة نشأتها في هذه الديار أن حضرة الفاضل الشيخ محمد نور مؤسس المدرسة التحضيرية المشهورة وأحد أعضاء الجمعية قد تنازل لها عن هذه المدرسة بجميع أدواتها، وتلامذتها ثلاثمائة ونيف، فنقلت المدرسة من البغالة إلى محل الجمعية في أول شارع درب الجماميز، وقد شرع أعضاء إدارتها ومنهم كاتب هذه السطور بتنظيم شؤونها، وجعل التربية والتعليم فيها على منهاج الدين وسننه القويمة مع عدم الإخلال بما يقتضيه سير المدارس الأميرية، وعزمت الجمعية على إنشاء مدرسة أخرى لتعليم البنات، وكأنكم بالعمل قد ظهر وبهر بفضل الله وتوفيقه، قد ساء هذا النجاح الباهر أعداء الإسلام من المارقين والطغام فحاولوا إطفاء نور الله بأفواههم قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ الصف: ٨، أشاع أصحاب الجرائد الضلالية الذين تأبى النزاهة ذكر أسمائهم، أوأسماء جرائدهم، أن الجمعية لا ترضي الحضرة السلطانية، فقالوا كذبًا وخلقوا إفكًا، وزعموا أنه قد كان ما لم يكن، وحسبنا أن الجم الغفير وفي مقدمتهم فضيلة شيخ الأزهر وسعادة محافظ العاصمة يعلمون أن ما قيل كذب إن كان قد بلغهم، ويكفينا أن المؤيد أصدق الجرائد في حب الدولة قد ذكر خبر الاحتفال كما شاهده صاحبه الفاضل ونشر معظم خطبة منشئ هذه المجلة، وفيها الثناء على مولانا الخليفة نثرًا ونظمًا، ولسنا نقصد بهذه الكلمات الرد على الجرائد الضلالية، لأنهم أقل من أن يرد عليهم، ولكن نحب أن يعلموا أن الجمعية لم تحتفل بعيد الجلوس، وتجتهد في خدمة الأمة والملة لأجل جزاء

تتوقعه من مولانا السلطان فيهمها سعايتهم وأكاذيبهم، وإنما هي مندفعة إلى خدمة الملة بدافع الواجب الديني، وابتغاء مرضاة الله تعالى). [(١)]

هذه بعض الجمعيات التي اسسها او ساهم فيها الشيخ في حياته والتي كان لها الأثر البارز في الدعوة الى الله تعالى بأسلوب عصري جديد ظهر لنا نجاحه فيما نلمسه اليوم من جهود بارزة في الاعمال الدعوية الجماعية والتي تقوم على مبدأ التعاون في قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾المائدة: ٢ .

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٨/ ٧٨٨.

المبحث السادس

مراسلة الحكام والنصح لهم

إن حكمة الله تعالى قد اقتضت أن تتألف الأمم من حاكمين ومحكومين، وأن كل فريق له حقوق وعليه واجبات، وأن الأمم لا تصلح بدون حاكم يحكمها ويرعى شئونها، ويحق الحق ويبطل الباطل وصلاح الأمة مطلب عظيم يحقق لها سعادتها والحكام بيدهم السلطة ومتى حرص العلماء على صلاحهم ومناصحتهم كان ذلك سببا لصلاحهم ومن ثم صلاح الأمة فالله سبحانه يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن ففي السنة المطهرة قال صلى الله عليه وسلم: ((الدين النصيحة، قلنا: لمن قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولائمة المسلمين وعامتهم))[1]. ودور العلماء مع الحكام مناصحتهم في السر والعلن والمشاركة في اتخاذ القرارات المصيرية للأمة يقول الشيخ: (وقد جرت سنة الأنبياء والمرسلين والسلف الصالحين على الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن كان محفوفا بالمكاره والمخاوف، وكم قتل في سبيل ذلك منهم من نبيٍ وصديقٍ فكانوا أفضل الشهداء.... وقد ورد من تصدي علماء السلف لنصيحة الملوك والأمراء الظالمين وإيذاء هؤلاء لهم وسفكهم دماء بعضهم ما يرد شرط أولئك المشترطين للأمن عليهم ويضرب به وجوههم، ولا ينافي هذا كون التوقي من الهلكة واجبا لذاته في هذه الحالة، كما يجب في حال الجهاد بالسيف، فلا نترك الدعوة إلى الخير ولا الجهاد دونه خوفا على أنفسنا وحرصا على الحياة الدنيا، ولا نفرط بأنفسنا في أثناء دعوتنا وجهادنا فيما لا تتوقف الدعوة ولا حمايتها عليه. وقد يكون أكثر ما يصيب الداعي إلى الخير من الأذى ناشئا عن

---

(١) صحيح مسلم، ١/ ٧١، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم الحديث(٥٥).

طريقة الدعوة وكيفية سوقها إلى المدعو ولا سيما إذا كان مسلما وكانت الدعوة مؤيدة بالكتاب والسنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾النحل: ١٢٥).[١]

ويقول الشيخ عن أهمية هذين الصنفين للأمه: (العلماء والحكماء من مجموع الأمة بمنزلة العقل المدبر والروح المفكر من الإنسان، فصلاح حال العلماء والحكام يصلح حال الأمة، وفساد حالهما مفسد لحال الأمة بأسرها).[٢]

نماذج من مراسلة الشيخ للحكام ونصحه لهم.

١- موقف الشيخ حينما أشيع في ذلك الوقت أن الحُجاج سيُدعَون لمبايعة الشريف بالخلافة ذهب الشيخ إلى مخيم الشريف حسين [٣] في منى ونصحه بالعدول عن ذلك، وذكرّه بوعيد قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((إذا بُويِع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما))[٤] ، ويذكر الشيخ بأن الشريف حسين اعتذر له بأن ذلك من سعي بعض أنجاله وأولاده.

٢ – رسائل الشيخ إلى الملك عبد العزيز –رحمه الله– وهذه بعض منها يقول الشيخ: (ولا أزال كذلك أجاهد معكم ما دمتم تجاهدون في سبيل الله وإعزاز دينه).[٥]

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٤/٢٧.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/٤٦٢.

(٣) هو: حسين بن الحسن بن أبي نمي الثاني محمد بن بركات الثاني بن محمد، الحسني الهاشمي، من أمراء مكة، مولده ووفاته فيها، فوض إليه أبوه أمرها لما كبر، فوليها وتوفي في حياة أبيه وهو جد ذوي زيد من الأشراف (انظر: الأعلام، الزركلي، ٢/ ٢٣٥).

(٤) صحيح مسلم، النووي، ٣/١٤٨٠، باب إذا بويع لخليفتين، برقم(١٨٥٣).

(٥) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٥/٤٨٠.

وفي رسالة ثانية جاء فيها مما يقوله الشيخ: (وموضع العبرة أن الله تعالى قد استخلفكم في الأرض التي فضلها على كل أرض لينظر كيف تعلمون). [١]

ومن كتاب آخر يقول الشيخ: (وقد عاهدناكم على أن نؤيدكم ونخدمكم في إقامة السنة، وهدم البدع، وإحياء الإسلام على منهاج السلف في أمور الدين ومستحدثات الفنون العصرية في أمور الحرب والعمران). [٢]

ويذكر أحد ابناء الشيخ قائلاً: (وكان يطلعني على رسائله تربية لي وتعليمًا، ولعلي أجد فيها حرفًا ناقصًا أو زائدًا لأصلحه، وإذا وجدت فيها ما يستحق المراجعة فإنه – رحمه الله – كان يسمعها ويمضيها إذا أقرها، وإن أنس لا أنسى أني وجدت شدة في خطاب منه إلى جلالة الملك عبد العزيز، وراجعته فيها فغضب وقال لي: (يا عاصم أتريد أن تعلمني المداجاة والجبن ؟ ! اقفل المكتوب وأرسله إلى البريد، واعلم أن مزيتي عند الملك إخلاصي، وصراحتي في النصيحة، ومزيته عندي أنه يقبل النصيحة). [٣]

٣ – رسائل الشيخ للصلح، فمن أحسن ما كتب الشيخ إلى إمامي الجزيرة العربية صراحة وإخلاصًا في النصيحة، لما وقع الشقاق بين الحكومتين السعودية واليمنية قال الشيخ: (مهما يكن عليه أمر الحدود بين اليمن السعيدة والمملكة السعودية من حق سياسي أو جغرافي، فلا قيمة له تجاه الاتفاق والتحالف بين المملكتين، فكل منهما واسع

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٥/٤٨٠.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الأطراف قابل لأضعاف ما هو عليه من العمران، فلا يعذر أحد منكما بتعريضه للخراب لأجل توسيع حدوده بحق أو باطل). (١)

ثم قال يخاطب كلا من الإمامين: (إن جزيرة العرب هي تراث محمد رسول الله وخاتم النبيين للإسلام والمسلمين لا لعبد العزيز السعودي ولا ليحيى حميد الدين (٢) فاختلافكما وتعاديكما يضيع الإسلام، ولئن ضاع في جزيرة العرب فلن تقوم له قائمة في غيرها، فيجب أن تتذكرا هذه التبعة، وتتقيا الله، وتحرصا على حسن الخاتمة). (٣)

٤ – وفي موقف للشيخ مع أحد الولاة يقول: (وقد غلب على الزهد وبغض الحكام والمسرفين من أهل الدنيا، حتى كنت أنكر على من أراه منهم كل منكر يأتيه فأنكرت على والي بيروت مره إساءة صلاته وهو في مسجد السراي بطرابلس حتى لا مني على ذلك بعض العلماء الرسميين وأنكرت على كثير من رجال العدلية وغيرهم سيرتهم وحملهم الساعات الذهبية والسلاسل وغير ذلك). (٤)

٥ – موقفه من الحكام الذين يتركون فريضة الحج يقول الشيخ ناصحاً: (قد سبق لنا القول في مجلدات المنار السابقة عن حكم الحج جملة وتفصيلا، والانتقاد على ملوك المسلمين وأمرائهم أنهم تركوا هذه الفريضة.... سبق لنا في مجلدات المنار السابقة الانتقاد

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٥ /٤٨٠.

(٢) هو: يحيى بن محمد حميد الدين، ملك اليمن، من أئمة الزيدية ولد في صنعاء، وتفقه وتأدب بها، وكانت صنعاء في أيدي العثمانيين فهاجمها وحاصرها، وخلُص له ملك اليمن له اشتغال بالأدب ونظم كثير، ومن كلامه: لأن تبقى بلادي خربة وهي تحكم نفسها، أولى من أن تكون عامرة ويحكمها أجنبي. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٨/١٧٠).

(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٥/٤٨٠.

(٤) تاريخ الأستاذ الإمام، رشيد رضا، ص١٧٤.

على سلاطين آل عثمان وملوك إيران وغيرهم من أمراء المسلمين ترك فريضة الحج، ولكن لم يخطر في بالنا أن أحدا من المسلمين يقتدي بهؤلاء الملوك والسلاطين في ترك هذه الفريضة، وكذلك الأغنياء المترفون لا يصح أن يكونوا قدوة في ذلك ولا أن يكونوا شبهة من الشبهات على الحج). [١]

٦ – مناصحته لم تكن في الأمور الخاصة بدين فقط بل تعداها إلى أمور السياسة نفسها ومن ذلك أنّها أقيمت حفلة تكريم في طرابلس حضرها متصرف طرابلس وكلف الشيخ أن يلقي خطاباً يناسب المقام، فاستغل الشيخ هذا الخطاب لإظهار ما يجيش بخاطره لإصلاح حال الدولة العثمانية وحث حكامها على العدل والبعد عن الظلم والجور يقول الشيخ: (شبهت في ذلك الخطاب الشعب أو الأمة بالفرد فيها والجماعات العاملة للمصالح العامة فيها –ومنهم رجال الحكومة والدولة– بأعضاء الفرد الرئيسية، كالدماغ والقلب ومشاعر وآلات، وقلت أنهم يجب أن يكونوا سواء في الحقوق العامة والاحترام وإن كانوا يتفاضلون في العرف والاعتبار، وشبهت العاطلين الذين لا يعملون لأمتهم عملاً نافعاً من السراة وأصحاب الثراء الموروث وغيرهم، ويحتقرون الطبقات الدنيا من العاملين بقولي ولا التفات إلى سفهاء الأحلام المتكبرين بالأوهام، الذين يحتقرون الزراع، والصناع، فإنما مثل الفريقين كالأعمى والأصم والسميع والبصير والنسبة بينهما كالنسبة بين الأيدي والأرجل في البنية وبين زوائد الأظافر والشعور لو كانوا يعقلون، وكان لهذا الخطاب صدى واسع ثم أعقب بعده هذا المتصرف الذي كان من كبار أحرار الأتراك أولي التربية العالية –كما يصفه الشيخ– فسر من الخطاب وأثنى عليه قائلاً: إنني افتخر

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٦/ ٦٧٥.

اليوم بأن أعد نفسي طرابلسياً لهذه الحكمة التي سمعتها من هذا الشاب، وزاد احترامه للشيخ حتى أنه وضعه عضواً فخرياً في لجنة إصلاح المعارف وأولاه عناية خاصة). (١)

هذه بعض من نصائح الشيخ للحكام ومراسلته لهم ومن أسلوبه في التعامل معهم المتبع لطريقة السلف الصالح رضي الله عنهم مما كان له الأثر البارز في علاقته بالحكام وثقتهم في نصيحته لهم لثقتهم برجاحة عقلة وإخلاصه في النصيحة لهم وحسن مقصد الشيخ وهو ما أثار علية البعض الآخر ومما كان سببا لما تعرضت له مجلته وما تعرض له هو من أذى أكبر دليل على ذلك.

---

(١) انظر: المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٧٥.

الفصل الرابع

وسائل دعوة الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله

وفيه ثمانية مباحث:

المبحث الأول : الإفتاء.

المبحث الثاني : إلقاء الدروس والمحاضرات.

المبحث الثالث : الخطابة .

المبحث الرابع : التأليف والكتابة وتقريظ الكتب.

المبحث الخامس: إصدار مجلة المنار.

المبحث السادس: الرحلات الدعوية .

المبحث السابع : تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار).

المبحث الثامن : إنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد.

المبـــحث الأول

الإفتـــاء

التعريف

الإفتاء لغة واصطلاحاً:

الإفتاء لغة:

قال: فتى الفاء والتاء والحرف المعتل أصلان: أحدهما: يدل على طراوة وجدة، والآخر: على تبيين الحكم، وأصل الإفتاء والفتيا، تبيين المشكل من الأحكام، أصله من الفتى، وهو الشاب الحدث الذي شب وقوى، فكأنه يقوي ما أشكل ببيانه فيشب ويصير فتياً قوياً. [(١)]

والمفتي: اسم فاعل من الفعل أفتى، وهو الذي يقوم ويتصدى للفتوى ويصدرها بين الناس. [(٢)] والمستفتي اسم فاعل من الفعل استفتى، وهو الذي يقوم بسؤال المفتي ويطلب منه الجواب عليه والفتيا: مأخوذة من فَتَيَ وفتو وهي بمعنى الإبانة، يقال: أفتاه في الأمر إذا أبانه له، وأفتى الرجل في سؤاله إذا أجابه عنه، وهي الجواب عما أشكل من الأحكام، يقال: استفتيته فأفتاني بكذا ومنه قوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ﴾النساء: ١٧٦، وأصل الفتوى من الفتى، فكأنه - أي المفتي - يقوي ما أبهم بيانه

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤/٤٧٣. وتهذيب اللغة، الهروي، ١٤/٣٢٩-٣٣٠. ولسان العرب، ابن منظور، ١٠/١٨٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١٥/١٤٨. ومعجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، ص٤٥٤، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـــ- ١٩٨٨م.

وجوابه فيصبح قوياً أو يكسبها قوة كقوة الفتى، والمفتي: هو العالم إذا بين الحكم، فإذا كانت المسألة شرعية كانت الفتوى شرعية، وإن كانت المسألة لغوية كانت الفتوى لغوية، وهكذا فالاستفتاءات الشرعية هي المتعلقة بمسائل يطلب حكم الشرع فيها. (١)

تعريف الإفتاء اصطلاحاً:

الفتوى هي: حكم الشرع الذي يخبر عنه المفتي بإفتائه. (٢)

وقيل هي: الجواب عما يشكل من الأحكام. (٣)

والمفتي هو: المخبر بحكم الله تعالى لمعرفته بدليله. (٤)

الفتوى هي: الإجابة في المسألة. (٥)

وقيل هي: الإخبار بحكم الله تعالى باجتهاد، عن دليل شرعي، لمن سأل عنه في أمر نازل. (٦)

وجميع التعاريف متقاربة واجمعها هو: الجواب عما يشكل من الأحكام. لأنه يشمل المفتي والمستفتي وموضوع الفتوى، وهو سهل العبارة واضح المضمون.

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ٤١١/٣، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) انظر: صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، أحمد بن حمدان النميري الحرّاني الحنبلي، ص٤، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٣٩٧هـ.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص٣٧٣، تحقيق محمد سيد الكيلاني، ١٣٨١هـ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

(٤) انظر: صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، النميري، ص٤.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، ص٦٩١.

(٦) انظر: الفتيا ومناهج الافتاء، محمد سليمان الأشقر، ص٣١، مكتبة المنار الإسلامية، ط١، ١٩٧٦م.

فالإفتاء منصب عظيم يتصدى صاحبه لتوضيح الأحكام الشرعية وتعليم الناس أمور دينهم، وإرشادهم إلى الحكم الشرعي فيما يستفتى عنه، وهي وسيلة بيان الأحكام الشرعية للناس فهي بذلك وسيلة دعوية مهمه وتطلب من صاحبها شروطاً تجعله محل استجابة المستفتي لما يصدر منه.

فالمفتي يأتيه الناس على تعدد أصنافهم فتكون له فرصة عظيمة ينبغي استغلالها لدعوة الى الله بالتعريف بأمور الدين، والترغيب والترهيب أو بما يراه مناسباً من الأساليب الدعوية حسب حال المدعو، وشخصية مثل الشيخ محمد رشيد رضا بما عرف عنه من فقهه، فقد جمعت فتاويه في ثلاث مجلدات مقسمة على سته أجزاء ومفهرسه فهرس رقمي، سميت باسمه اشتملت على (١٠٦١) ألف وواحد وستون فتوى، يقول الجامع لها أنها استغرقت منه ثلاث سنوات من العمل الدائب والمتواصل. [١] واشتملت على خصائص مميزة تميزها عن كتب غيره من معاصريه أنّها تحتوي على آرائه الفقهية في النوازل العصرية التي افتى فيها الشيخ وقد جمعت هذه النوازل في مائة وسبع مسائل. [٢] تهم العالم المسلم والمجتمع المسلم بشكل عام بجميع طبقاته يتبين للقارئ لها مدى علمه وفقه الشيخ ودقة الاستدلال واستنباط الأحكام عنده.

وقد بدأ الشيخ بهذه الفتاوى في مجلته المنار من المجلد السادس، تحت عنوان: باب السؤال والفتوى، ومن المجلد التاسع في المجلة، بدأ يذكر في رأس الباب قائلاً: (فتحنا هذا

---

(١) انظر: فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، جمع صلاح الدين المنجد ويوسف خوري، ص٢٥٧.

(٢) انظر: اختيارات الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله في النوازل العصرية جمعاً ودراسة، عبد الرّحمن غرمان العمري، رسالة دكتوراه، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، غير منشورة، ٢/٧٧٣-٧٨٧.

الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة. ونشترط على السائل أن يبيَن لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله –وظيفته– وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف إن شاء...)(١)

وقد أطلق على هذا الباب اسم: فتاوى المنار.

ويتضح من فتاوى الشيخ في مجلة المنار أن الشيخ كانت غايته توضيح الأحكام الشرعية في أمور كثيرة يحتاج إليها المسلمون في حياتهم اليومية و من هذه الأمور ما هو ديني بحت يتعلق بالعبادات، ومنها ما هو متعلق بالمعاملات، وكثير من هذه المعاملات مما أوجده هذا العصر، نتيجة لاحتكاك المسلمين بالغرب، وتقليدهم إيَاه في كثير من الأشياء، أو نتيجة للأمور الحضارية المستحدثة التي دخلت على العالم الإسلامي، فمن هذه الناحية تكون الفتاوى مرآة تعكس حاجات المسلمين العصرية إلى فهم أمور كثيرة من دينهم لم يضع لها العلماء الأقدمون حلولاً، لأنها لم تكن واقعة في الماضي.

وقد اتبع الشيخ في هذه الفتاوى نهجاً واضحاً: هو الاعتماد على القرآن الكريم والسنة النبوية قبل كل شيء.

وقد أراد بنهجه هذا أن يدل على مرونة الإسلام وموافقة أحكامه لكل عصر، وكان يراعي في الإجابة على المسائل المدنية والوقائع المستحدثة التي لم تكن في العصر الأول للإسلام: نص الشارع وحكمة التشريع، والقواعد العامة ولاسيما القطعي منها كاليسر، ودفع الحرج، والعنت، ونفي الضرر والضرار، وجلب المصالح، ورفع المفاسد. (٢)

---

(١) مجلة المنا، رشيد رضا، ٥٣٨/٩.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٤٨/٢٢.

والأسئلة كانت ترد عل الشيخ من جميع الأقطار الإسلامية تقريباً حتى البعيد منها وظل الشيخ متابعاً فتاواه حتى وفاته، عام١٩٣٥م.

ورغم مضي أكثر من نصف قرن على هذه الفتاوى، فإن كثيراً من المسلمين اليوم ما يزالون يسألون عن المشكلات التي سئل عنها الشيخ في أيامه. [(١)]

(١) انظر: فتاوى الامام محمد رشيد رضا، صلاح الدين المنجد، ٢٣-٢٤.

المبحث الثاني

إلقاء الدروس والمحاضرات

الدروس

تعريف الدروس:

هي الحلقات العلمية التي تقام في المساجد، يتعلم فيها الناس أصول الدين وفروعه ومتطلباته، في العقيدة والأحكام والتفسير والحديث واللغة وسائر العلوم الشرعية وما يلحق بها. (١) وهذه الدروس هي الأنفع والأبقى، والتي يمكن للشيخ أن يربي تلاميذه فيها على عينه ويتأثرون بسمته ويجيزهم باطمئنان.

وقد أثبتت التجارب عبر تاريخ الإسلام الطويل أن الدروس العلمية الشرعية، هي الطريقة التربوية الأسلم في نشر الدين وتعليم الناس، وتفقيههم في الدين، وكانت أعظم وسائل العلم والتعليم والتربية عند السلف الصالح، ولا تزال أفضل الوسائل لذلك.

وعلماء الأمة هم معلموها، ويجب أن يتصدروا الدروس الشرعية في كل مكان، والدروس في المساجد بخاصة.

ولدروس العلماء في المساجد خصائص تميزها منها:

١ - أنه يتحقق فيها معنى مجالس الذكر أكثر من غيرها، حين تكون في بيت من بيوت الله وهو المسجد، وتحضرها الملائكة، ويباهي الله بأهلها ملائكته.

---

(١) انظر: أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، ناصر بن عبد الكريم العقل، ١/٢١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٨هـ.

٢ – أن المتلقي في المسجد يشعر بشيء من الطمأنينة والسكينة والهدوء والسمت أكثر من أي مكان آخر.

٣ – أن الناس في المساجد يكونون أكثر التزاما للأدب والإنصات واحترام المكان والحضور.

٤– جلوس المتلقي في المسجد يجعله أكثر استعدادًا لقبول العلم حين يشعر أنه في مكان الصلاة، والأصل أن يكون على طهارة ويحافظ على ذلك. [١]

وفي الجملة فإن الدروس هي التي تربي طلاب هذه العلم، لأن الدروس تتسم غالبا بالاستمرارية، والأصل في طلاب الدروس الملازمة للشيخ، وتلقي العلم عنه مقرونًا بالعمل والأدب والسمت، يمكن لطالب ذلك بسهوله.

ولقد اتخذ الشيخ من قريته الصغيرة ميداناً لدعوته فكان يلقي الدروس والخطب في المسجد بطريقة سهلة بعيدة عن السجع الذي كان يشيع في الخطب المنبرية آنذاك، وكان أهم المواضيع التي يطرقها في دروسه آيات من القرآن يحسن عرضها على جمهوره، ويبسط لهم مسائل الفقه، ويحارب البدع التي كانت شائعة بين أهل قريته، ولم يكتف الشيخ بمن يحضر دروسه في المسجد، فذهب هو إلى الناس في تجمعاتهم في المقاهي التي اعتادوا على الجلوس فيها، ولم يخجل من جلوسه معهم يعظهم ويحثهم على الصلاة، وقد أثمرت هذه السياسة المبتكرة، فأقبل كثير منهم على أداء الفروض والالتزام بالشرع والتوبة والإقبال على الله، وبعث إلى نساء القرية من دعاهن إلى درس خاص بهن، وجعل مقر

(١) انظر: المرجع السابق، /٢٢-٢٣.

التدريس في دار أسرته، وألقى عليهن دروسا في الطهارة والعبادات والأخلاق، وشيئا من العقائد في أسلوب سهل يسير. (١)

وكذلك كان يلقي الدروس في المدارس حسب طلب أصحابها ومنها ما نقله الشيخ بقوله: (قد انتدب الفقير منشئ هذه المجلة صديقه الفاضل.... ناظر المدرسة العثمانية بأن يلقي في القسم الليلي الذي افتتح في المدرسة دروسا في الدين واللغة والمناظرة، أما درس الدين فبيان حقيقته وكيفية إسعاده للبشر، وأما درس اللغة فهو عمل يخرج به المتعلم كاتبا خطيبا، وأما المناظرة فيتقدم العمل فيها دروس في فن المنطق وآداب البحث، وقد شرعنا في هذه الدروس فعلى الراغبين أن يبادروا والله الموفق). (٢)

كما كان أيضاً يلقي دروسه في الجمعيات الإجتماعية ومن ذلك ما أورده في مجلته يقول: (قرر مجلس إدارة جمعية شمس الإسلام باتفاق الآراء انتداب هذا العاجز منشئ المنار لإلقاء دروس دينية في الاجتماع العمومي الأسبوعي للجمعية، فتلقيت أمر المجلس بالامتثال، بل أديت فرضا علي لأمتي وملتي، وكان إلقاء الدرس الأول في ليلة الاثنين الماضية، وبعد الفراغ منه اقترح علي وكيل الرئيس أن أنشر ملخص هذه الدروس في المنار ليكون تذكرة للإخوان، ولينتفع به من لم يحضره، لاسيما شعب الجمعية في خارج القاهرة، ورأيت الحاضرين ارتاحوا لهذا الاقتراح، فتلقيته بالقبول، وهاؤم اقرءوا ملخص الدرس الأول....). (٣)

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، المقدمة. والمنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٩٥.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/١٤٠.

(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/ ٤٣٨.

كما نظم للنساء دورساً في دار أسرته قبل رحيله لمصر وحملهن على الزي الساتر وعلى الصلاة فيقول الشيخ: (ولم أخص الرجال دون النساء بل أرسلت إلى نساء القرية من يدعوهن إلى درس خاص بهن في دارنا القديمة فكنت ألقي إليهن القول في العقائد وأحكام الطهارة والعبادات بعبارة عامية سهلة بدون كتاب وألزمتهن تغيير زيهن في اللباس بما هو أستر وأطهر بحيث تكون المرأة في الشارع في حال أداء الصلاة). [١]

ومن الملاحظ أنه كان ينشر أغلب دروسه في مجلة المنار لتمام الفائدة مما يعتبر جزءًا من جهوده في اقامة الدروس العلمية.

المحاضرة.

تعريف المحاضرة:

هي: عبارة عن معلومات مرتبة يلقيها المحاضر لتعالج موضوعاً معيناً ولها طابع خاص لا يحتاج للتحسين والانفعال، لأن أساسها الدليل العلمي الواضح، ويجتهد المحاضر في السيطرة على المستمعين بمقدمة مرتبة جيدة تشد انتباههم وبنتيجة نيرة يخرجون منها بفائدة مرجوة، وقد يحتاج المتكلم أثناء محاضرته إلى خرائط ورسوم وهي وسائل إيضاح لها أثرها في نفوس الحاضرين وإقناعهم. [٢]

وهي تختلف عن الموعظة، لأن الناس جاءوا مستعدين، وكذلك تبنى على حقائق علمية مع طول وقتها وإشباع موضوعها وما قد يصاحبها من مداخلات وأسئلة في الغالب تطرح على المحاضر، مما يتطلب من المحاضر استعدادا علميا وذهنيا ونفسيا.

---

(١) المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٧٧.

(٢) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله تعالى، ابراهيم الجنيدلي، ص٤٢٩-٤٣٠، الجامعة الاسلامية بالمدينة، رسالة دكتوراه غير منشورة.

وللمحاضرة خصائص منها:

اختيار الموضوع المناسب لحال المدعوين، وأنسب ما يكون موضوع العقيدة لأهميتها في حياتهم، ثم ما يجهله الناس من أمور دينهم وحياتهم وما يجد عليهم.

يجب أن يكون الموضوع مدروساً دراسة وافية مستفيضة محللاً إلى عناصر بارزة وخطوات واضحة، تنتهي هذه العناصر بنهاية يحسن السكوت عليها.

أن يستدل لكل عنصر من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ذكر المراجع، لأن مقام المحاضر مقام بحث وتمحيص.

الابتعاد عن المحسنات اللفظية والكلمات الإنشائية المترادفة.

ربط المحاضرة بعضها ببعض فيما يخدم العقيدة والدعوة عموماً.

أن يكون المحاضر حليماً متودداً ورفيقاً، وذلك استعداداً للمناقشة والمعارضة من الحاضرين. [١]

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (التلطف في القول، والرفق في المعاملة، وهذا أول ما يتبادر إلى الفهم من قوله تعالى: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾النحل: ١٢٥، والقرآن يبين هذا في مواطن كثيرة وآيات متعددة إقرأ إن شئت قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ سبأ: ٢٤ – ٢٥، فما بعد هذا التلطف فج يسار فيه، ولا وراء هذا الرفق غاية ينتهى إليها والسر فيه أن النفوس جبلت على حب الكرامة وتربت في الغالب على الرعونة ونشأت على التقيد بالعادة فمن رام الخروج بها عن عادها وصرفها عن غيها إلى رشادها و لم يمزج مرارة الحق

(١) انظر: منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله تعالى، الجنيدلي، ص٤٢٩-٤٣٠.

بحلاوة الرفق، و لم يصقل خشونة التكليف بصقال القول اللين اللطيف كان إلى الانقطاع أقرب منه إلى الوصول ودعوته أجدر بالرفض من القبول وإن أردت الدليل الصريح من القرآن على تأييد هذا البيان فاتل قوله تعالى: لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه: ٤٤، فهو ينبئك بأن لين القول محل رجاء التذكر والمعد للنفوس للخشية والتصبر ومن هنا تفهم السر في حماية الأنبياء عليهم السلام من العاهات المنفرة. وجعلهم أكمل الناس آدابا وأخلاقا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ آل عمران: ١٥٩). [(١)]

يقول الشيخ عن نفسه مبينا طريقته في إلقاء دروسه ومحاضراته: (لا أذكر في دروسي هذه من مسائل الخلاف إلا ما عساه يتوقف عليه فهم المتفق عليه، ولا أخوض في شُبَه المبتدعة لئلا يعلق منها شيء في الأذهان الضعيفة فيفسدها ويميتها، فقد علمنا ما فعل ذلك بمن قبلنا ممن كانوا خيرًا منا علمًا وعملاً بحيث لا تقاس علماؤنا في الغالب بعامتهم، فضلاً عن أن نقيس دهمائنا بدهمائهم، ونسائنا بنسائهم، بل لا يجوز لأحد سرد تلك الأقاويل المفرقة والشُّبَه المضللة على العامة، من أحب الوقوف على مسائل الخلاف فعليه أن يتبع قوة الدليل إن كان من أهل النظر، وإلا فليقلد الجمهور الأكبر، ولا يكفرن من خالفه فيما اعتقده، ولا يجعلن الخلاف مانعًا من أخوته الإيمانية، وإذا ذاكره أو كاتبه في ذلك فليسلك معه مسالك الإخوة في مذاكرهم بمصالحهم ومنافعهم). [(٢)]

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣/٤٨١، من مقالة له بعنوان: الدعوة وطريقها وآدابها.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢/٤٧٥.

ويقول الشيخ: (محاضرتنا التي ألقيناها في شهر رمضان في مسألة التجديد والمجددين وهي مهمة جدًّا ألقمنا فيها أدعياء التجديد الإلحادي الحجر، وكان لمجددي الإصلاح الإسلامي بها الظفر، وقد حضرها بعض علماء أوربة من المستشرقين فاستحسنوها، وشهدوا لنا بالاعتدال فيها). [١]

وكان الشيخ يلقي العديد من المحاضرات في المناسبات المختلفة إما للإنكار كاحتفالات الموالد والبدع والتي يقول فيها في معرض حديث الشيخ عنها: (وقد ألقيت أنافي هذه المجامع عدة خطب ودروس مما يسمونه بالمحاضرات). [٢]

وكان الشيخ يحرص على زيارة الجمعيات ويلقي بها العديد من المحاضرات منها محاضراته في جمعية الدعوة والإرشاد و محاضراته في جمعية مكارم الأخلاق وجمعية الشبان المسلمين، وغيرها من الجمعيات. [٣] ومنها محاضرة ألقاها في احدى الجمعيات بعنوان: التجديد والتجدد والمجددون، في إحدى ليالي رمضان سنة ١٣٤٨هـ . [٤]

وكان في جميع رحلاته يحرص على إلقاء المحاضرات والدروس في البلدان التي يزورها فقد زار سوريا والقى فيها العديد من الدروس والمحاضرات وكذلك في رحلته الى الهند والتي مرّ خلال عودته منها بسلطنة عمان ودولة الكويت وكان له بها العديد من الدروس والمحاضرات الخاصة والعامة وكذلك عند زيارته الأولى للحجاز اثناء حكم الشريف

(١) المرجع السابق، ٣٠/ ٧٩٨.
(٢) المرجع السابق، ٣٣/٦٧٠.
(٣) انظر: المرجع السابق، ٣٢ /٦٣و٣٤/ ٦٠٧.
(٤) انظر: المرجع السابق، ٣١/٧٧٠.

حسين وقت أدائه لفريضة الحج، ثم في رحلته الثانية الى سوريا، ثم اثناء زيارته الثانية للحجاز بعد ان دخلت تحت حكم الملك عبد العزيز آل سعود. [1]

وقد نشر كل محاضراته أو أغلبها في مجلة المنار رغبة منه في الاستفادة منها والتي احتوت على كم كبير جداً من المحاضرات التي ألقاها الشيخ وهي تعتبر مرجع كبير لمن اراد الاستفادة منها لأنه يكتب المحاضرة أو الدرس بكاملها فتكون متكاملة الجوانب يمكن الاستفادة منها بدون تكبد عناء البحث عن أجزاء أي محاضرة منها في هذه المجلة الكبيرة وهذا ينطبق على اغلب محاضرات الشيخ ودروسه وخطبة ومناظراته.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١٩ /٣٠٧ و٤٦٦ و٥٦٣ و٢٠ /١٠٨ و١٥٠ و١٩٢ و٢٣٦ و٣١٦، و٣٥٢.

المبحث الثالث

الخطابة

التعريف

تعريف الخطابة.

الخطابة لغة:

مصدر خطب، والخطبة: اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر والخطبة عند العرب[١] هي: الكلام المنثور المسجوع، وخطبت على المنبر خُطبة بضم الخاء وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً وخطبت المرأة خِطبة بالكسر، والخطيب: الخاطب[٢] والخطبة والمخاطبة والتخاطب: المراجعة في الكلام، ومنه الخُطبة والخِطبة، لكن الخُطبة تختص بالموعظة، والخِطبة بطلب المرأة . [٣]

الخطابة شرعاً:

جاءت بعدة معاني منها:

عرفت أنّها: قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة. [٤]

وقيل هي: فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته. [٥]

---

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٦١/١.

(٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١٢١/١، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م.

(٣) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص١٥٠.

(٤) انظر: تلخيص الخطابة، ابن رشد، ص ٢٤.

(٥) انظر: فن الخطابة، أحمد الحوفي، ص٥، دار الفكر العربي، ط ٤.

وقيل هي: فن مشافهة الجمهور للتأثير فيهم واستمالتهم. (١)

وهذه التعاريف متقاربة ترتكز على الخطيب ومهارته والجمهور ومدى اقتناعهم وتأثرهم بكلامه.

اهتمام الشيخ محمد رشيد رضا بالخطابة.

الخطابة للداعية كالمصباح ينير الطريق ويكشف الدرب قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾إبراهيم: ٤، يقول الشيخ: (إن الطريقة المثلى لإبطال منكرات الموالد وغيرها إنما هي طريقة الوعظ والتعليم، وقلنا: إن ذلك على ثلاثة ضروب: الخطابة وقراءة علم الأخلاق والآداب وسلوك طريق التربية عملاً وتحققًا وهو المعبر عنه بالتصوف ولا شك أن هذه الثلاثة لو أعطيت حقها من العناية لنهضت الأمة نهضة الأسود، فاستردت مفقودًا، وحفظت موجودًا، وبعثها الله مقامًا محمودًا هذه الثلاثة هي الأركان التي قام عليها بناء الإسلام، وحفظ مجده بمراعاتها إلى أجل مسمى، وما انثلمت هذه الأركان في مكان إلا انثلم شرف الإسلام، وما تقوض صرح عزة في قطر إلا بعد أن تقوضت هذه الأركان الثلاثة، يشهد بهذا تاريخ هذه الأمة لمن نظر بعين التأمل والاعتبار). (٢)

ويقول الشيخ في شأنها: (الخطابة: ركن من أركان العبادة في الديانة الإسلامية ومن وقف على ما لها من الأثر الحميد في الأمم المتمدنة، وما لها من الشأن في جمع كلمتهم وتأليف قلوبهم وتنشيطهم إلى العمل في إسعاد أمتهم ووطنهم فقه سر جعلها من أركان العبادة المشروط فيها الاجتماع، وقد مات روح الخطابة في المسلمين، وصار هذا الركن

---

(١) انظر: قواعد الخطابة، أحمد غلوش، ص٨.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ١١٢/١.

رسماً ماثلاً، بل يكاد يكون دارساً، بل صارت الخطابة وظيفة يقصد بها التعيش، فتناط بالجهال وتنال بالوراثة، مع أنها وظيفة الإمام الأعظم أو نائبه، وإنما كانت كذلك لأن من شأن هؤلاء أن يكونوا عارفين بمصالح الأمة واقفين على سائر شؤونها، وأصحاب الكلمة المسموعة والسلطة النافذة فيها). (١)

ولم يكن جهد الشيخ مقتصراً على إلقاء الخطب فقط بل اهتم بتطوير الخطبة فاقترح لإصلاح الخطابة في العالم الاسلامي مقترحات نشرها في مجلة المنار من أهمها: إقامه جمعية إسلامية يكون من ضمن اهتماماتها الرئيسية إصلاح الخطابة واقترح لإصلاحها أمور أوردها في مقال له بعنوان: الإصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الإسلامية يقول الشيخ فيه: (ونكتفي بالإشارة إلى عمل الجمعية فيه وهو أمران: أولهما: تأليف خطب في مصالح الأمة، تطبع وتوزع على الخطباء الذين لا يحسنون الخطابة بأنفسهم، وهم الأكثرون، ويأمر الخليفة بأن يخطب بها دون سواها إلى أن يوجد خطباء حقيقيون، والأولى أن تجدد هذه الخطب كل عام. والثاني: تعيين الطريق لتحصيل ملكة الخطابة، ليسلكه كل مرشح لها، فيكون خطيبًا مصقعًا طبعًا لا تكلفًا، ولا يوجه الإمام هذا المنصب على أحد إلا بعد اختياره من شعبة الجمعية التي في بلاده بأن تقترح عليه أن يخطب في مواضيع مختلفة على البداهة، والشهادة له بالإجادة). (٢)

وكانت الخطابة جزء من حياة الشيخ منذ صغره قبل هجرته إلى مصر، فقد كان خطيباً مفوها وله العديد من الخطب، وكان الشيخ خطيباً لجامع قريته القلمون، وذلك بناءً على تنازل إمامه السابق عن إمامة المسجد للشيخ لعجزه عن القيام بها، ولأهلية

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/ ٧٨٨.

(٢) المرجع السابق، ١/ ٧٨٨.

واقتدار الشيخ محمد رشيد رضا بها، وقد كان ذلك بقرار من مدير أوقاف طرابلس يسمى إعلام شرعي وكان تحريره في العاشر من شهر شوال سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف موقعاً من نائب طرابلس الشام. (١)

ويذكر الشيخ أنّه تعلم إلقاء الخطب فكان تعوده وتمرسه عليها بارتجالية في مصر فيقول: (جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية، هذه الجمعية أقدم الجمعيات الإسلامية التي أنشئت للوعظ والإرشاد في مصر، فإنني لما هاجرت إلى مصر في منتصف سنة ١٣١٥هـ، لم أجد فيها غيرها، واتفق أن كانت هي الجمعية الأولى التي تعودت إلقاء الخطابة الارتجالية على منبرها). (٢)

نماذج من خطب الشيخ محمد رشيد رضا.

١-أول هذه الخطب هي خطبة سماها بالخطبة الحديثية يقول فيها: (وأذكر انني بدأتها بعد الحمدلة والشهادتين والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وآله بما حاصله : أننا معشر المسلمين نفتخر دائماً بأننا أمة محمد خاتم النبين صلى الله عليه وسلم فأما أمة دعوته فهم جميع البشر وإنما يحق الفخر لأمة الإجابة منهم. ثم طفقت أقول: هل تدعى إجابة دعوته يا تارك الصلاة..... هل تدعي إجابة دعوته يا مانع الزكاة، وقد قال كيت وكيت ؟ هل تدعي إجابة دعوته يا تارك كذا من الواجبات ويا فاعل كذا من المعاصي.... الخ). (٣)

---

(١) انظر: رشيد رضا تاريخ وسيرة أنيس الأبيض، ص١٦-١٧، جروس برس، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، وأخذها من سجلات المحكمة الشرعية بطرابلس في لبنان.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٣٤/٣٢.

(٣) السيد رشيد رضا، شكيب ارسلان، ص٩٢-٩٣.

٢-خطبة ألقاها الشيخ في الحث على الصدقة وبيان فضلها.

ألقى الشيخ هذه الخطبة المميزة وكان موضوعها الحث على التبرع لبناء مسجد، وتوضيح معنى وفضل كل من الصدقة الجهرية والصدقة السرية لئلا يظن بعض الناس أن الدين الإسلامي يحرم الصدقات الجهرية أو يكرهها، فيقبضون أيديهم أن تجود في مثل هذه المحافل على ما تدعى إليه من البر يقول فيها الشيخ: (قال الله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾البقرة: ٢٧١، فمدح إبداء الصدقات وإظهارها مطلقا، وفضل إخفاءها فيما يعطى للفقراء منها بما يدل على أن مقابله جائز، بل محمود أيضاً إخفاء الصدقة على الفقراء خير من إظهارها، لما في الإظهار من كسر قلوب الفقراء المتجملين، وما في الإخفاء من الستر عليهم والتكريم لهم وأما وضع الصدقة في المصالح العامة، فليس فيه هذا المعنى وإبداؤها قد يكون حينئذ خيرا من إخفائها، لما فيه من حسن القدوة والترغيب في التعاون على الخير، وما زالت القدوة الصالحة مصدر البركات وسببا في كثرة الأعمال الصالحات، وقد أمرنا الله تعالى أن ندعوه بأن يجعلنا أئمة في الخيرات بمثل قوله: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾الفرقان: ٧٤، إن من يطلب المال ليضعه في مصلحة عامة، يسره أن يجاب جهراً، كما يسر كريم النفس أن يجاب إلى ما يطلبه لنفسه سراً، والإخلاص موضعه القلب، ولا ينافيه أن يحب المؤمن ظهور فضله بالحق، وإنما المذموم في كتاب الله أن يحب المرء أن يحمد بغير حق قال تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴾آل عمران: ١٨٨، والإسلام دين الفطرة، فليس فيه ما يمنع المسلم أن يظهر كل ما

يميل إليه استعداده من الحق والخير، ولا سيما إذا تعدى نفعه، وكان فيه قدوة لغيره.... إلخ). (١)

٣-خطبته التي ألقاها في رحلته للهند.

ألقى الشيخ في هذه الرحلة خطبة عظيمة عن التربية والتعليم ووسائل نهوض الأمة قال فيها: (جاءتني الدعوة وأنا على ذلك، بل الأمر أعظم من ذلك، فوافقت ما كانت تصبو إليه نفسي ويحن إليه قلبي من زيارة الديار الهندية واختبار حال التربية والتعليم الإسلامي فيها ولكن تعارض المانع والمقتضي بل كان هنالك موانع عديدة كل واحد منها كان كافياً للترجيح فكيف بها قد اجتمعت؟ مضت سنة الله في سجايا البشر وطباعهم في العمل الذي يندفعون إليه بمقتضى فطرتهم أن يرجحوا المانع على المقتضي إذا كان كل منهما نظريا مناطه الرأي والفكر، أو وجدانيا مناطه الشعور والهوى النفسي، وأما إذا كان أحدهما وجدانيا أو يمده الوجدان والآخر ليس كذلك فإن الترجيح يكون في الغالب للوجداني أو ما يمده ويؤيده الشعور الوجداني.... ليس موقفنا هذا موقف مناظرة، ولا مقامنا مقام الإدلاء بالحجة، وإنما هو موقف تذكير للناسي، وحفز لهمة الآسي، وحسبنا من الذكرى فيه قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾الرعد: ١١.... وإننا نحن المسلمين نعرف من تاريخنا ومن آثار سلفنا أننا كنا نحن الأئمة الوارثين، والسادة المتبوعين، والحكام العادلين، والعلماء العاملين، والصلحاء المخلصين، والأغنياء المنفقين، والصناع الماهرين، والزراع المعمرين، والتجار البارعين، بل كنا فوق جميع الأمم في كل علم وعمل، حتى كاد العدد القليل منا لا يطئون أرض قوم

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٤/٢٣١.

إلا ويجذبونهم بأزمة قلوبهم وعقولهم إلى اتباعهم في دينهم ولغتهم وآدابهم، فهل نحن اليوم كذلك؟... الخ). [١]

والشيخ خلال رحلاته القى العديد من الخطب في مواضيع متعددة أهمها وجوب تعليم القرآن، وتعلم اللغة العربية ونشرها، والتربية والتعليم، التحذير من البدع، وقد كان ينشر تلك الخطب في مجلة المنار ليستطيع من لم يحضرها الاستفادة منها والاحتفاظ بها. [٢]

(١) المرجع السابق، ١٥/٣٢١.

(٢) انظر : المرجع السابق، ١٥/ ٢٢٥، ٣٣١، ٥٦٤، ٧٩٩و١٦/ ١٧، ١٠٤، ٣٩٦.

المبحث الرابع

التأليف والكتابة وتقريظ الكتب

تختلف الوسائل الدعوية بحسب موهبة الداعية وبحسب حال المدعو والتأليف والكتابة من أهم وسائل الدعوة، ومن أعظمها، وهي كالأثر الذي يطول ولا ينمحي ولا يدرس بسهولة، وأجره يتعدى عصر كاتبه ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: ((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له)). [(١)]

ولقد اعتنى العلماء بالتأليف والكتابة لنشر العلوم الشرعية، حرصا منهم على نشر دين الله تبارك وتعالى، مما أثرى المكتبة الإسلامية بالعلوم النافعة.

وترجع هذه الأهمية إلى عدة أمور من أبرزها :

أولاً: أن التأليف يبقى ما شاء الله له البقاء من الزمن، بخلاف غيره من الكلام ونحوه حيث أنه معرض للنسيان.

ثانياً: أن التأليف يكثر المستفيد منه سواء من كان في عصر المؤلف أو ممن جاء بعده بزمن بعيد بخلاف الكلام من الخطابة ونحوها والتي تكون الاستفادة منها مقصورة على الحاضر ممن سمع هذا الكلام وهو استمرار للدعوة الى الله.

---

(١) صحيح مسلم، النووي، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث(١٦٣١).

ثالثاً: هذه الأعمال مما يلحق الإنسان بعد وفاته، وهي من الأعمال التي يتعدى نفعها للآخرين ففيها منفعة للداعية. (١)

ولقد برع الشيخ في الكتابة والتأليف فيعتبر الشيخ من أوائل من استخدم الصحافة في العالم العربي وسيلة للدعوة الإسلامية .

حركة التأليف عند الشيخ.

إذا كان تفسير المنار ومجلة المنار من أهم وأكبر مؤلفاته، فإن هناك مؤلفات أخرى ألفها ولكنها لم تكن بدرجة انتشار مجلة المنار وتفسير المنار وشهرتهما، ولقد تميز الشيخ بالعلم الغزير والمعرفة المتنوعة ويعتبر قامة في البحوث الفقهية والتشريعية وأصول الفقه ومعرفه رجال الحديث وأقوال المفسرين وعلوم القرآن، وبالإضافة إلى ذلك كان مهتماً بالنواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وخصوصاً بعد موت أستاذه، فقد كانت له آرائه في المشكلات السياسية والمعضلات الاجتماعية التي أثبت الأحداث صدقها. (٢)

يقول شكيب أرسلان: (كان الذي يدهش في الشيخ رضا رسوخ قدمه في مختلف العلوم حتى إذا نظرت إليه في علم منها وعلمت مبلغ إحاطته فيه ظننته متخصصاً في ذلك العلم ووجدته كأنه انفرد به، والحال أن له في سائر العلوم الملكة نفسها، فكان إذا أمسك بالقلم تدفق نحواً وصرفاً ولغةً وبياناً وبديعاً وفقهاً وحديثاً وتفسيراً وتوحيداً وأصولاً، وكل ذلك في نسق واحد). (٣) وكان إصلاح حال المسلمين هو الحافز الأول له على

---

(١) انظر: جهود الشيخ سليمان بن سحمان في الدعوة إلى الله، فرحان بن مجلي الظفيري، ص٣١٠، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير منشورة.

(٢) رشيد رضا، إبراهيم العدوي، ص٢٦٦.

(٣) السيد رشيد رضا، شكيب ارسلان، ص٢٥٥.

تأليفه إلى جانب ذلك كان دقيقا في تأليفه لا تفوته حتى الأشياء البسيطة التي يحسن ذكرها، وكان منظماً لوقته أتم تنظيم، وهذا ساعده على الاستفادة من كل دقيقة منه، وكان لمؤلفاته نصيب كبير في ذلك، فكان وقت عمله من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر ثم من بعد صلاة العصر إلى ساعة متأخرة من الليل وكان في أثناء عمله يجمع ويؤلف ويصحح ويشرف على طباعة الكتب إضافة إلى أعماله الأخرى الخاصة. (١) يقول محب الدين الخطيب عنه: (لو أن هذا الرجل الراحل كفي إدارة أعماله كلها وانقطع للتأليف والتدوين وكان في أمة تعرف كيف تستفيد من رجالها في حياتهم لكان أكثرهم إنتاجا ومن أكبر الرجال الذين يشار إليهم بالبنان في الأمور الأخرى). (٢)

ويقول شكيب أرسلان عن الشيخ: (وقد كنت أدعوه كل سنة تقريباً أن يأتي إلى سويسرا ويصطاف عندي تبديلاً للهواء، وطلباً للاستجمام فكان يعتذر لكثرة شواغله و لم أكن أرى في عصرنا هذا أصبر على الكتابة وأجلد على الشغل، وأسيل قلماً وأسرع خاطراً من الشيخ رشيد رضا، فلو وزعنا ما كتبه بقلمه وخطه بنانه في حياته على خمسين كاتباً لأصاب منهم كلا منهم قسطاً يجدر بأن يجعله في صنف المؤلفين العاملين.... بل هو معروف بأنه لا يضيع دقيقة واحدة من وقته وأنه يتلقى أكثر من إلفي مكتوب في دور السنة فيجيب عليها كلها، ويكتب زيادة عليها مائتين إلى مائتين وخمسين مقالة في دور السنة، وينشر من التآليف بضعة آلاف من الصفحات المطبوعة تأليفاً.... وكان يكتب جميع ما يكتبه بخط يده ولا يستعمل كاتباً.... ومما أدهشني أن كتابه الأخير إليَّ كان قبل وفاته بأيام قلائل وكان يشكو إلي فيه المرض وهو أيضاً بخطه). (٣)

---

(١) انظر: المرجع السابق، ص٢٤. ومجلة المنار، رشيد رضا، ٣٥/٢٢٣-٢٢٢.

(٢) مجلة الفتح، محب الدين الخطيب، ص٢٣٢، العدد ٤٦٠- ٣٠ جمادي الآخرة ١٣٥٤هـ.

(٣) السيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص١٦٢-١٦٣.

القيمة العلمية لمؤلفات الشيخ.

لم يتخذ الشيخ من تلك المؤلفات القيمة سبيلاً للثراء والجري وراء زخرف الدنيا، لأنه يعرف أن الذين اشتغلوا بعلوم الدين الإسلامي بقصد إصلاح أنفسهم وإصلاح غيرهم في كل جيل كانت الدنيا اشد انقياداً لهم ممن طلبوها بالدين وعلومه، ولكن أكثر أولئك قد زهدوا فيها وآثروا ما عند الله على جاهها ومالها، مع ما كان يعانيه من الفاقة واشتداد الأزمات المالية عليه، والتي استمرت حتى وفاته، وقد اشتملت مراسلاته لصديقه شكيب أرسلان بعضاً من تصوير ما كان يعانيه ومن الصفات التي رفعت من القيمة العلمية لكتبه حبه للنقد، وكثرته فيها. (١)

وأسلوب الشيخ في مؤلفاته يغلب عليه السهولة والوضوح بل يمكن القول بأنه من السهل الممتنع وقد كان لاشتغاله بالصحافة تأثير على أسلوبه في ناحية التطويع والتقريب، بل يمكن القول بأن الصحافة هي صاحبة الفضل الأكبر في دفعه إلى الكتابة وهي الحقيبة الكبيرة التي حفظت لنا آثاره وأفكاره. (٢)

ومن الأمور التي تذكر له في مجال التأليف والكتابة حرصه الشديد على ذكره المصادر التي يأخذ منها إذا نقل عنه مراعاته لأمانة النقل، وهو بالمقابل يندد بأولئك الذين ينقلون عن مجلة المنار أو من كتبه دون عزو إليها. (٣)

كذلك يذكر الشيخ عنايته وإعجابه بالفهارس التفصيلية التي يضعها الأوربيون مع الكتب التي ينشرونها يقول الشيخ: (وهذه الفهارس التي يلحقها الإفرنج بكتبهم، وما

---

(١) انظر: السيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص٤٠٣.

(٢) انظر: رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي، أحمد الشرباصي، ص١٥.

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٣/٣٨١ و٤٠٨.

يطبعونه من كتبنا مفيدة جداً لتسهيل المراجعة على الباحث والمؤلف، وحتى صرنا نعرف قيمة الوقت فإننا نحذو حذوهم فيها). (١) وقد وضع فهارس كافية لمجلدات مجلة المنار، ففي صدرها فهرساً عاماً لجميع الموضوعات مرتباً حسب الحروف الأبجدية، وفهرساً للآيات القرآنية، وفهرساً للأحاديث الواردة في المجلد، وفهرساً للكتب والمجلدات التي تحدث عنها، وفهرساً للكاتبين في هذا المجلد، وقد يضيف فهرساً لوفيات الأعيان في اغلب مجلداتها، وكان يضع الفهارس بنفسه مع كثرة أشغاله وأعماله. (٢)

ومما يظهر في كتابات الشيخ ومؤلفاته أنه يجعل مطلع الكثير من كتبه آيات من القرآن الكريم ترتبط بموضوع الكتاب الذي يفتتحه ويمهد له، ومن أمثلة ذلك ما فعله في كتبه: الوحي المحمدي، والسنة والشيعة، أو الوهابية والرافضة، ومناسك الحج، والمسلمون والقبط.

مؤلفاته.

يمكن القول إن أكثر مؤلفات الشيخ نشرت مرتين الأولى ضمن مجلة المنار والثانية في كتاب مستقل، فقد كانت مجلة المنار وعاء كبيراً يقوم بنشر مؤلفاته فيها على شكل مقالات أو فصول ثم إذا انتهت تلك الفصول أو المقالات جمعها في كتاب مستقل، حتى تفسير المنار نفسه كان ينشر كباب مستقل ودائم من أبواب مجلة المنار، ولذلك نستطيع أن نقرر حقيقة واضحة وهي أن مجلة المنار هي الحقيبة الكبرى التي حفظ فيها مؤلفاته.

---

(١) المرجع السابق، ٩٤٥/٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٢٢٤/٣٥.

مؤلفات الشيخ التي طبعت ونشرت في كتب مستقله هي:

تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده.

وهو ثلاثة مجلدات كبيرة وكان ينوي إكماله بجزء رابع، ولكنه توفي قبل كتابة الجزء الرابع منه.

ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ومنافاة الإسلام.

تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن.

تفسير سورة الفاتحة وست سور من خواتم القرآن،

ويليهن خمس إشارات للأستاذ الإمام محمد عبده في التوسل والتوحيد ومشكلات التفسير.

تفسير سورة يوسف عليه السلام،

وكان قد وصل رشيد رضا في تفسيرها إلى آية ١٠١من السورة، فأكمل الشيخ محمد بهجت البيطار تفسير الآيات العشر الباقيات وصدر الكتاب وطبع بعد وفاة الشيخ.

خلاصة السيرة المحمدية وحقيقة الدعوة الإسلامية وكليات الدين وحكمه.

ذكرى المولد النبوي، وهو خلاصة لكتاب خلاصة السيرة المحمدية .

السنة والشيعة أو الوهابية والرافضة،

وقد رد فيه على مطاعن الشيعة على ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم والشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته الإصلاحية.

شبهات النصارى وحجج الإسلام.

عقيدة الصلب والفداء .

الوحدة الإسلامية والأخوة الدينية .

المسلمون والقبط والمؤتمر المصري .

المنار والأزهر.

نداء للجنس اللطيف .

الوحي المحمدي،

والكتاب يتحدث عن إثبات الدلائل المختلفة على صدق الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، ويدعو شعوب العالم إلى دين الإسلام لأنه الكفيل بحل جميع ما يعانونه من مشكلات مختلفة فيتحقق لهم بذلك نعمة الأخوة والسلام، وقد ترجم الكتاب إلى عدة لغات .

الوهابيون والحجاز،

وأصل الكتاب مقالات كتبها ونشرها في مجلة المنار ثم جمعها في هذا الكتاب، فقد تضمن الكتاب شرحاً وافياً عن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ورد مزاعم خصومه.

يسر الإسلام وأصول التشريع العام في نهي الله ورسوله عن كثرة السؤال،

وقد ركز الكتاب في حديثه على مبدأ القياس في الشريعة الإسلامية.

مناسك الحج أحكامه وحكمه، وقد ألفه في يومين قبيل حجته الأولى سنة ١٣٣٤هـ كما ذكر ذلك في مقدمته، وضم إلى الكتاب مناسك الحج لشيخ الإسلام ابن تيميّة.

الربا والمعاملات في الإسلام،

وهو عبارة عن رسالة كتبها في موضوع الربا والمعاملات الاقتصادية في الإسلام، ونشر منها في مجلة المنار ٩٦ صفحة، وتوفي قبل أن ينشرها في كتاب خاص، فقام الشيخ

محمد بهجت البيطار ووضع لهذه الرسالة مقدمة وتكملة وخاتمة، ونشرها في كتاب خاص. (١)

أهم مؤلفات الشيخ التي تم طبعها لم تنشر.

الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية،

وهي أول مؤلفات الشيخ ألفها في بداية طلبه العلم في طرابلس الشام قبل رحيله الى مصر. (٢)

رسالة في حجة الإسلام الغزالي. ولم يطبع منها سوى ٤٨صفحة.

رسالة في التوحيد، على طريقة السؤال والجواب.

مساواة المرأة بالرجل،

وأصلها مناظرة في الجامعة المصرية، جامعة القاهرة حالياً. (٣)

المقصورة الرشيدية. (٤)

ولما كان الشيخ قد أسس مطبعة خاصة به تقوم بطبع مجلة المنار وتفسيره وباقي كتبه فمن الطبيعي أن تكون المطبعة مستعدة لطبع ما يعرض عليها من كتب ورسائل، وبالفعل قامت مطبعته والتي سماها مطبعة المنار وكانت في القاهرة بطبع ونشر عدد من الكتب

---

(١) انظر: الشيخ رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد عبد الله السلمان، ص٤٥٠.

(٢) انظر: المنار والأزهر، رشيد رضا ص١٨٩-١٩١.

(٣) انظر: السيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص١١-١٢.

(٤) وهي أبيات شعرية عارض بها مقصورة ابن دريد المشهورة ولقد جمع هذه المقصورة وحققها الدكتور أحمد الشرباصي في كتاب بعنوان المقصورة في الأدب العربي ومقصورة رشيد رضا، مطبعة الرسالة بالقاهرة، طبع عام١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

المختلفة والمتنوعة التخصصات، ولقد تعود الشيخ التعليق على ما ينشره لغيره في مجله المنار وعلى ما يشرف على طبعه من كتب غيره وهذا التعليق قد يكون تخريجا لحديث أو توضيحا لعبارة.

ولعل من أهم الكتب التي تطبع في مطبعه المنار ويعلق عليها الكتب التي طبعها بأمر من الملك عبد العزيز لتوزيعها على طلبه العلم في المملكة واغلبها من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبعض علماء الدعوة في نجد، ومن كتب شيخ الإسلام ابن تيميه وكتب أئمة وعلماء المذهب الحنبلي[١] بالإضافة إلى كتب في تفسير القرآن الكريم ومن هذه الكتب التي طبعتها ونشرتها مطبعة المنار كثيرة منها: تفسير ابن كثير، والبغوي، والمغنى والشرح الكبير، ومدارج السالكين لابن القيم في ثلاثة أجزاء، وشرح عقيدة السفاريني لابن قدامه، والتوسل والوسيلة، والصوفية والفقراء وكلها لشيخ الإسلام ابن تيميّة، ومفتاح كنوز ألسنه، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث من وضع الدكتور محمد فؤاد عبد الباقي، والاعتصام للشاطبي، ولا شك أن اهتمامه بطبع مثل هذه الكتب والتعليق عليها يعطينا فكره واضحة عن مقدار تأثره بمنهج السلف الصالح وحرصه على نشره عن طريق مطبعته، حتى صارت مطبعه المنار أهم المطابع في مصر والعالم الإسلامي في الدعوة إلى منهج السلف الصالح وأبرزها كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدفاع عنها بشكل خاص.[٢]

---

(١) انظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، خير الزركلي، ص٣٣٩، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٧٧م.

(٢) انظر: السيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص٣٦٦، والشيخ رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد عبد الله السلمان، ص٤٥٢.

المبحث الخامس

إصدار مجلة المنار

مدخل:

لقد كانت مجلة المنار من أبرز أعمال الشيخ محمد رشيد رضا واحبها إليه فهي ذات أهمية بارزة في دعوته إلى الله وإيصالها إلى المسلمين في جميع أنحاء العالم وكانت أول كلماتٍ قالها في هذه المجلة في فاتحة السنة الأولى للمنار بعد البسملة وحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: (هذا صوت صارخ بلسان عربي مبين، ونداء حق يقرع مع سمع الناطق بالضاد مسامع جميع الشرقيين، ينادي من مكان قريب يسمعه الشرقي والغربي، ويطير به البخار فيتناوله التركي والفارسي، يقول: أيها الشرقي المستغرق في منامه، المبتهج بلذيذ أحلامه، حسبك حسبك! فقد تجاوزت بنومك حد الراحة.... حسبك حسبك! هُبَ من سباتك واستيقظ من هجوعك، فقد ولت حنادس الجهالة، وأشرقت شمس المعرفة.... أنشأت هذه الجريدة إجابة لرغبة من تنبهت نفوسهم لإصلاح الخلل، ومشايعة للساعين في مداواة العلل، الذين أرشدهم التعاليم الدينية، وهداهم النظر في الآيات الكونية، إلى أن اليأس من روح الله، والقنوط من رحمته جل علاه هو عين الكفر والضلال، وآية الخزي والنكال، فأحبوا أن يعملوا لأمتهم، ويقوموا بخدمة لملتهم، فالجريدة تكون وصلة بينهم وبين الأمة، تبعث بإرشادهم روح الهمة في أفرادها، وتحيي ميت الغيرة من نفوس آحادها، وتجاري الحُداة لدى السير في مناهج

الترقي). [1] فلا تذكر مجلة المنار ألا ويذكر الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله– ولا يذكر الشيخ إلا وتذكر مجلة المنار فأصبحت علماً عليه وهو علم عليها فاشتهر بصاحب المنار.

تأسيسها.

بعد أن وصل الشيخ محمد رشيد رضا–رحمه الله–إلى مصر في شهر شعبان من عام ١٣١٥ه كان همه الأول إنشاء مجلة إسلامية كوسيلة مهمة للدعوة لمهارة الشيخ في الكتابة وصبره وجلده عليها فقد دارت بعد وصوله لمصر مناقشة حامية له مع شيخه الشيخ محمد عبده في إنشاء مجلة إسلامية على غرار مجلة العروة الوثقى، وبعد إقناعه لشيخه بالفكرة، عرض عليه عدة أسماء للمجلة، من بينها المنار ليختار منها ما يراه مناسبًا، فاختار لها اسم مجلة المنار، وكان هذا هو الاسم الذي ارتاحت له نفس الشيخ كذلك، وصدر العدد الأول من مجلة المنار في ٢٢ من شوال ١٣١٥هـــ أي بعد وصول الشيخ لمصر بثلاثة أشهر تقريباً، وكانت تصدر أسبوعياً، ويتألف كل عدد منها من ثماني صفحات كبيرة على صورة الجريدة اليومية.

وحددت افتتاحية العدد الأول أهداف المجلة وحرص الشيخ على أن يعرض على أستاذه الشيخ محمد عبده كل ما يكتبه من مقالات، ليسمع منه توجيهاته وإرشاداته.

وبعد عام من الصدور كانت المجلة تصدر فيه على شكل مجلة أسبوعية، أصبحت في العام التالي تصدر مرتين في الشهر، وبعد سنوات صارت تصدر في كل شهر عربي مرة، وكان الشيخ يكتب على الصفحة الأولى المنار مجلة شهرية تبحث في فلسفة الدين

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٩/١.

وشؤون الاجتماع والعمران، وكانت مجلة المنار تطبع في أول عهدها في مطبعة المؤيد، ثم اشترى الشيخ مطبعة خاصة للمنار، يطبع فيها المجلة، وغيرها من كتبه ومطبوعاته. (١)

أهداف مجلة المنار.

لقد بادر الشيخ إلى إثبات خطة مجلته منذ فاتحة العدد الأول، والتعريف بأهدافها مبرزاً بذلك تصوره للعمل الصحفي واتجاهه الإصلاحي العام فذكر الغرض منها وهي كالتالي:

١- الحث على تربية الأولاد والبنات وطريقة ذلك وآثاره على الفرد والمجتمع.
٢- الترغيب في تحصيل العلوم والفنون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم.
٣- التنشيط على مجاراة الأمم المتمدنة، في الأعمال النافعة، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد.
٤- فتح باب الاجتهاد فيه بالاعتماد أساساً على نصوص القرآن والسنة.
٥- الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة وإبطال الشبهات الواردة على الإسلام. (٢)

كانت مجلة المنار في عصرها أكبر مجلة إسلامية في العالم الإسلامي، وأعظمها صيتًا، وأكثرها تأثيرًا، ولا تزال حتى اليوم تحتل مكانة مرموقة في الصحافة الإسلامية، على الرغم من انقطاع صدورها، وصدور عشرات المجلات الإسلامية في مختلف الدول والبلدان.

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١ /١.
(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، المقدمة.

شعار المجلة.

اختار الشيخ لمجلته شعارًا يجعله على الصفحة الاولى من طبعاتها وهو إن للإسلام صوىً [(١)] ومناراً كمنار الطريق وهو مقتبس من الحديث الشريف عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن للإسلام صوى ومنارا كمنار الطريق، منها أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئا وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تسلم على أهلك إذا دخلت عليهم وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم فمن ترك من ذلك شيئا، فقد ترك سهما من الإسلام ومن تركهن كلهن، فقد ولى الإسلام ظهره)). [(٢)]

موضوعاتها.

كانت المجلة تستهل عددها بتفسير القرآن الكريم، ثم تأتي فتاوى المنار حيث تنشر فيها الإجابات على الأسئلة التي تتناول أمورًا فقهية أو اعتقادية تلقاها الشيخ من قرائه، ثم تأتي بعد ذلك بعض المقالات الدينية أو الاجتماعية أو التاريخية، أو بعض الخطب المهمة للشيخ أو لغيره من كبار الخطباء، ومن الأبواب الثابتة التي كانت تلتزم بها المجلة :

- باب تفسير القرآن الكريم .
- باب المقالات.

---

(١) الصُّوَى جمع صُوَّة، وهي أعلامٌ من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة، يُستدل بها على الطريق وعلى طرفيها، أراد أن للإسلام طرائق وأعلاماً يهتدى بها. (انظر: النهاية في غريب الأثر، ابن الأثير، ٣/١٢٧).

(٢) صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، ١/٤٣٢، رقم الحديث(٢١٦٢). وسلسلة الأحاديث الصحيحة، الألباني، ١/٦٥١، رقم الحديث(٣٣٣).

- باب التربية و التعليم.
- باب الفتاوى.
- باب الأخبار والآراء.
- باب آثار عملية وأدبية.
- باب المراسلة والمناظرة.
- باب للأخبار والآراء.
- باب تراجم الأعيان

وكان الشيخ يكتب أغلب ما ينشر في المنار، على مدى عمرها المديد، وهو غالباً لا يوقّع مقالاته وبحوثه في المنار باستثناء الافتتاحية، ويقرر أن كل ما يكتب في المنار دون إمضاء فهو له، وكان وراء ذلك همة عالية، وزاد واسع من العلم، فالشيخ عالم موسوعي، ملم بالتراث الإسلامي، متمكن من علوم القرآن، على دراية عميقة بالفقه والحديث، مدرك لأحوال مجتمعه وعلله وأمراضه، شديد الاهتمام بما يدور في عصره الذي يعيش فيه، خبير بأحوال المسلمين في أقطارهم المختلفة.

ولم تقتصر المجلة على البحوث الدينية، بل نشرت كثيرًا من المقالات عن السنن الكونية، والطب والصحة، وأفردت مساحات للأدب والشعر والقصة الطريفة، والبحث اللغوي الشائق، وكانت تنقل عن المجلات الأخرى عيون مقالاتها أو بحوثها الجيدة، مثل: مجلة المقتطف، وصحيفة المؤيد، والتزمت أمانة النقل فكانت تذكر المصدر الذي أخذت عنه. [١]

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، المقدمة.

ويقول عنها الشيخ: (إنني لم أُنْشِئْ المنار ابتغاء ثروة أَتَأَثَّلها، ولا رتبة من أمير أو سلطان أتجمل بها، ولا جاه عند العامة أو الخاصة أباهي به الأقران، وأباري به أعلياء الشان، بل لأنه فرض من الفروض يرجى النفع من إقامته، وتأثم الأمة كلها بتركه، فلم أكن أبالي بشيء إلا قول الحق والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكنت إن أصبت هذا بحسب علمي واجتهادي فسيان رضي الناس أم سخطوا، مدحوا أم ذموا، قبلوا المنار أم رفضوا). [١]

كُتّـــاب المجلة.

أغلب الكتابات في المجلة كانت للشيخ وقد اشتكى من قلة من يشارك معه في الكتابة في أعداد المجلة فقال: (كنت أرجو عند إنشاء صحيفة المنار أن تكون ميدانا تتبارى فيه جياد الأقلام، فيكون لسان حالهم في مسائل الإصلاح، التجديد الديني والاجتماعي والأدبي، صرحت بذلك في بيان المقاصد العامة من فاتحتها، ولكن كاد يشتهر في الناس أن المنار وقف أهلي حبس تحريره على صاحبه، وإنما هو وقف خيري عام للمصلحين والمجددين). [٢]

وشارك الشيخ في الكتابة في المنار أعلام الأمة من الأدباء والشعراء والعلماء[٣] ولقد تميز الشيخ –رحمه الله– بأنه نشر في مجلته بعض كتب ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم، ودعا

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/١.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٤/ ٧٩٤.

(٣) أمثال: أحمد الإسكندري، وحفني ناصف، ومصطفى صادق الرافعي، ومصطفى لطفي المنفلوطي، وحافظ إبراهيم، وعبد المحسن الكاظمي، ومحمد روحي الخالدي، وعبد القادر المغربي، وشكيب أرسلان، ومحمد الخضر حسين، ورفيق العظم، وملك حفني ناصف، وهؤلاء جميعًا كانوا يتولون قيادة الفكر وتوجيه الناس في معظم أنحاء العالم العربي.

إليها كما هي على شكل مقالات في مجلة المنار وكتب أمامها، الكاتب: أحمد بن عبد الحليم ابن تيميّة، والكاتب: ابن قيم الجوزية. (١) مما كان له الأثر البارز في تعريف قراء المجلة عليهما في ذلك الوقت.

نهاية مجلة المنار.

توقفت المجلة سبعة أشهر بعد وفاة الشيخ، ثم أسندت رئاسة تحريرها إلى الشيخ محمد بهجت البيطار، فقام على تحريرها، وحاول إكمال التفسير الذي كان ينهض به الشيخ، فأتم تفسير سورة يوسف، ثم توقفت مجلة المنار مرة أخرى لمدة تقترب من ثلاث سنوات.

ثم أسندت أسرة الشيخ إصدار المجلة إلى الشيخ حسن البنا، وكان من تلاميذ الشيخ محمد رشيد رضا ولما رأوا فيه من القدرة على القيام بها، فأصدر العدد الأول الجديد في غرة جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ، بعد تردد، وكان لرجوعها مرة أخرى صداً واسعاً في نفوس العلماء والدعاة في العالم الإسلامي. (٢)

وواصلت المجلة صدورها لكنه كان بطيء الخطى، فلم يتمكن الشيخ حسن البنا من الاستمرار، وتوقفت المجلة بعد أن صدر منها ستة أعداد على مدى أربعة عشر شهرًا، وذلك في سنة١٣٥٩هـ.

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٧/ ١١٣، و١٧/ ٥٠٥، و١٧/ ٦٨٩، و١٧/ ٩٠٣، و٢٣/ ٦٨١، و٢٤/ ١٢٩، و٢٦/ ١٠٥، و٢٦/ ١٨٥، و٢٦/ ٢٦، و٢٦/ ٦١٣.

(٢) عبر عنه الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر بكلمة في افتتاحية الإصدار الجديد، قدم فيه حسن البنا إلى قراء المنار، مشيدًا بعلمه وقدرته في مجال الدعوة الإسلامية. (انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، المقدمة).

وبذلك يكون اكتمل لها ٣٥ مجلداً، وتاريخ ظهور آخر عدد منها في حياة المؤلف: العدد العاشر من المجلد ٣٤، لعام ١٣٥٤هـ. [١] من هذا الانجاز الحافل والذي يعتبر تجديداً في الأسلوب الدعوي في ذلك العصر أثر على مسار تاريخ الدعوة بتوجه الدعاة الى الاهتمام بهذا الأسلوب المؤثر والذي لا يقل قدرا في التواصل الجماهيري عن بقية الاساليب الدعوية بل يجعل الداعية مرتبطا بالمدعوين حتى بعد وفاته، لأن المجلة مما يحفظ ومما يؤرشف في وقتنا الحالي للاستفادة منه وهذه الميزة تتميز بها المجلات عن الاساليب الأخرى وكذلك ما لاستقلال المجلة الإسلامية في ادارتها ونشرها وتوزيعها من أثر بارز ملحوظ حتى عند غير المسلمين وكونها بداية لوسائل الإعلام الحديثة في عصرنا الحاضر.

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، المقدمة.

المبحث السادس

الرحلات الدعوية

التعريف

تعريف الرِحلة.

الرحلة في اللغة:

كلمة رحل أصلٌ واحد يدلُّ على مُضيٍّ في سفر: يقال: رحل يَرَحل رِحلة. وجملٌ رحيل ذو رُوحْلة، إذا كان قوياً على الرحلة، والرِّحلة الارتحال. (١)

والإرتحال هو: الانتفال وهو الرِّحلة والرُّحلة. والرِّحلة هي اسم للارتحال للتسيير يقال: رَحَلَ فلان، وارتحل وتَرحَّلَ. (٢)

الرحلة اصطلاحاً:

الرحلة: السفرة لما فيها من الارتحال كانوا يرتحلونها للتجارة والكسب. (٣)

ويمكن تعريف الرحلة بأنها: الانتفال من بلد إلى آخر، لأي أمر من الأمور.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٩٧/٢، مادة(رحل).

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٦٥/١١، مادة (رحل). ومختار الصحاح، للفخر الرازي، ٢٦٧/١، مادة (رحل).

(٣) انظر: تفسير العز بن عبد السلام، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ١٣٧١/١، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ، عند تفسيره قوله تعالى ﴿ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴾ قريش: ٢.

وتعد الرحلات للدعوة إلى الله، وسيلة دعوية من أشهر وسائل الدعوة، فما من عالم إلا وقد رحل في طلب العلم وفي الدعوة إلى الله تعالى.

الرحلات الدعوية للشيخ.

كان للشيخ رحلات دعوية اشتملت على المحاضرات والمؤتمرات والمحاضرات والدروس وغيرها ومن هذه الرحلات الدعوية ما يلي :

١- رحلته إلى سوريا

وهي عبارة عن عدة رحلات وقد بدأها في شعبان سنة ١٣٢٦هـ، وذلك عقب خَلْعِ السلطان عبد الحميد وإعلان الدستور العثماني، وزار في رحلته بيروت وطرابلس الشام والقلمون، وتمكَّن في هذه الرحلة من زيارة أهله وموطن صبَاه بعد غياب دامَ أحد عشر عامًا، وقد ألقى في المدن التي زارها العديد من الدروس والمحاضرات، وفي طرابلس دعا إلى تأسيس جمعية خيرية إسلامية كمثيلتها في مصر، وفي ٢٧ من رمضان ١٣٢٦هـ سافر لزيارة دمشق، وألقى في مساجدها وجوامعها الدروس والمحاضرات، وفي دروسه الدينية في المسجد الأموي بدمشق ركَّز على الدعوة الى العقيدة الصحيحة، ومحاربة جميع الأمور التي تُنافِي التوحيد، مما أثار عليه بعض اتباع الطرق الصوفية. (١)

٢- رحلته إلى الهند مروراً بعُمان والكويت:

وُجهت الدعوة إلى الشيخ لزيارة الهند من جمعية ندوة العلماء في لكهنو بالهند، وقد ألقى هناك كثيراً من المحاضرات والخطب أهمها خطبة عن التربية والتعليم، ووسائل

---

(١) انظر: رشيد رضا صاحب المنار، الشرباصي، ١٤٥-١٤٦. ومجلة المنار، رشيد رضا، ١١/٦٢٥و٧٠٦. ورحلات الامام محمد رشيد رضا، يوسف ايبش، ص١١-٤٣، بدر للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

النهوض بالمسلمين، ووجوب نشر اللغة العربية لغة القرآن، تمت طباعتها، وترجمتها للغة الأوردية. وفي أثناء عودته إلى القاهرة مرَّ في طريقه بدولة عُمان ونزل بمسقط فمكث فيها سبعة أيام يقول عنها: (أقمت في مسقط أسبوعًا كان يختلف إليَّ كل يوم وكل ليلة منه وجهاء البلد وأذكياؤه ويلقون عليَّ الأسئلة الدينية والفلسفية والأدبية والاجتماعية، وزارني السلطان في دار الضيافة أيضاً ومكث معي عدة ساعات، وزرته في مجلس حكمه عدَّة مرات، وكان يلقي عليَّ في كلِّ مرَّة الأسئلة المختلفة). (١) ثم سافَر منها إلى الكويت وأقام في الكويت أسبوعًا أيضاً في طريق عودته إلى القاهرة قال الشيخ عنه: (وأقمت في الكويت أسبوعًا كنت كل يوم ما عدا يوم البريد ألقي فيه خطابًا وعظيًّا في أكبر مساجد البلد فيكتظُّ الجامع بالناس، وكان يحضر مجلسي كل يوم وليلة وجهاء البلد من أهل التقوى وحب العلم يسألون عما يشكل عليهم من أمر دينهم). (٢) وكان يمكث في كل بلد منها عدة أيام يُلقِي في مساجدها دروساً ومواعظ ومحاضرات. (٣)

٣- رحلته الأولى إلى الحجاز:

كان الشيخ يمنِّي نفسه بالحج منذ شبابه لولا أن هناك عقبات سياسية لا يسهل اقتحامها، وقد زالت تلك العقبات حين استولى الاتحاديون على الحكم، وخلعوا السلطان عبد الحميد سنة ١٣١٧هـ، وكانت في عهد الشريف حسين والي الحجاز وذكر الشيخ أنه ذاهب ليحج مع والده وشقيقته فقط، وليقوم بنصح المسلمين وحثهم على التضامن

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٩٦/١٦.

(٢) المرجع السابق، ٣٩٦/١٦.

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٧/١٦ و١٠٤ و٣٩٦ و٥٦٧/١٩. ورشيد رضا صاحب المنار، الشرباصي، ١٥١-١٥٢. ورحلات الامام محمد رشيد رضا، يوسف ايبش، ص٦١-٦٩، بدر للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

والتكاتف والاتحاد في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخهم، فقد أدى فريضة الحج وقام بالنصح والإرشاد هناك وألقى الخطب الدينية والسياسية، وكانت عودته من الحجاز في النصف الثاني من ذي الحجة عام ١٣٣٤هـ. (١)

٤- رحلته الثانية إلى سوريا عام ١٣٣٨هـ:

وتمكن الشيخ في هذه الرحلة من زيارة المدن نفسها التي زارها في رحلته الأولى، وقد كانت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى والتي انتصرت فيها بريطانيا وحلفائها وفي دمشق انتُخِب رئيساً للمؤتمر السوري العام الذي كان بمثابة مجلس الأمة في مملكة سوريا وكان الغرض من تأليف هذا المؤتمر المنتخب بطريقة نيابية عن الشعب السوري كله أن يبين رأي الشعب السوري في مصير البلاد، وشكل حكومتها، ويذكر شكيب أرسلان بأن في ذلك دلالة على مكانته العظيمة في نظر أهل بلاده فقد بقي هناك عاماً كاملاً، فقد زحف الجيش الفرنسي خلالها على الشام بمقتضى معاهدة سايكس بيكو المشهورة وتمكَّن من القضاء على المقاومة العربية المستميتة له، ودخل دمشق محتلاًّ، وأسقط حكومة سوريا والمؤتمر السوري العام سنة ١٣٣٩هـ، ولم يستطع الشيخ العودة إلى مصر إلاَّ بصعوبة. (٢)

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٨٢/٢٠. ورحلات الامام محمد رشيد رضا، يوسف ايبش، ص٧٣-١٦٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ٧٨/٢٣و١٤١و٢٣٥ و٣١٣ و٣٩٠. ورشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي، أحمد الشرباصي، ص٦٥وما بعدها. ورحلات الامام محمد رشيد رضا، يوسف ايبش، ص ١٦٣-٢٣٢.

٥- رحلته إلى أوربا:

كانت لعقد مؤتمر للاحتجاج على احتلال فرنسا لسوريا وإنجلترا لفلسطين وقد جاءت تلك الفكرة من الشيخ وصديقه شكيب أرسلان، واستقر الرأي على عقد المؤتمر في جنيف مع جماعة من المصريين، وعُقِد المؤتمر في سنة، وانتخب الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله- نائبًا أوَّلاً للرئيس، وأُطلِق عليه المؤتمر السوري الفلسطيني، وقد أصدر المؤتمر نداءً إلى المجمع الثاني العام لجمعية الأمم في سويسرا طالَب فيه بوفاء الحلفاء لوعودهم واستقلال سوريا ولبنان وفلسطين، وإلغاء وعد بلفور لليهود في فلسطين وطالبوا بأن تُرسِل عصبة الأمم لجنة لدراسة ميول الأهالي في تلك البلاد.

وقد اجتمع الشيخ بعددٍ من مندوبي الدول فاجتمع بمندوب بريطانيا والصين وهولندا وإسبانيا وإيران، وعرض عليهم مطالب المؤتمر وبسَطَها معهم، يُشارِكه في ذلك بعض أعضاء المؤتمر، ولم يقتصر الشيخ في هذه الرحلة على زيارة جنيف، بل طاف بدعوة من صديقه شكيب أرسلان والذي رافقه في هذه الرحلة سويسرا وألمانيا ثم عاد إلى مصر. (١)

٦- رحلته الثانية إلى الحجاز:

وكانت عندما دعا الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٤٤هـ إلى عقد مؤتمر إسلامي عام في مكة المكرمة للنظر في مستقبل الحجاز، وقد شارَك الشيخ في المؤتمر الذي عقد في موسم الحج والذي انتهى في ٢٤ من نفس الشهر، واشترك فيه مندوبون من ٣٣ قطراً إسلامياً، وقد أظهر الشيخ في المؤتمر نشاطًا كبيرًا واستغل الشيخ فرصة المؤتمر

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٢٣/١١٤و٣٠٦ و٤٤١ و٥٥٣ و٦٣٥و٦٩٦. والسيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص٢٦٤. ورحلات الامام محمد رشيد رضا، يوسف ايبش، ص٢٣٣-٢٧٧.

ووجوده في الحجاز لإنهاء الخلاف بين الملك عبد العزيز آل سعود وبين إمام اليمن ونجح في ذلك إلى حدٍ كبير. (١)

٧- رحلته إلى فلسطين في عام ١٣٥٠هـ:

وجه الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين دعوة إلى الشيخ لحضور المؤتمر الإسلامي الذي دعا لعقْده في مدينة القدس بفلسطين، لبحث قضية فلسطين وقضايا إسلامية أخرى، ولبحث إنشاء جامعة إسلامية في القدس، وقد انتُخِب الشيخ عضوًا في اللجنة التنفيذية للمؤتمر وكان له نشاطه الواضح في المؤتمر كما هي عادته في الاهتمام بالقضايا الإسلامية.(٢)

هذا وقد كانت رحلات الشيخ ذات أثر على الشيخ نفسه وعلى المدعوين ومنهم قراء مجلة المنار فقد تعرف على احوال المسلمين والتقى بعدد كبير منهم خلال رحلاته من جميع الطبقات الاجتماعية والتقى بالملوك والقادة والعلماء والدعاة ولقي الترحيب الحار من الجميع وطلب النصح والمشورة بل كانت زياراته لهم تعد حدثاً في الدولة نظرا لما كان يعد لها من استقبال رسمي وجماهيري، وقد بين الشيخ في مجلة المنار هذه الرحلات بالتفصيل مما جعلها تعد مصدراً تاريخيا مهماً اضافة لكونها رحلة دعوية في الأساس للدعوة إلى الله واقامة الدروس والمحاضرات ودعوة العالم الاسلامي للتعاون وإنشاء

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٢/١١٦. والسيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص٤٤٢-٤٥٠. والمؤتمر الإسلامي الأول، جريدة الرياض، العدد ٤٧٣٦، في٥ ربيع الأول١٤٠١هـ، ص٩.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٢/١١٧-١٣٢. والسيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص١٥٧.

الجمعيات الإسلاميّة والاجتماعية وحثهم على الاهتمام بالتربية والتعليم ولا يخفى ما لهذه الرحلات من أثر على من كان يزورهم الشيخ والأثر البارز لرحلاته في الدعوة الى الله.

المبحث السابع

تفسير القرآن الكريم

(تفسيرالقرآن الحكيم المشهور بتفسيرالمنار)

مدخل.

إن لتفسير القرآن الكريم أثره الفعال في الدعوة الإسلامية من حيث أركانها وأساليبها وميادينها، فكيف بها إذا كانت الدعوة إلى الله تعالى مدعومة ببراهين من كتاب الله تعالى وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة ونحن في عصر قد أصبح من الضروري تطوير الداعية إلى الله فيه بما يتلاءم مع الطفرات العلمية المعاصرة، حتى لا يتخلف الدعاة عن الركب، فتصبح الدعوة أمراً تقليدياً ولكي يتحقق ذلك فإنه يتحتم عليه أن يدعو إلى الله على علم وبصيرة قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ يوسف: ١٠٨، ولا يتحقق ذلك إلا بإلمامه بالأدلة القاطعة والحجة الواضحة.

والشيخ اهدى للأمة عملا جليلاً يضاف الى التراث الإسلامي ألا وهو تفسير القرآن الحكيم أو تفسير المنار كما هي شهرته فقد الفه الشيخ في اثنا عشر مجلداً وصل فيه إلى تفسير سورة يوسف الى قوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ

﴿ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ يوسف: ١٠١ . ولقد قام الشيخ بعرض فكرة تفسير القرآن الكريم وإلقاء دروس في التفسير في الجامع الأزهر على شيخه محمد عبده ودارت مناقشة بينهما في هذا الصدد، و لم يزل بأستاذة حتى أقنعه به.

يقول الشيخ مبيناً بداية تفسير المنار وعمله فيه: (وكان أول اقتراح لي عليه أن يكتب تفسيراً للقرآن.... فقال: إن القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل من كل وجه، فله تفاسير كثيرة أتقن بعضها مالم يتقنها بعض، ولكن الحاجة شديدة إلى تفسير بعض الآيات، ولعل العمر لا يتسع لتفسير كامل، فاقترحت عليه أن يقرأ درسا في التفسير، وكان ذلك في شعبان سنة ١٣١٥هـ ثم كررت عليه الاقتراح في رمضان، كان يعتذر.... زرته يوم الجمعة ١٣رمضان فقرأ لي عبارة من كتاب فرنسي في الطعن على الإسلام، وطفق يرد عليها بعد أن قال: إن هؤلاء الإفرنج يأخذون مطاعنهم في الإسلام من سوء حال المسلمين، مع جهلهم هم بحقيقة الإسلام، قال: إن القرآن نظيف والإسلام نظيف، وإنما لوثه المسلمون بإعراضهم عن كل ما في القرآن واشتغالهم بسفساف الأمور، وطفق يتكلم بهذه المناسبة في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ البقرة: ٢٩ وماذا كان ينبغي للمسلمين أن يكونوا عليه لو اهتدوا بها..... ثم طفق الأستاذ يرد على هذا القول.... وهاهنا دار بيني وبينه ما أذكر ملخصه كما كتبته بعد مفارقة ذلك المجلس وهو: قلت: لو كتبت تفسيرا على هذا النحو تقتصر فيه على حاجة العصر، وتترك كل ما هو موجود في كتب التفسير وتبين ما أهملوه.... و لم أزل به حتى أقنعته بقراءة التفسير في الأزهر فاقتنع وبدأ بالدرس بعد ثلاثة أشهر ونصف أي في غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ وانتهى منه في منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴾ النساء: ١٢٦، فقرأ زهاء خمسة أجزاء في

ست سنين، إذ توفي لثمان خلون من جمادى الأولى منها رحمه الله تعالى وأثابه، كانت طريقته في قراءة الدرس على مقربة مما ارتآه في كتابة التفسير، وهو أن يتوسع فيه فيما أغفله أو قصر فيه المفسرون، ويختصر فيما برزوا فيه من مباحث الألفاظ والإعراب ونكت البلاغة، وفي الروايات التي لا تدل عليها ولا تتوقف على فهمها الآيات، ويتوكأ في ذلك على عبارة تفسير الجلالين الذي هو أوجز التفاسير، فكان يقرأ عبارته فيقرها أو ينتقد منها ما يراه منتقدا، ثم يتكلم في الآية أو الآيات المنزلة في معنى واحد بما فتح الله عليه مما فيه هداية وعبرة، وكنت أكتب في أثناء إلقاء الدرس مذكرات أودعها ما أراه أهم ما قاله، وأحفظ ما أكتب لأجل أن أبيضه، وأمده بكل ما أتذكره في وقت الفراغ، و لم ألبث أن أقترح علي بعض الراغبين في الاطلاع عليه من قراء المنار في البلاد المختلفة، ومن الحريصين على حفظه من الإخوان بمصر أن أنشره في المنار، فشرعت في ذلك في أول المحرم سنة١٣١٨هـ وذلك في المجلد الثالث من المنار، وكنت أولاً أطلع الأستاذ الإمام على ما أعده للطبع كلما تيسر ذلك بعد جمع حروفه في المطبعة وقبل طبعه، فكان ربما ينقح فيه بزيادة قليلة أو حذف كلمة أو كلمات، ولا أذكر أنه انتقد شيئا مما لم يره قبل الطبع، بل كان راضيا بالمكتوب بل معجبا به، على أنه لم يكن كله نقلا عنه ومعزواً إليه، بل كان تفسيراً للكاتب من إنشائه، اقتبس فيه من تلك الدروس العالية جل ما استفاده منها، لذلك كنت أعزو إليه القول المنقول عنه إذا جاء بعد كلام لي في بيان معنى الآية أو الجملة على الترتيب، فإذا انتهى النقل وشرعت بكلام لي بعده قلت في بدئه أقول و لم يكن هذا التمييز ملتزما في أول الأمر بل يكثر في الجزء الأول ما لا عزو فيه، ومنه ما هو مشترك بين ما فهمته منه ومن كتب التفسير الأخرى أو من نص الآية على أنني عبرت عنه بأمال مقتبسة، ولما كان -رحمه الله تعالى- يقرأ كل ما أكتبه، إما قبل طبعه وهو الغالب، وإما بعده وهو الأقل، لم أكن أرى حرجا فيما أعزوه إليه مما فهمته منه،

وإن لم أكن كتبته عنه في مذكرات الدرس، لأن إقراره إياه يؤكد صحة الفهم وصدق العزو، وبعد أن توفاه الله تعالى صرت أرى من الأمانة ألا أعزو إليه إلا ما كتبته عنه أو حفظته حفظاً، وصرت أكثر أن أقول: قال ما معناه، أو ما مثاله، أو ما ملخصه، مثلا، على أنني أعتقد أنه لو بقي حيا واطلع عليه لأقره كله، وقد بدأت في حياته بتجريد تفسير الجزء الثاني من المنار وطبعه على حدته، وتوفي قبل طبع نصفه، فهو قد قرأ ما طبع منه مرتين، وقد اشتد شعوري بعد ذلك بأن علي وحدي تبعة تأليف تفسير مستقل وتبعة إيداعه ما تلقيته عن هذا العالم الكبير المشرق البصيرة .... وسبب البدء بطبع الجزء الثاني: أن الأول كان مختصرا وغير ملتزم فيه ما التزمته فيما بعده من تفسير جميع عبارات الآيات وذكر نصوصها ممزوجة فيه، ولذلك اقترحت على الأستاذ أن يعيد النظر فيه ويزيد فيه ما يسنح له من زيادة أو إيضاح، ولاسيما إيضاح ما انتقد عليه إجماله .... هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه -رحمه الله تعالى- بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة، وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها). [(١)]

طريقة الشيخ في عرضه لتفسير المنار.

لقد اتبع الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في عرضه لتفسير المنار طريقة خاصة فهو يتحدث في أول السورة عن سبب نزولها ويشير إلى المناسبة بينها وبين السورة التي قبلها بلا تكلف ثم يورد للسورة خلاصة يضمنها ما اشتملت عليه من العقائد والأحكام

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/١٢-١٥.

الإسلامية، ثم يمضي في تفسير السورة آية آية، وأقرب مثال على ذلك ما فعله الشيخ في سورة البقرة فقد سار على الطريقة السابقة.

وكان من الأشياء التي تأثر بها الشيخ من أستاذة محمد عبده اهتمامه بتفسير القرآن الكريم بالعقل والرأي ولكن مع حدود وقيود بطبيعة الحال وتعتبر ظاهرة التفسير بالعقل هي القدر المشترك بينه وبين الأستاذ محمد عبده على وجه التخصيص. (١)

إنتاج الشيخ في التفسير.

إذا نحن تتبعنا ما كتبه الشيخ محمد رشيد رضا من تفسير للقرآن الكريم لوجدنا أنه كتب تفسيره المسمى بتفسير القرآن الحكيم، والمشهور بتفسير المنار ابتدأ بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ يوسف: ١٠١. ثم عاجلته المنية قبل أن يتم تفسير القرآن كاملاً، وهذا القدر من التفسير مطبوع في اثني عشر مجلداً من القطع الكبير، ينتهي المجلد الثاني عشر عند قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ يوسف: ٥٣.

وقد أكمل الأستاذ محمد بهجت البيطار تفسير سورة يوسف، وطبع تفسير هذه السورة بتمامها في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ رحمه الله، وقد فسر الشيخ سورة الكوثر، والكافرون، والإخلاص، والمعوذتين.

---

(١) انظر: رشيد رضا الصحفي المفسر الشاعر اللغوي، أحمد الشرباصي، ص١٤٣.

مصادرالشيخ فى التفسير.

أما مصادره في التفسير فإنه كان يستعين ببعض آيات القرآن على فهم بعض آخر منه، خصوصاً إذا تكررت الآيات في موضوع واحد، وكان يستعين أيضاً بما صح عنده من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جرى عليه سَلف الأُمة من الصحابة والتابعين، وبأساليب لغة العرب وسنن الله في خلقه، إلا فيما يقتنع به من أقوالهم، وأقوال شيخه على الأخص، وكان لا يراجع ما يكتب في التفسير إلا بعد أن يكتب فهمه في الآية، حذراً من تأثر أقوال المفسِرين عليه، وإذا آتاه الله فهماً في القرآن لم يُسبق إليه، أو لم يطلع عليه إلا بعد كتابته من عنده فإنه يتحدث إلى إخوانه شاكراً، وقد يقصه على أهل بيته مغتبطاً مسروراً. (١)

الأمور التي تميز تفسير المنار.

العناية بدعم التفسير بالأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار الواردة المتعلقة بالآية والسورة وقد ساعده على ذلك توسعه في معرفة الكثير من الأحاديث والأسانيد ونقد رجالها.

العناية بذكر مقدمات مهمة للسورة كما يذكر خلاصة موجزة لها يتحدث فيها عن الفوائد والقواعد والأحكام الشرعية التي اشتملت عليها.

نقل الشيخ بعض أقوال المفسرين في الأمور التي يحتاج إلى نقلها فيه وهو يدل على غزارته في العلم والاطلاع الواسع ومع نقله هذا فهو لا يقلد شيئاً من هذه الأقوال ولا يتأثر بها وإنما ينقلها ثم يبدي رأيه مستقلاً سواء وافق بعضها أو لم يوافقه.

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون، الذهبي، ٤٢٨/٢، مكتبة وهبة، القاهرة. ومجلة المنار، رشيد رضا، من مقالة السيد محمد رشيد رضا بقلم وكيله وابن عمه السيد عبد الرّحمن عاصم، ٤٨٠/٣٥.

تنبيهه إلى بعض أخطاء شيخه محمد عبده في تفسيره بأدب ووفاء. [(١)]

ولعل هذه أهم الملامح العامة لتفسير المنار ومع هذا كله فقد اشتهر تفسير المنار بين الباحثين المسلمين وغيرهم بدرجة كبيرة، فهذا محب الدين الخطيب يقول: (كثيراً ما يسألني من القاهم من الأوروبيين والمسحيين وشبابنا الذين تثقفوا ثقافات غير إسلامية عن التفسير الذي يعرفون منه قدر القرآن فكنت لا أجد ما أدلهم عليه مما أعلم أنه يحبب الإسلام إليهم إلا تفسير فقيدنا رشيد رضا عليه رحمه الله ورضوانه). [(٢)] ويذكر شكيب أرسلان: (أن تفسر القرآن خير شاهد على علم رشيد وهو كاف ليخلده بين علماء الأمة). [(٣)]

ولكن الشيخ محمد رشيد رضا حادَ عن منهج أستاذه، وذلك بعد وفاة شيخه واستقلاله في العمل عنه، فمثلًا: آراؤه في التفسير هي كآراء شيخه، تقوم على حرية واسعة في الرأي، واعتداد عظيم في الفهم، وثقة قوية بما عنده من العلم، وعدم تقيُّده ببعض المسلَّمَات عند العلماء، ولهذا نجد له آرائه المخالفة في تفسير القرآن استقلَّ ببعض منها، وقلَّد شيخه في بعضها الآخر منها:

١- رأيه في أصحاب الكبائر.

٢- قصة آدم والملائكة.

٣- صرف بعض ألفاظ القرآن عن ظواهرها.

---

(١) انظر: تفسير المنار، رشيد رضا، ١/ ٧٦-٧٧ و١/ ٤٧٠ و٣/ ٢٧٦.

(٢) مجلة الفتح، محب الدين الخطيب، ص٢٣٢، مقال بعنوان: السيد رشيد رضا، العدد٤٦٠ السنة العاشرة٣٠ من جمادي الأول ١٣٥٤هـ.

(٣) انظر: السيد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص ٢٥٥.

٤- رأيه في السحر.

٥- رأيه في الشياطين.

٦- رأيه في الجن .

٧- رأيه في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم .

٨- رأيه في بعض المسائل الفقهية.

٩- موقفه من مبهمات القرآن. (١)

ومع هذا، فإن هذا التفسير قد دافع عن الإسلام والقرآن، وكشف عمّا أحاطه بهما المستشرقين من شكوك وشبهات، وتلك مزية لهذا التفسير يُحمد عليها بعد وفاة شيخه ركز على ترجيح مذهب السلف على المنهج العقلي، وأخذ بمقومات منهج السلف في التفسير، وتوسع كثيراً في الاقتباس من أمهات كتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرّحمن الرومي، ٢/٨٢٧-٨٤٨، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـ.

المبحث الثامن

إنشاء مدرسة الدعوة والإرشاد

إن إنشاء هذه المدرسة أو المعهد يعتبر مفخرة عظيمة من مفاخر الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله- وتبرز أهمية هذه المدرسة باعتبارها مؤسسة تربوية تعليمية منظمة حاول من خلالها الشيخ أن ينقل كثيراً مما دعا إليه في مجال الإصلاح الديني والتعليمي من حيز النظرية إلى مجال التطبيق. (١) إلا أنها في حياتها القصيرة يخرج الباحث فيها بمعلومات مهمة عن حياة الشيخ وحبه لنشر الدعوة إلى الله بوسائل مهمه تنشئ جيلاً من الدعاة إلى الله مؤهلين لهذه المهمة يقول الشيخ في ذلك: (فتحت مدرسة دار الدعوة والإرشاد وهي منتهى رجائي في خدمة الإسلام، وغاية سعيي في إصلاح التربية والتعليم، وأقر الله عيني برؤيتها والبدء بإلقاء الدروس فيها). (٢) وكان الشيخ جل حياته يتحدث عن التربية والتعليم ويحث عليها ويحث على الاهتمام بها جميع أطراف العملية التعليمية بل جعلها هي المحرك للأمم ولا يخفي كلماته الرنانة في ذلك التي تقول: (أيها الشرقي المستغرق في منامه، المبتهج بلذيذ أحلامه، حسبك حسبك! فقد تجاوزت بنومك حد الراحة، وكاد يكون إغماءً أو موتاً زؤاماً، تنبه من رقادك، وامسح النوم عن عينيك، وانظر إلى هذا العالم الجديد، فقد بُدِّلت الأرض غير الأرض، ودخل الإنسان في طور آخر خضع له به العالم الكبير، فهذه الجمادات تتكلم بغير لسان، وتكتب من غير قلم ولا بنان، والوحوش حُشرت مع الأنعام، والمراكب تجوب السهوب والفيافي وتفترع الأعلام، بل طارت في

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، من مقال لعبد الرّحمن عاصم، ٧٠٦/٣٥.

(٢) المرجع السابق، ٣٢١/١٥.

الهواء تسابق الرياح، وتساهم ذوات الجناح، واستولى أخوك المستيقظ على قوى الطبيعة، فقرن بين الماء والنار، وولدهما البخار، واستخدم الكهرباء والنور فاخترق بذلك الجبال، واختبر أعماق البحار، وعرف مساحة الهواء، ونفذت أشعة بصره الكثائف، ووصلت أمواج صوته إلى كل مكان سحيق، فقرب أبعاد الأرض وجمع بين أقطارها، بل عرج بهمته للقبة الفلكية فعرف الكواكب ومدارها، ومادتها ومقدارها). (١)

وقد وجد الشيخ في هذه المدرسة تطبيقاً لما دعا إليه واختصاراً للوقت الذي أمضاه في الدعوة إلى الدين والعلم بل وجد فيها أنه سيوزع عمره الذي لم يتجاوز السبعين على مدرسة كاملة بهذه الفكرة، فسارع إلى تطبيقها عن طريق هذه المدرسة التي سوف نتطرق بإذن الله إلى توضيح كامل عنها يتضح لنا فيه ما كان بداخل هذا الرجل من الهم للدعوة ومن الغيرة على الدين ومن حب لمسابقة الوقت مبيناً كيف تكون المدارس الإسلامية وكيفية إعداد الدعاة إلى الله .

تأسيسها.

يذكر الشيخ أن فكرة إنشاء هذه المدرسة وجمعيتها قد اختمرت في رأسه منذ كان طالباً، إذ كان يتردد على مكتبة المبشرين الأمريكان التي وضعوها في طرابلس يقرا هناك جريدتهم الدينية وبعض كتبهم ورسائلهم وكثيرا ما كان يجادل قساوستهم ومعلميهم، وتمنى في ذلك الوقت لو كان للمسلمين جمعية كجمعيتهم ومدارس كمدارسهم، وبعد تسع سنوات من هجرته إلى مصر تبلورت في ذهنه فكرة إنشاء هذه المدرسة وجمعيتها.

وإن أهم شيء دفع الشيخ إلى إقامة هذه المدرسة هو كثرة المكاتبات التي وردت إليه في مجلة المنار من شتى البلدان الإسلامية تشكو من نشاط المبشرين الاستعماريين في بلادها

(١) المرجع السابق، ١/٩.

وتستنجد بأصحاب الغيرة والإصلاح الإسلامي لتدارك ذلك الخطر عن طريق التعليم في المدارس الخاصة والوعظ في الملاجئ والمستشفيات التي يقيمونها هناك، ومن هذه المكاتبات التي وصلت للشيخ خطابٌ من مسلم سائح في سنغافورة يشكو من نشاط المبشرين الهولنديين في اندونيسيا وبخاصة في جاوه، وكذلك رسالة من مسلم في السودان يشكو من نشاط المبشرين الانجليز هناك. (١)

وكان الشيخ يميل إلى جعل الأستانة مقراً لهذه المدرسة، فهي وسيلة لارتقاء مسلمي الدولة العثمانية في دينهم ودنياهم وعرض الشيخ المشروع هناك على وزراء الدولة وكبرائها من رجال جمعية الاتحاد والترقي وغيرهم، فأظهروا له الاستحسان أول الأمر. (٢) وطلبوا منه أن يصرف النظر عن البحث في مسالة تخريج دعاة الإسلام وان تسمي المدرسة المراد إنشاؤها دار العلم والإرشاد وجمعيتها جمعية العلم والإرشاد وقد علل الشيخ بعد ذلك هذا التصرف من قبل الاتحاديين بأنهم كانوا يخافون من كل ما يخيف المستعمرين الأوروبيين مداراة لهم وخوفا منهم، فالاتحاديون خافوا أن في المدرسة عزاً للإسلام، وهذا يخافه الأوروبيون ويحاربونه.

وأقام الشيخ عاما كاملا في الأستانة يعمل للمشروع ويروج له بين المستنيرين وأصحاب المناصب حتى انتهى الأمر إلى التسويف والمماطلة في تنفيذ فكرته، وكانت جهود الشيخ ومحاولاته بإقناعهم بفكرته شبه مستحيلة، وعاد الشيخ إلى مصر بعد أن اقتنع بعدم صدق وعود الحكام الاتحاديين وقرر العزم على إنشاء الجمعية والمدرسة في

---

(١) انظر: عقيدة الصلب والفداء، رشيد رضا، ص٣-٤. ومجلة المنار، رشيد رضا، ١٤/٤٢-٤٣ و ١٤/٥٠-٥١. ورشيد رضا، ابراهيم العدوي، ١٨٢-١٨٣.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٣/ ٧٤٨ -٧٥٢ و١٤/٤٣ و١٥/٢٢٦.

القاهرة، بعد عرضها على الحكومة المصرية التي وعدته بمساعدته على إقامتها في القاهرة فالفت حينئذ الجمعية باسم جمعية الدعوة و الإرشاد وأسس لها مدرسة باسم دار الدعوة والإرشاد وكان افتتاح أبوابها عام ١٣٣٠هـ ١٩١٣م. (١)

نظـــامها.

كان الشيخ قد أصدر في مجلته نظاما مفصلا لجمعية الدعوة والإرشاد ومدرستها ونشره في المنار وفي بعض الصحف المصرية، فأراد أن يعلن نظامها بكل وضوح وقد وضع ذلك النظام ونسقه الشيخ بنفسه على غرار ما كانت عليه المدارس من نظام حديث. (٢)

وينص نظام الجمعية على أسماء أعضائها وكان الشيخ وكيلا لها وناظراً لمدرسة الدعوة والإرشاد، كما ينص نظامها على أن المقر الرئيسي للجمعية مدينة القاهرة، ويجوز إنشاء فروع لها في أقطار العالم الإسلامي، على إن يجعل لكل فرع مجلس إدارة، أما المقصد الرئيسي للجمعية فهو إنشاء مدرسة إسلامية تدرس فيها جميع العلوم والفنون التي تدرس عادة في الكليات مع التربية الدينية، وزيادة العناية بالعلوم الإسلامية.

ويمكن تلخيص المعالم البارزة في نظام هذه المدرسة كما أوضحها الشيخ في مجلته بالآتي:

أولًا: أساس نظامها الآيتين الكريمتين في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٣/٧٤٨-٧٥٢ و١٤/٤٣ و٥/ ٢٢٦.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٣ /٤٦٥ وما بعدها و١٥/٩٢٣.

لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٣ – ١٠٤.

ثانياً: يــُختار طلابها من طلاب العلم الصالحين من مسلمي الأقطار الإسلامية ويفضل الذين هم اشد حاجة للعلم من غيرهم كأهل جاوة والصين.

ثالثًا: تربية طلابها على آداب الإسلام وأخلاقه وعباداته بحيث يطرد من المدرسة من ثبت عليه الكذب أو إظهار العصبية الجنسية أو المذهبية أو ارتكاب شيء من المعاصي، كما يعُودون على قيام الليل وصيام أيام من كل شهر وعلى ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن مع التدبر.

رابعاً : كانت الدراسة في هذه المدرسة على مرحلتين :

المرحلة الأولى : إعداد المرشدين مدتها ثلاث سنوات يعطى بعدها الطالب شهادة مرشد إذا قضى هذه السنوات الثلاث ونجح فيها، وهذه الشهادة تؤهل الطالب للقيام بالدعوة والإرشاد بين المسلمين، ويشترط لدخول الطالب هذه المرحلة أن يكون ما بين العشرين والخامسة والعشرين من عمره، وان يكون له إلمام بالعلوم الأخرى وبنجاح الطالب من هذه المرحلة يحق له دخول المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية: إعداد الدعاة ومدتها ثلاث سنوات أخرى يقبل الدخول فيها لمن اجتاز المرحلة الأولى ويستثنى من ذلك من اجمع أعضاء جمعية الدعوة والإرشاد على صلاحيته لدخولها وأنّه مهيئ لذلك، ويعطى الناجح من هذه المرحلة شهادة داعية تؤهله لأن يصبح داعية من الدعاة المسلمين الذين يقومون بنشر الإسلام ودعوة غير المسلمين للدخول فيه والدراسة في هذه المرحلة أوسع وأعمق وتشتمل على العلوم الإسلامية والعربية والاجتماعية والمنطقية والفلسفية، وطرق الدعوة إلى الله ورد الشبهات عن الإسلام، مع قسط من اللغات الأجنبية أوروبية وشرقية، وباكتمال هاتين المرحلتين

تتحقق أهداف الدعوة والإرشاد ومدرستها وهى: الوعظ والإرشاد للمسلمين، والدعوة إلى الإسلام في الشرق والغرب.

وينص نظام المدرسة على إرسال الدعاة والمرشدين الذين يتخرجون في المدرسة إلى اشد البلاد حاجة إليهم كجاوة والصين ثم إلى الشعوب الوثنية وأمريكا وأوربا وغيرها فالدعاة منهم يرسلون إلى البلدان الإسلامية التي هي بحاجة إليهم في الوعظ والإرشاد، والمرشدون منهم يرسلون إلى بلاد غير المسلمين لنشر الإسلام بينهم، ويوجب النظام على كل طالب قبول التوجه إلى أي بلد تريده المدرسة إيفاده إليه. (١)

خامسا : ينص نظام المدرسة على أن يدرس فيها ما يحتاج إليه الدعاة والمرشدون من العلوم الدينية كالعقائد والتفسير والحديث والأحكام، على الوجه المؤدي إلى القدرة على إقامة الحجة ودحض الشبهة، وما يحتاجون إليه من العلوم الرياضية والكونية واللغات لأجل ذلك. (٢) وقد زادت تلك العلوم التي تدرس في المدرسة على الثلاثين علما أغلبها يشترك فيه كالمراحل وسنوات المدرسة مع تفاوت في الكمية والكيف وبعضها تنفرد فيه مراحله عن أخرى حسب الحاجة، كانت هذه العلوم منها ما هي إسلامية أو اجتماعية أو عربية أو علوم مكمله أخرى بجانب اللغات .

سادسا: ينص نظام الجمعية والمدرسة بأن كل متبرع للجمعية بشكل مستمر فهو عضو فيها، وأعضائها أربعة أنواع: مؤسسون، وعاملون، ومعاونون، وأعضاء شرف.

ووضع للجمعية عدة لجان: منها لجنه المراقبة المالية التي تتولى حصر أموال الجمعية وطرق صرفها.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١٤/٥٣ و١٤/٧٨٦-٧٨٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ١٣/ ٥٢ و١٤/٨٠١-٨٠٢.

أما موارد الميزانية المالية للجمعية فتأتي من الاشتراكات والتبرعات والهدايا والوصايا التي يرجى إن توقف لهذا العمل. (١)

ويجب إن يشار هنا أن الجمعية ومدرستها قد لاقت صعوبات ماليه عند إنشائها ومع ذلك فقد قيد الله لهذا العمل الإسلامي أناس كان تبرعهم سخيا وتشجعهم عظيما. (٢)

والحق أن الشيخ قد دفع بنفسه وماله وقلمه في سبيل استمرار مدرسته وتحقيق هدفها، وكان بها مسرورا فخورا حتى إنّه فكر في الدعوة إلى مؤتمر إسلامي في مصر تحت إشراف جماعه الدعوة والإرشاد في تأسيس فروع لها في جميع الأقطار الإسلامية. (٣)

نهايتها.

استمرت المدرسة في تأدية واجباتها المنوطة بها، ولم يمضِ على إنشاء المدرسة ثلاث سنوات إلا قليلاً حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى عام ١٣٣٣هـ فكان من سيئات تلك الحرب أن قطعت الحكومة المصرية إعانة الأوقاف للمدرسة وتناقصت التبرعات التي

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١٤/١١٤-١٢٠و١٤/٥٣.

(٢) وكان على رأس هؤلاء الشيخ قاسم بن محمد آل إبراهيم من كبار تجار الجاليات العربية في بومبي بالهند الذي تبرع للجمعية ومدرستها بألفي جنيه إنجليزي إسترليني تبرعا مقدما، كما تبرع بمائة جنيه سنوياً، وهوا تبرع كبير لا يستهان به في ذلك الوقت، ولذلك اجمع أعضاء الجمعية على جعل الشيخ قاسم آل براهيم عضو شرف في الجمعية، ووزعت المدرسة مكافآت ماليه لطلابها كل سنه باسمه، كذلك دعم الخديوي عباس حلمي الثاني للمدرسة وتبرع لها بمائة جنيه وكذلك ما قدمته الحكومة لها من الصرف عليها من الأوقاف. (انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٤/١٩٣-١٩٥ و١٧/٤٦١).

(٣) انظر: المرجع السابق، ١٤/٧٣٧.

كانت تردها، عندئذ اضطرت المدرسة أن تكتفي بمن فيها من الطلبة، ولم تلبث أن أغلقت أبوابها نهائياً عام ١٣٣٥ھ. (١)

وهكذا قدر لهذه المدرسة الإسلامية ألا تستمر طويلاً وأن تموت وهي وليدة، وهي مع قصر حياتها حققت بعض أهدافها، فهي تعد تجربه للمسلمين في هذا الميدان، مهدت الطريق لمن يأتي بعدها لغرس مثل هذه المدارس في تاريخ الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر ووضعت لها نظاماً وأهدافاً دقيقة ومفيدة يمكن الاستفادة منها في إنشاء مثل هذه المشروعات الإسلامية.

كما أنها حققت الوحدة الإسلامية في أسمى معانيها وأصغر صورها فقد اجتمع طلابها من جميع الأجناس والأقطار باسم الإسلام والدعوة إليه، فكان الشرقي والغربي والتركي والفارسي والهندي والصيني والاندونيسي وغيرهم، وكانوا مؤثرين في مجتمعاتهم. (٢)

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١٤/ ٧٣٧و٧٣٨.

(٢) ومن هؤلاء الشيخ يوسف ياسين مستشار الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، والشيخ أمين الحسيني مفتي فلسطين في ذلك الوقت، والشيخ عبد الرازق المليح آبادي العالم والصحافي الهندي المشهور، والشيخ محمد بسيوني عمران في جاوة بإندونيسيا، والشيخ محمد بهجة البيطار في سوريا، والشيخ محمد حامد الفقي رئيس أنصار السنة المحمدية بمصر، والشيخ محمد عبد الرازق حمزة و الشيخ عبد الظاهر أبي السمح وكلاهما من أئمة الحرم المكي والأستاذ عبد السميع البطل وغيرهم. (انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٥/١٩٧و١٩٨).

الفصل الخامس

جهود الشيخ محمد رشيد رضا في دعوة الطوائف المنحرفة إلى العقيدة الصحيحة والرد عليهم

وفيه ستة مباحث:

المبـــــــحث الأول: النصرانية .

المبـــــــحث الثاني: القاديانية.

المبـــــحث الثالث: البهائية.

المبـــــحث الرابع: الماسونية.

المبحث الخامس: القومية.

المبحث السادس: دعاة التغريب.

المبحث الأول

النصرانية

التعريف:

هي الدين الذي انحرف عن الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية. (١)

ولقد اهتم الشيخ بالرد على الفرق المخالفة للدين الإسلامي ومن أبرزها الديانة النصرانية ولتوضيح سبب ذلك يقول: (لا يزال دعاة النصرانية المبشرون يطعنون على الإسلام بما ينشرون من الرسائل والمقالات، وإنني أتعمد ترك قراءة ما يصل إلي من مجلاتهم ورسائلهم حتى لا أفتح على نفسي باب الرد عليهم، إذ رد الشبهات الموجهة إلى الإسلام إنما يجب على من عِلِمه وجوبًا كفائيًا، وقد كنت أكره الرد عليهم لولا ذلك، وإن كانوا يظنون أنه من مقاصد المنار ومشروع الدعوة والإرشاد الذي أكبروا أمره.... نعم: إن من مقاصد المنار رد الشبهات عن الإسلام مقاومة للشك والتشكيك فيه، وإنما أكره الجدل، وأكره تعمد مناقشتهم أو فتح بابها عليّ، لأنهم هم الذين يتعرضون لها

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، ٥٦٤/٢، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر التوزيع، ط ٤، ١٤٢٠هـ.

وينتفعون بها، وما أكثرت من محاجة أهل الكتاب في سنتي المنار الأخيرتين إلا في التفسير، إذ اتفق بلوغي فيه إلى سورتي النساء والمائدة المدنيتين، وأكثر ما في القرآن من محاجة أهل الكتاب في هاتين السورتين وأقله فيما قبلهما، على أن فيه أيضا ما أوجبه الإسلام من إنصافهم والعدل فيهم، وبيان مودة النصارى منهم..... لهذا كنا نظن أن باب محاجة أهل الكتاب يكون مقفلا في المنار إلى ما شاء الله، ولكن مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) نشرت في العدد الذي صدر منها في أول الشهر الماضي أبريل مقالة عنوانها السنة وصحتها طعنت فيها على السنة النبوية، وزعمت أن طعنها يوجب الريب في الشريعة، وترك العمل بها، وأنها لا قيمة لها في نفسها، وقد جاءتنا المجلة فلم نفتحها، ثم علمنا بتلك المقالة فلم نقرأها، ثم رأينا لهذه المقالة تأثيرًا سيئًا في المسلمين.... ووصلت إلينا نسخة منها، واقترح علينا كثيرون أن نرد عليها فوجب شرعًا إجابة طلبهم.

ومما أكد وجوب الرد ما رأيناه في المقالة من مطالبة ثلاث مئة مليون من أهل السّنّة بالجواب عنها! فلا ندع لهم مجالا أن يقولوا للمسلمين: إنه لم يستطع أحد من علمائكم أن يدافع عن سننكم وشريعتكم، ولا يرد شيئًا من حججنا عليها). [1]

وقد كان الحوار والمناظرة خير وسيلة للرد على النصارى، لما كان يراعيه الشيخ فيها من أصول علمية يصل بها للفائدة المرجوة ومن هذه الأصول:

الأصل الأول: سلوك الطرق العلمية والتزامها، ومن هذه الطرق: تقديم الأدلة المُثبِتة أو المرجِّحة للدعوى كصحة النقل وقوته.

الأصل الثاني: سلامة كلامِ المناظر ودليله من التناقض.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩/ ٢٥.

الأصل الثالث: الاتفاق على منطلقات ثابتة وقضايا مُسَلَّمة من الطرفين يبدأ منها الحوار .

الأصل الرابع: البعد عن التعصب، والالتزام بآداب الحوار، ومنها عدم التهكم بالطرف الآخر وبأفكاره قال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾الأنعام: ١٠٨.

الأصل الخامس: أهلية المحاور.

الأصل السادس: ان يكون الهدف من الحوار الوصول للحق.

الأصل السابع: أهمية موضوع الحوار. (١)

ردود الشيخ على النصرانية.

سلك الشيخ عدة أساليب في رده على أتباع الديانة النصرانية يمكن إجمالها فيما يلي:

١ - كتابة المقالات وتأليف الكتب:

لقد كان الشيخ –رحمه الله– في أول دراسته وطلبه للعلم في الشام ثم في مصر وقف موقف الراصد المراقب لما يظهر له من النصارى واساليبهم وشبهاتهم مكتفياً بوجود علماء آخرين عندهم الاستطاعة والباع الطويل في هذه الردود والمناظرات، للخوض في هذا المجال، وبعد هذه الفترة انتقل إلى مرحلة أخرى وهي بكتابة الردود على مطاعنهم وشبهاتهم، ومن ذلك ما كتبه ونشره في مجلة المنار في سلسلة الرد على مطاعن النصارى

---

(١) انظر: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، ١٣-٢٤، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط١، ١٤١٥هـ.

على الإسلام والتي سماها شبهات النصارى وحجج المسلمين. [١] والتي جمعت في كتاب مستقل بنفس العنوان، ورد فيها على مختلف المطاعن التي يبثها المنصرون وأعوانهم على الإسلام ولعل من أول ردوده عليهم والذي نشره في مجلة المنار مدافعاً عن القرآن الكريم يقول الشيخ: (نرى العالم الشهير والفيلسوف الكبير يؤلف كتابًا في عاصمة من عواصم أوربا، فتطبع منه مئات الألوف من النسخ ويثق الناس بإسناده إلى صاحبه، وإنما يكون صاحبه أعطاه إلى صاحب مطبعة أو ملتزم طبع في خلوته، فأخذه وطبعه، فيكون رواية واحد عن المؤلف، وقد كان الصحابة لا يقبلون رواية الواحد عن النبي صلى الله عليه وسلم في شيء من القرآن، وإن كان في نواصيهم علمًا وعدالة وحفظًا ودراية، وبعد هذا كله تتكلمون في نقل القرآن وجمعه ولا تخجلون من أنفسكم ولا من الناس، ولا تعلمون أن هذا يزيد المؤمنين إيمانًا بكتابهم، وبحثًا عن كتابكم، وهذه هي الفضيحة الكبرى). [٢]

ومن ضمن بحوثه وكتبه المستقلة في الرد على النصارى كتابه نظرة في عقيدة الصلب والفداء. [٣] والذي كان سلسلة مقالات ضمن مجلة المنار يقول الشيخ: (ثم بدا لي أن أكتب في هذا رسالة مستقلة ألخص فيها ما سبق لي نشره في مجلة المنار وتفسيرها، ومنه ما طبع مستقلا كرسالة عقيدة الصلب والفداء وأزيد عليه ما أقف عليه بعد نشر هذا البحث، والله الموفق وهو المستعان). [٤] وقد رد على النصارى فيها عن عقيدة الصلب والفداء مبينا ذلك بالأدلة النقلية والبراهين العقلية يقول في بعضها: (وإذا أراد السائل

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢١٧/٦. وككتاب مستقل جمعت هذه المقالات وطبع في مطبعة المنار سنة ١٣٢٢هـــ، بعنوان: شبهات النصارى وحجج المسلمين.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٠٧/٦.

(٣) طبع في مطبعة المنار، سنة١٣٣١هـــ.

(٤) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٠٤/٣٣.

الفاضل أن يعرف فساد هذه العقيدة بالأدلة التفصيلية، فليقرأ تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[النساء: ١٥٧] .. إلخ من أواخر سورة النساء في الجزء السادس من تفسيرنا، أو رسالة عقيدة الصلب والفداء، المستخرجة من هذا التفسير). [١]

ومن ضمن كتبه المستقلة في الرد على مطاعن النصارى كتابه نداء للجنس اللطيف. [٢] والذي كان أيضا سلسلة ضمن مجلة المنار قبل أن يفرد بالطباعة ومدار موضوع هذا الكتاب هو كما يقول الشيخ: (وكان عرض لي أن أبسط بعض المسائل ولا سيما مسألة تعدد الزوجات، وحكمة كثرة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم). [٣] وقد تحدث فيه مدعما ذلك بكثير من الأدلة النقلية والعقلية عن هذه المسائل وردّ على شبهات المنصرين حولها.

ومن ضمن كتبه كتاب بعنوان: المسلمون والقبط. [٤] فقد تكلم فيه عن النصارى في مصر ويمكن أن يصنف ضمن الكتب السياسية والاجتماعية التي تتعلق بالرد على مطالب القبط من الحكومة المصرية وتظلمهم للدول الغربية منها.

٢ - المناظرة:

من الأساليب التي استخدمها الشيخ أسلوب المناظرة للمنصرين وهو ما غلب عليه في كثير من محاوراته ومناقشاته مع أهل الملل والأديان الأخرى لا سميا النصارى مستمداً

(١) المرجع السابق، ٨١/٢٩، مقال بعنوان فتاوى المنار.
(٢) طبع في مطبعة المنار، سنة ١٣٥١هـ. (انظر: المرجع السابق، ٧٠٥/٣٢).
(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٥٢/٣٢.
(٤) طبع في مطبعة المنار، سنة ١٣٢٩هـ. (انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ١٥٩/١٤).

ذلك من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ النحل: ١٢٥ وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت: ٤٦، يقول الشيخ محمد رشيد رضا –رحمه الله- : (فعلى رجال الدعوة والإرشاد الذين قد أخذوا على عواتقهم هذه الأمانة وعاهدوا الله عليها وهي إرشاد المسلمين إلى أوامر دينهم ودعوة غيرهم إليه أن يظهروه في ثوبه الحقيقي، وأن يجعلوا نصوص الكتاب والسنة وأعمال النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح أمام أعينهم ليسيروا عليها، وليفطنوا لمقاصد الدين التي جاء إليها، وهي إصلاح نفوس البشر وتحليتها بالفضائل، وتطهيرها من الرذائل لتكون أهلاً لجوار الله تعالى في الآخرة ....). [1]

أمثلة من المناظرات بين الشيخ مع المنصرين.

١- رد الشيخ على مطاعن المستشرقين فيما يتعلق باتهام أبي هريرة رضي الله عنه بالكذب في الحديث بردود مقنعة مفنداً فيها هذه التهم بالدليل من الكتاب والسنه على منهج السلف الصالح رداً مفحماً مبرأً ساحة ابي هريرة رضي الله عنه ومن هذه الردود يقول: (إن التهم كما في الشرائع لا تثبت إلا بالبينة والدليل ولم يقم دليل واحد على صدق هذه التهمة، وإنما عرض لبعضهم شبه قديماً وحديثاً لكثرة روايته دون غيره من الصحابة، وهذه الشبه تزول إذا زال سببها وهو معرفة سبب كثرة رواياته رضي الله عنه). [2] وغيرها مما قد سبق ذكره في هذا البحث.

٢- المناظرة التي نقلها الشيخ في مجلة المنار رداً على بعض شبهاتهم ضد الدين الإسلامي يقول في ردوده: (شبهات المشكك-والرد عليها-:

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٥/٥٥٤.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩/٣٧. وقد سبق الكلام عنها.

(١) يقول هذا الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن غرض الدين في الأرض مناقض لغرض الحكومة في الأرض، فكيف يجمع الإسلام بين النقيضين؟ ونحن نقول له: إن الإسلام جاء للإصلاح في الأرض وكل ما يناقض الإصلاح فهو إفساد تجب إزالته، فالواجب أن يكون غرض الحكومة الإسلامية موافقا لغرض الدين الإسلامي، ومما لا خلاف فيه بين فقهاء الإسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة درء المفاسد وجلب المصالح فأي حاكم من حكامنا يقدر أن يأتينا بشرع أصلح من هذا الشرع إذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجعلنا الحاكم هو الشارع ؟ ؟ ؟ .

(٢) يقول الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن من التناقض بين وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للعقل وطرقا لسير الفكر فقيد بذلك الحرية العلمية، والحكومة لا تكلف الإنسان بأن يسير في فكره على طريق مخصوص، وإنما هي حامية لحرية النفس وما يتبعها من المال والدم والشرف، ونحن نقول: إذا كان دينك كذلك، فدين الإسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرها، وذلك أنه تقرر فيه حرية العقل فلا يخرج المسلم عن حكمه في عقائده كما بينا ذلك في الجزء الماضي، وتقرر أن أحكامه ترجع إلى خمس قواعد يسمونها الكليات الخمس.

(٣) يقول الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم، وإن اختلفت أديانهم، وأن تكون حامية لهم على السواء أيضا والدين مناقض لها في ذلك، ونحن نقول: إذا كان دينك كذلك فديننا مناقض له لا لما يجب أن تكون عليه الحكومة، وذلك أن المساواة من أصوله، وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال إلى مساواة عمر بين الإمام علي ورجل من آحاد اليهود ومطالبة علي له بالمساواة في اللقب أيضا وهذه مساواة لم تصل إليها حكومة، ولن تصل إليها حكومة إلا أن تكون

مقيمة للإسلام على حقه، وأما الحماية فمن الأصول المأثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة وأن نحميهم مما نحمي منه أنفسنا وهذه الكلمة الفضلى لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

(٤) يقول الناصح الأمين أو المشكك في الدين: إنه ليس من شأن السلطة الدينية الدخول في الأمور الدنيوية، لأن الأديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا، ونحن نقول: إذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك فإنه شرع لبيان مصالح الدارين، والإرشاد إلى طرق السعادتين، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده في دينك؟ وهل كنت أنت الواضع للأديان كلها فتقول: إنني وضعت دين الإسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فأنا الآن أطالبهم بالرجوع إلى الأصل؟ إن المسلمين لا يقبلون ذلك، لأن أئمتهم عرفوا الدين بأنه وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى ما فيه صلاحهم في الحال، وفلاحهم في المآل.

(٥) يقول الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن الجمع بين السلطتين يضعف الأمة ضعفا مستمرا، لأنه يقتضي اضطهاد العقل والذكاء ويعرض الحكومة لثورة الأمة بإغراء عدو يثيرها عليها، ويكون سبب الشقاق الديني بين الطوائف التي تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها، ونحن نقول: إن كل هذا قد وقع في دينه فلا ننكره وإنما ننكر قياس ديننا عليه وهو مباين له، وحسبنا أن الذي وقع عندنا هو نقيض ما وقع عندهم فإن الحكومة الإسلامية التي يسميها جمعا بين السلطتين وقد فهمت معناها قد أعطت الأمة قوة لم يقاوها فيها أحد في زمنها، وما ضعفت الأمة الإسلامية إلا بضعف الشرع وعدم إقامته وهذا أمر لا خلاف فيه). (١)

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٤٨١/٥. وللاستزادة من كتابات الشيخ في ذلك انظر: ١٧٩/٤ و٣٧٩و٤١١ و٤٤٨ و٥٣٦ و٥٧٤ و٦١٩ و٦٥٤ و٧٤٣ و١٨/٥و٤٨ و٤٧٠.

هذه نبذه من بعض مناظرات الشيخ مع المنصرين راعيت فيها أنها لم تذكر سابقاً في البحث رغبة في التنويع وبيان جهود الشيخ في هذا المجال.

٣ -المقارنة:

انتهج الشيخ في ردوده على النصرانية بالإضافة لما سبق أسلوب المقارنة وهو: الربط بين الموضوعات المتعددة لاستخلاص أوجه الشبه، أو الخلاف بينها، والخروج من ذلك بحكم عام، تدعمه نتائج علمية. (١)

وسلك الشيخ في المقارنة بين الديانات السماوية الثلاث، اليهودية، والنصرانية، والإسلام، وحاول خلالها تحليل الآراء بمقارنتها مع بعضها البعض، وخصوصاً الاعتقادات المتشابهة من جانب، وإبراز وسطية الإسلام بين الأديان من جانب آخر ومن أمثلة ذلك :

استدلال الشيخ على إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعقد المقارنة بينه وبين من سبقه من الأنبياء، للوصول إلى حقيقة مؤكدة، وهي: أنه إذا لم تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لم تثبت نبوة نبي قبله، وبين أن الغرض من هذه المقارنة ليس القدح في الأنبياء، بل هي طريقة ناجحة مع مستقلي الفكر من أصحاب الديانات الأخرى، فمن ذلك ما ذكره في إحدى محادثاته مع أحدهم ليقول الشيخ: (وقد جرت لنا في هذا الموضوع محادثة مع أحد علماء التاريخ المسيحيين الجغرافيين الذين لا يتعصبون في الحقيقة لدين، وكان موضوع الكلام: من هو أعظم رجال التاريخ وفرضنا أنفسنا غير معتقدين بدين، فذكرت محمدًا وذكر موسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام متفقين على أنهم أعاظم الرجال، مختلفين في أعظمهم وأفضلهم بحسب حاله وأثره التاريخي.... – ثم عقد المقارنة بين موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فقال– فأما موسى عليه السلام:

---

(١) انظر: المعجم الفلسفي، أصدره المجمع اللغوي بالقاهرة، ص ١٨٩، عام ١٤٠٣ -١٩٨٣م.

فقلت إن موسى تربى في بيت أعظم ملك في العالم لذلك العهد على أنه ابنه، فنشأ في مهد المُلك والسلطان، وأُشرب حب السيادة والحكم، وشاهد سير المدنية والعلوم الكونية والسحرية، وأبصر فنون الصنائع، وتقلب في ظل القوانين والشرائع، وأظهرت عزة الملك ما اقتضاه مزاجه من الشجاعة والإقدام، ثم لما بلغ أشده وصار لفرعون وآله عدوًّا وحزنًا علم أن له أمة مضطهدة مهانة على ما منحته من ذكاء الفطرة والجد في العمل وكثرة النسل، فاتخذهم عصبية له.... -وأما عيسى عليه السلام- فهو رجل يهودي تربى على الشريعة الموسوية، وكان تابعا لها مع نسخ قليل في أحكامها وإصلاح روحي أدبي لجمود اليهود المادي على ظواهر ألفاظها فأمكن لجاحدي الوحي أن يقولوا: إنه لا يكثر على رجل مثله زكي الفطرة زكي العقل ناشئ في حجر الشريعة اليهودية والمدنية الرومانية والحكمة اليونانية غلب عليه الزهد والروحانية أن يأتي بتلك الوصايا الأدبية .... -وأما محمد صلى الله عليه وسلم -فقد تربى يتيمًا في أمة وثنية أمية جاهلية، ليس لها شرائع ولا قوانين ولا مدنية ولا وحدة قومية ولا معارف ولا صنائع، وكان أعظم ارتقاء بلغته في عهده أن وجد بضعة نفر تعلموا الكتابة بسبب اختلاطهم بالأمم الأخرى، ولم يكن هو منهم ولا السابقون إلى الإيمان به، ومع هذا أوجد أمة ودينًا وشريعة وملكًا ومدنية في مدة قريبة لم يعهد مثلها في التاريخ، وبيَن لهم العبادات بآثارها في تزكية الروح وتطهيرها ككون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لما اشتُرط فيها من الخشوع وأباح لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، وجعل المعاملات الدنيوية دائرة على درء المصالح وجلب المنافع، وأطلق لهم حرية العقل والفكر، وساوى بينهم في الحقوق لا فرق بين الملك الكبير والصعلوك الفقير ولا بين الرجل والمرأة، وأعطى المرأة حرية التصرف في أملاكها ووضع حدودًا عادلة لتحكم الرجال في النساء، وللرق، ونقَّح نظام الحروب فمنع البغي والتمثيل بالقتلى وقتل من لا يقاتل كالنساء والشيوخ والأطفال ورجال الدين.... -ثم قال الشيخ بعد أن

ذكر هذه المقارنة-: وقد أذعن لي ذلك الفاضل بأن محمدًا عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم رجال التاريخ، إلا أنه احتج عليّ بسوء حال المسلمين، وكونهم على خلاف ما ذكرت في وصف الدين الإسلامي، فقلت له: إن بين الإسلام والمسلمين فرقًا كالفرق بين المسيحية والمسيحيين أو أبعد). [1]

وتكمن أهمية هذا الأسلوب في أنّه يعتمد على ذكر بعض معتقدات الخصم التي يسلم بها، ومن ثم يذكر بعض المعتقدات الإسلامية التي يسلم بها المسلمون، ومن ثم تعقد المقارنة بينها، مما يكون أدعى إلى اقتناع المناظر بالحجة.

٤- بيان مصادر العقائد النصرانية.

إن الشيخ في رده على عقائد النصارى يركز على إبراز مصادرها، مدللاً على أنها مقتبسة من الديانات الوثنية أو أنّها منقطعة السند، فقد تحدث عن أصل عقيدة التثليث، والصلب والفداء، ونسبة الابن لله، وعدد الشيخ في بيان بطلان عقيدة التثليث، الديانات الوثنية التي كانت تدين بهذه العقيدة قبل وجودها في الديانة النصرانية وذلك عند تفسيره قولة تعالى: ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ المائدة: ١٧، فيقول: (ولما كانت شبهتهم على كون المسيح بشرا إلها، وإنساناً رباً، هي أنه خلق على غير السنة العامة في خلق البشر، وأنه عمل أعمالا غريبة لا تصدر عن عامة البشر، قال تعالى في رد هذه الشبهة: يخلق ما يشاء، أي لما كان له ملك السماوات والأرض وما بينهما كان من المعقول أن يكون خلقه للأشياء تابعا لمشيئته،

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٤/٣٨٠-٣٨٤. وانظر: الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص٦٢. وأما ما بين الشرطتين هنا فهو من عباراتي.

فقد يخلق بعض الأحياء من مادة لا توصف بذكورة ولا أنوثة كأصول أنواع الحيوان، ومنها أبو البشر عليه السلام وقد يخلق بعضها من ذكر فقط، أو أنثى فقط، وقد يخلق بعضها بين ذكر وأنثى، ولا يدل شكل الخلق ولا سببه ولا امتياز بعض المخلوقات كالكهرباء على بعض ألوهيتها أو حلول الإله الخالق فيها، بل هذا لا يعقل ولا يمكن. فامتياز الأرض على عطارد أو زحل بوجود الأحياء فيها من البشر وغيرهم لا يعد دليلا على كون الأرض إلها لذلك الكوكب الذي فضلته بهذه المزية، كذلك سنة الله في خلق المسيح ومزاياه لا تدل على كونه إلها أو ربا لمن لم توجد فيهم هذه المزايا ؛ لأن المزايا في الخلق كلها بمشيئة الخالق، فلا يخرج بها المخلوق عن كونه مخلوقا، نسبته إلى خالقه كنسبة سائر المخلوقات إليه تعالى، وأما الامتياز ببعض الأفعال الغريبة فهو معهود من البشر أيضا، ونقل ذلك عن جميع الأمم والملل، وقد ادعت الأمم الوثنية لأصحابها الألوهية والربوبية). [(١)(٢)]

ولقد ذكر الشيخ جملة من نصوص التوراة التي تدل على التوحيد الخالص، وأن المسيح عليه السلام متبع للتوراة المبنية على أساس التوحيد، كما أخبر المسيح عليه السلام بأنه ما جاء لينقض بل ليكمل، وأورد الشيخ بعض النصوص الصريحة تنص على التوحيد الخالص في الأناجيل والرسائل فقال: (لو لم يكن عندهم من النصوص في هذه العقيدة إلا ما رواه يوحنا في الفصل السابع عشر من إنجيله لكفى وهو قوله عليه السلام وهذه الحياة الأبدية

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٦/٢٥٨.

(٢) انظر: جهود الشيخ محمد رشيد رضا في الرد على عقائد النصارى، عبد الرّحمن بن غالب العواجي، ص٣٠١-٣٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العقيدة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته.... وروى يوحنا عنه في الفصل الأول من إنجيله أنه قال: الله لم يره أحد قط ومثله في الفصل الرابع من رسالة يوحنا الأولى: الله لم ينظره أحد قط). (١)

وهذه النصوص التي نقلها الشيخ من كتبهم فيها دلالة واضحة على توحيد الله تعالى، كي تكون شاهدة على إعراضهم وكفرهم، وبعد أن استعرض الشيخ بعض نصوص الكتاب المقدس في ذلك قال: (فتبين مما تقدم أن عقيدة التثليث وألوهية المسيح المخالفة لحكم العقل ليس لها أصل في كتب الأنبياء عليهم السلام لا قطعي ولا ظني وإن شبهاتهم في العهد الجديد ضعيفة ليست نصاً ولا ظاهرة فيها على أن كتب العهد الجديد لا يوثق بها فإن النصارى قد أضاعوا أكثر ما كتب من إنجيل المسيح في عصره ثم رفضت مجامعهم المسكونية الرسمية بعد دخول التعاليم الوثنية فيهم من قبل الرومانيين أكثر ما وجد عنهم من الأناجيل التي كانت تعد بالعشرات وقيل بالمئات واعتمدت أربعا منها ليس فيها إلا قليل مما رووه من أقوال المسيح وأفعاله كما قال يوحنا في آخر إنجيله). (٢)

٥ – الرد عليهم من كتبهم :

من اعظم ما يفحم الخصم اثناء الرد عليه بيان بطلان أصوله التي يبني عليها حجته ومنها يستمد ادلته وبراهينه وقاعدته التي ينطلق منها، والرد على النصارى من كتبهم له الأثر الكبير عليهم وعلى مجتمعهم تضطرهم للهروب من المناظرات مع صاحب هذا الأسلوب وهو ما كان أحد ركائز الشيخ في الرد عليهم فيقول الشيخ: (أذكر أنه كان لهؤلاء المبشرين مدرسة في باب الخلق، فبينما كنت مارًّا من أمامها منذ٢٩سنة، قال لي

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٧٦/٦.

(٢) المرجع السابق، ٣٠٥/١٠.

رجل منهم: تفضل واسمع كلام الله، فدخلت فإذا بخطيب يقرر لهم عقيدة الصلب والفداء، فلما أتم كلامه قمت بجانبه وقلت له: اسمح لي أن أعيد عليك ما فهمته منك، لتعلم هل كان فهمي صحيحًا كما أردت أم لا ؟ فأذن، فقلت: ملخص كلامك: أن الله تعالى وقع في مشكل عظيم بعد خلقه لآدم وعصيان آدم له، وهو أنه لما كان سبحانه رحيمًا كامل الرحمة، وعادلاً كامل العدل، رأى أنه إذا عاقب آدم لا يكون رحيمًا، وإذا عفا عنه لا يكون عادلاً، فظل يتفكر في استنباط وسيلة للجمع بين العدل والرحمة، حتى اهتدى إليها بعد ألوف من السنين وذلك في السنة التي ولد فيها المسيح، وهذه الوسيلة هي أن يعذب المسيح المعصوم من كل ذنب بعذاب الصلب، وقبول اللعن، ودخول الجحيم المسجلين في الكتاب على كل من يصلب لأجل إنقاذ آدم وذريته من عذاب تلك الخطيئة التي لحقت بهم كلهم على دعواكم، وبذلك جمع بين العدل الرحمة، ولكنني رأيت أن الظاهر المتبادر من هذه الحكاية، أن الرب سبحانه وتعالى قد فقد كلاً من العدل والرحمة بتعذيبه للبريء وعفوه عن المذنب بل عن الملايين من المذنبين، فضلاً عما يلحقهم من خطيئة آدم على زعمكم، ثم إنه مع هذا لم يتم للرب تعالى عما تقولون ما أراد من الرحمة ببني آدم، لأنكم تقولون: إنه لا ينال نعمة النجاة من العذاب بهذا الفداء إلا من صدق هذه الحكاية غير المعقولة وغير اللائقة بجلال الرب وعظمته وتنزهه عن كل نقص ومن المعلوم عندنا بالضرورة أن أكثر بني آدم لم يصدقوها، فإذًا لا بد أن يعذبهم الله بذنب آدم، حتى من كان منهم لم يعص الله تعالى قط، فهل تدعوننا لأن ننسب كل هذا الجهل والحيرة والفشل إلى الله تعالى الكامل المنـــزه عن كل نقص؟ فصاح المسلمون الحاضرون: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقال القس المبشر: جوابي أننا غير مأمورين هنا بأن نجادل أحدًا، ولكن لنا مكتبا مفتوحًا لأجل الجدال، فإذا زرتنا فيه نجيبك عن كل ما ذكرته، قلت: إنني على علم برهاني فيما أقول وأعتقد، فلست بمحتاج إلى جوابكم

عن شيء. ولكن كيف تلقنون الناس ما يفسد عليهم إيمانهم بتنــــزيه الله وتعظيمه، وتتركونهم في ضلالهم يعمهون إن صدقوكم ؟). [١]

ويبين لنا الدافع للدعوة لدى الطرفين مختلف باختلاق النية والأجر فيقول الشيخ: (إن المسيحيين يبشرون لأن السياسة تدفعهم، والجنيهات تتبعهم، والمدافع تمنعهم أي تحميهم وأما المسلمون فإنهم على ضعفهم العلمي والاجتماعي والسياسي لا يزالون يدعون إلى الدين مندفعين إليه بدافع الاعتقاد، ولكن على ضعف تؤيده قوة الحق، فيكون أنجح وأقرب إلى القبول، وطالما شكا دعاة المسيحيين من تقدم الإسلام في أفريقيا وسبقه للمسيحية مع شدة العناية بنشرها). [٢]

كانت هذه نماذج لأهم جهود الشيخ في رده على الديانة النصرانية بارزة فيها جهوده في الرد عليهم بما يعد مرجعاً للعلماء المسلمين في هذا الباب.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٨١/٢٩.

(٢) المرجع السابق، ٦١٩/٤.

المبحث الثاني

القاديانية

نشأت هذه الفرقة على يد غلام بن أحمد القادياني[١] وكتب الشيخ عنها وحاربها وبين عورها يذكر الشيخ عن مؤسسها أن هذا الرجل جاء بكتاب ملأه بالترهات والأكاذيب وزعم أنه قرآنا من عند الله يقول الشيخ : (ثم ابتدع بعض الأذكياء [٢] في القرن الماضي دينًا جديدًا، وضعوا له كتابًا توخوا وتكلفوا فيه تقليد القرآن في فواصله وادعوا محاكاته في إعجازه بهدايته ومساهمته بإنبائه عن الأمور الغائبة المستقبلة فكان من خزيهم وخذلان الله لهم أن اضطروا إلى كتمان هذا الكتاب المختلق والإفك الملفق

---

(١) هو الميرزا غلام بن أحمد بن غلام مرتضى ابن عطاء محمد، زعيم القاديانية، ولد سنة ١٨٣٩م في مدينة قاديان أحد مدن مقاطعة بنجاب في أسرة معروفة بخدمة الاستعمار الإنجليزي ومشهورة بالتعاون والولاء لطائفة السيخ التي هي من ألد الأعداء للإسلام والمسلمين في الهند دعم الاحتلال الإنجليزي للقارة الهندية وتدرج في دعواه حتى ادعى النبوة، فادعى أولاً أنه يترل عليه الوحي عن طريق الإلهام ثم ادعى ثانياً أنه مجدد العصر وأنه يشبه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام في صفة التواضع والدعة والمسكنة وفي المرحلة الثالثة زعم أنه هو المسيح الموعود بتروله في آخر الزمان ولكنه قال بأنه نبي نبوة جزئية، وقعت في عام ١٩٠٧م بين القادياني وبين العلامة ثناء الله الأمر تسري مناظرات خرج الغلام منها مدحوراً مغضباً، ثم تحدى القادياني الشيخ ثناء الله بأن الله سيميت الكاذب منهما في حياة الآخر، ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل في حياة صاحبه، ويسلط عليه داء مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه وفي شهر مايو ١٩٠٨م أجيبت دعوته فأصيب بالهيضة الوبائية الكوليرا في لاهور، فمات في بيت الخلاء، له عدة كتب منها: حقيقة الوحي وترياق القلوب ومواهب الرحمن وغيرها. (انظر: الأعلام، الزركلي، ١/٢٥٦).

(٢) وصفه بالذكاء استهزاء به.

لكيلا يفتضحوا بظهوره وهم مازالوا يجمعون ما كانوا طبعوه من نسخه قبل أن يظهر فيهم الداهية الواقف على مخازي تزويره وهم يحرقون ما جمعوه منها، ولعلهم ينقحونه ثم يبرزونه لجيل لم يطلع عليها). [١]

وقد أشار الشيخ في نفس السياق السابق بأن قال: (المقام مقام عجز مطلق فالقرآن في البيان والهداية كالروح في الجسد والأثير في المادة والكهرباء في الكون تعرف هذه الأشياء بمظاهرها وآثارها، ويعجز العارفون عن بيان كنهها وحقيقتها وفي وصف ما عرف منها أو عنها لذة عقلية لا يُستغنى عنها كذلك ما عرف من أسباب عجز العلماء والبلغاء عن الإتيان بسورة مثل سور القرآن في الهداية أو الأسلوب أو حسن البيان فيه لذات عقلية وروحية وطمأنينة ذوقية وجدانية تتضاءل دونها شبهات الملحدين وتنهزم من طريقها تشكيكات الزنادقة والمرتابين). [٢]

ولقد تكلم الشيخ عن القاديانية فذكر مولد مرزا غلام مؤسس القاديانية فيقول الشيخ عنه: (وظهر في الهند رجل آخر سلمي بالطبع ادعى أنه هو المسيح الموعود به، وهو غلام أحمد القادياني، الذي نقلنا عن بعض كتبه نبأ التجاء المسيح عيسى ابن مريم إلى الهند، وهو إنما عني ببيان ذلك ليجعله من مقدمات إثبات دعوته، وقد كان قبل موته أرسل إلي الكتاب الذي نقلت عنه ما ذكر، وغيره من كتبه التي يدعو بها إلى نفسه،

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٧٣/٢٧.

(٢) المرجع السابق، ٦٧٥/٢٧.

فرددت عليه في المنار[١] فهجاني في كتاب آخر وتوعدني بقوله عني: سيهزم فلا يرى وزعم أن هذا نبأ وحي جاءه من الله جل وعلا وقد كان هو الذي انهزم ومات). [٢]

ويقول الشيخ: (ومثلها دعوى المسيحية القاديانية الهندية التي يلقب أهلها بالأحمدية، أن رئيس نحلتهم ميرزا غلام أحمد القادياني هو المسيح المبشر بعودته إلى الدنيا في بعض الأحاديث، وأنه كان يوحى إليه، ونسخت فرضية الجهاد على لسانه، فصار من الواجب على المسلمين عندهم أن يستسلموا للأجانب المستعبدين لهم، السالبين لاستقلالهم المبطلين لشريعتهم، ولا يجوز لشعب إسلامي عندهم أن يدافع بالقتال عن ملته ووطنه، وإنما جعل القادياني هذا من أصول دينه خدمة للإنكليز، ولا يزال الباب مفتوحاً عند أتباعه لمثل هذا بزعمهم أن وحي النبوة متصل في خلفائه وأتباعه، فالقول بهذا خروج من ملة الإسلام لا تنفع معه صلاة ولا زكاة ولاحج ولا صيام). [٣]

ثم بين الشيخ أن القادياني نشط كثيراً في الدعوة إلى مذهبه ودينه الجديد، وحرص على إحداث ملّة جديدة تسمى: المسيحية الأحمدية، وجميع كتبه التي ألّفها تدور على تقديس نفسه. [٤]

وقد نشط دعاة القاديانية وأسسوا جامعة في الهند، هي الجامعة الأحمدية نسبة إلى غلام أحمد، وتسمى أيضاً الجامعة القاديانية. [٥] وافتتحوا مساجد في لندن في انجلترا. [٦]

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٢٧/٢٣٨-٢٣٩.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٦/٤٩.

(٣) تفسير المنار، رشيد رضا، ٩/١١٨.

(٤) انظر: المرجع السابق، ١١/٣٥٥.

(٥) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٧/٥٥.

(٦) انظر: المرجع السابق، ٢٧/٧١٨-٧١٩.

ويقول الشيخ: (يعتقد القاديانيون أنّ غلام أحمد القادياني نبي من أنبياء الله، يوحى إليه، وهو المسيح الذين ينتظره أهل الملل في آخر الزمان). (١)

ويذكر الشيخ أن غلام أحمد القادياني ذكر في كتابه الهدى والتبصرة لمن يرى: (أنّ المسيح عيسى بن مريم قد هاجر إلى الهند، ومات فيها). (٢)

وقد ردّ الشيخ على القاديانية في مجلة المنار، وكان الشيخ من أوائل الذين ردّوا على القادياني، وانتشر رده في الجرائد الهندية بعد ترجمته، واستفاد من ردّه خلق كثير، لأنّ فتنة القاديانية كانت أعظم فتنة في البلاد الهندية، ممّا دعا القادياني لسبّه والتشويه به وبمجلة المنار في كتابه الذي سماه: الهدى والتبصرة لمن يرى. (٣)

وقد كتب الشيخ مقالات في الرد على القادياني وأتباعه، وكان ذلك سلسلة تحت عنوان: مسيح الهند القادياني الدجال، ودعاة مسيحيَّته في سورية. (٤) وقد بين مخالفة القاديانية لإجماع المسلمين فيما هو قطعي معلوم من دين الإسلام بالضرورة، كنسخ ختم الرسالة المحمدية، وادعاء القادياني الوحي والنبوة، ونسخ الجهاد بظهوره، وغير ذلك، فخرجوا بذلك عن ملّة الإسلام، بل هم أعداء للإسلام، كافرون به، مضلّون لأهله، وأن نسخه للجهاد ما هو إلا خدمة للإنجليز. (٥)

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/٨٥.

(٢) المرجع السابق، ٦/٣٥.

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٥/٣١٧- ٣٢٠ و٢٣/٣٤- ٣٥ و٣١/٥٩٩.

(٤) وهي سلسلة من أربع مقالات، انظرها في مجلة المنار، رشيد رضا، ٣١/٣٩١ -٣٩٥و ٤٧٩- ٤٨٠ و٥٥٩ و٧٥١ - ٧٥٢.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٧/٤٠٠ و٣١/٤٨٠ و٣١/٥٥٩-٥٦٠.

وسطّر الشيخ في مجلة المنار عدداً من علماء الهند ممن ناظر القادياني، من علماء الهند ومنها: مناظرة الشيخ محمد بشير السهسواني معه. (١) ومناظرته للشيخ ثناء الله أمر تسري (٢) وموقفه منه بعد طول مناظراته مع القادياني، لم يجد الشيخ ثناء الله بدّاً من مباهلة القادياني علناً وتثبيت ذلك خطّاً وختماً، بخط القادياني نفسه، على موت الكاذب منهما، وبقاء الصادق بعده.

والشيخ ثناء الله الأمر تسري قد بقي حياً بعد وفاة القادياني، وأرسل برسالة إلى مجلة المنار يذكر فيها وثيقة المباهلة تلك، وكانت وفاة القادياني قبله بسنين، بل إن ثناء الله عاش بعد وفاة القادياني أكثر من أربعين سنة. (٣)

ومن ردود الشيخ عليه عند ادعاء القادياني أنه المسيح الذي يخرج في آخر الزمان وإلغائه للجهاد يقول عنه الشيخ: (مسجد الضرار في لندن للمسيحية القاديانية الملقبة بالأحمدية ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ التوبة: ١٠٧، أراد الدجال غلام أحمد القادياني الهندي أن يكون في الأمة الإسلامية والملة المحمدية كالمسيح عيسى ابن مريم في الأمة الإسرائيلية والملة الموسوية فادعى أنه هو المسيح الذي ينتظر ظهوره

---

(١) انظر: المرجع السابق، ٣١٨/٣٣.

(٢) هو ثناء الله الأمر تسري، مفسر مناظر، علماء أمر تسر في الهند، كان تاجر كتب، وأسس مطبعة، وأنشأ جريدة أهل الحديث أسبوعية، واشتهر بمناظرة الطوائف والفرق. وترأس مؤتمراً عقده أهل الحديث ثم كان رئيس وفدهم في المؤتمر الإسلامي الأول بمكة ١٣٤٤هـ من مصنفاته: تفسير القرآن بكلام الرحمن، توفي سنة١٣٦٧ه. (انظر: الأعلام، الزركلي، ١٠١/٢. وانظر: التعريف بتفسيره في مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٩٦/٣١).

(٣) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٩١/٣١ و٢٣٨/٢٧-٢٣٩ و٦٣٩/٣٣.

اليهود والنصارى والمسلمون فأظهر هذه الدعوى ونشر الدعاية لها وتوسل إلى ذلك بإرضاء حكومة الهند البريطانية وحملها على مساعدته بموالاته لها وزعمه أنه هو الذي يقنع المسلمين بسقوط فرض الجهاد وما يتعلق به وبالرضاء بسلطانهم في الهند وقد رددنا عليه في حياته بما أظهر بهتانه حتى بنفس مماته فإنه كان رد علينا في كتابة الهدى والتبصرة لمن يرى فزعم أنه قد جاءه الوحي بأن صاحب المنار سيهزم فلا يرى نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى ص ٩ من الكتاب المطبوع في قاديان سنة١٩٠٢م يعني أن الله تعالى وعده بأن ينتقم له منه ولكنه مات ولم تقر عينه بموتنا ولا بمصيبة يفسر بها وحيه الشيطاني). [١]

هذه نبذه عن جهود الشيخ محمد رشيد رضا مع القاديانية وما بذله من جهد في ذلك[٢] مما كان له الأثر البارز في العالم الإسلامي ونشر هذه الردود والمناظرات في مجلة المنار مما أدّى إلى وصولها إلى شريحة كبيرة من المسلمين بجميع فئاتهم.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٧/١٧٨.

(٢) انظر: جهود الشيخ محمد رشيد رضا- رحمه الله -في الرد على الفرق، ياسر بن عاتق الردادي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير منشورة.

المبحث الثالث

البهائية

التعريف :

فرقة ضالة وموطنها الأول إيران وسميت بالبابية نسبة لأول زعيم لها والذي لقب نفسه بالباب وسميت بالبهائية نسبة لزعيمها الثاني والذي لقب نفسه بهاء الله وقد ادّعى كل من الباب والبهاء النبوة والرسالة ثم زعم كل واحد منهما ان الله قد حل فيه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. (١)

نشأتها.

يقول الشيخ عنها: (الديانة البهائية وكتاب الدرر البهية أعظم بدعة ظهرت بين المسلمين في هذا العصر فإن هؤلاء قد ابتدعوا ديناً جديداً لا مذهباً جديداً كما يتوهم الغافلون، وأساس مذهبهم أن زعيمهم بهاء الدين الإيراني دفين عكا هو الروح الأعظم وهو المعبر عنه بالمسيح ابن مريم الذي ينتظر أهل الكتاب نزوله من السماء، بل هو الموعود به في قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ البقرة: ٢١٠، يجرون عليه جميع أسماء الله الحسنى الواردة في الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٤٣، وبالجملة إن دينهم خلاصة المذاهب الباطنية، وهو أقرب إلى المسيحية من الإسلامية وقد كانوا يدعون إليه سراً و لم

---

(١) انظر بتوسّع: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١/٤٠٩، وما بعدها.

يطبع لهم كتاب في البلاد العربية قبل كتاب الدرر البهية، الذي طبع في هذه الأيام، وفيه إنكار كون القرآن معجزاً ببلاغته وفصاحته وتأويل آيات القرآن على ما ينطبق على بدعتهم وغير ذلك من الضلال والفتن). [١]

نشأت البابية التي هي أصل البهائية في إيران ومؤسسها رجل يدعى علي محمد الشيرازي[٢] وقد أظهر دعوته سنة ١٢٦٠هـ وتبناه أعداء الإسلام كعادتهم في تغذية هذه الاتجاهات المنحرفة، وتعتبر البهائية امتداداً للبابية فإن الحركة البابية لم تقف بعد هلاك الباب بل تطورت على يد تابع من أتباع الباب هو الميرزا حسين علي المازندراني الملقب بالبهاء[٣] وواصلت تآمرها وحربها للإسلام والمسلمين.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣/ ٥٤٧.

(٢) على محمد ابن المرزا رضى البزّاز الشيرازي: مؤسس البابية التي هي أصل البهائية إيراني، ولد بشيراز سنة١٢٣٥ه ومات أبوه وهو رضيع فرباه خاله، ونشأ في أبي شهر فتعلم مبادئ القراءة بالعربية والفارسية، وتلقى شيئا من علوم الدين وتقشف، فكان يمكث في الشمس ساعات عديدة، وأثر ذلك في عقله، ولما بلغ الخامسة والعشرين جاهر بعقيدة ظاهرها توحيد الأديان، وقوامها تلفيق دين جديد، ولقب نفسه بالباب، وتبعته جماعة كبيرة، فأذاع أنه المهدي المنتظر وقام علماء بلاده يفندون أقواله ويظهرون مخالفتها للإسلام، وخشيت حكومة إيران الفتنة فسجنت بعض أصحابه، وانتقل هو إلى شيراز، ثم إلى أصبهان فحماه حاكمها، ثم اعتقل وسجن في قلعة ماكو بأذربيجان، ثم انتقل إلى قلعة جهريق على أثر فتنة بسببه، ومنها إلى تبريز وحكم عليه فيها بالقتل، فأعدم رميا بالرصاص سنة١٢٦٦ه، وألقي جسده في خندقها، فأخذه بعض مريديه إلى طهران، وفي حيفا بفلسطين قبر ضخم للبهائية يقولون إنهم نقلوا إليه جثة الباب خلسة، له عدة مصنفات منها: كتاب البيان، وقد طبع بالعربية والفارسية. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٥/١٧).

(٣) هو الميرزا حسين علي بن الميرزا عباس المازندراني ولد بطهران سنة ١٢٣٣هـ ونشأ فيها على مذهب الرافضة وتعلق بالصوفية وعاش معهم وأتعب نفسه في قراءة كتبهم وعندما أعلن الباب أنه المهدي الذي تنتظره الرافضة، اتبعه وبدا ينشر تعاليمه، نفي إلى بغداد وكانت ثقافته خليطاً من =

عقائد البهائية

بيَّن الشيخ عقيدهم في الجملة وذكر أنها خلاصة دين الباطنية[١] ويصفهم الشيخ بأن أساس مذهب البهائية أن زعيمهم البهاء بهاء الدين الإيراني، دفين عكا، بفلسطين، هو الروح الأعظم، وهو المسيح بن مريم عليه السلام الذي ينتظر أهل الكتاب نزوله من السماء، بل هو الله الآتي لهم في ظلل الغمام، وهو صاحب الأسماء الحسنى والصفات العلى، وبذلك تعلم أنّ مذهبهم إلى المسيحية أقرب منه إلى الإسلام، وهم يظهرون لكل أمّة أنّها على الحق، ويقتبسون من كتبها ما يستدلون به على صحّة دين البهائية بالتأويل الباطني، ولذا يقتبسون من التوراة والإنجيل والقرآن والسنة ما يؤيد كلامهم، ولهم كتب في ذلك ومؤلفات. [٢]

الأديان والوثنية كالبوذية والبرهمية والمانوية وكذلك اليهودية والنصرانية وديانات الفرق الباطنية بالإضافة إلى المذهب الصوفي، تنازع البهاء مع أخيه الميرزا يحيى نور الذي لقبه الباب وصبح الأزل والذي عهد إليه الباب بالخلافة كما تقوله كتب البابيين ووقع بين الأخوين صدام شديد وادعى كل منهما أن الله أوحى إليه بكتاب يصدق دعواه ويكذب دعوى أخيه وفرقت بينهما الحكومة التركية فنفت البهاء إلى مدينة عكا ونفت صبح الأزل إلى قبرص إلا أن البهاء استطاع التغلب على أخيه وكانت نهاية الأزليين على يد البهائيين وخلا الجو للبهاء واتباعه وظهرت البهائية خلفاً للبابية. (انظر: الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٤٠٩/١، وما بعدها. ومجلة المنار، رشيد رضا، ٥٧٨/٢٤).

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٩٨/٣.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٤٧/٣-٥٤٨و٥٩٨/٣-٥٩٩. وتفسير المنار، رشيد رضا، ٤٧/٦.

ردود الشيخ على مزاعم البهاء.

١-ادعائهم الألوهية والنبوة للبهاء تعالى الله عن ما يقولون يقول الشيخ: (وليعلم أن البابية ليسوا أصحاب مذهب جديد في الإسلام كما يُتَوهم، بل هم أصحاب دين جديد وشريعة جديدة، ويحتجون على المسلمين بتأويل بعض الآيات والأحاديث على طريق تأويل الصوفية كما يحتجون على اليهود والنصارى من كتبهم، ودينهم أقرب إلى دين النصرانية منه إلى غيره، فإنهم يعتقدون أن البهاء المدفون في عكا هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام ... إلخ ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ الصافات: ١٨٠). (١)

ويؤكد الشيخ على ذلك فيقول: (الثالثة البابية البهائية وهؤلاء على ما مر عليك من أخبارهم يعتقدون بربوبية وألوهية البهاء، وأنه هو الذي بعث الأنبياء والرسل، وأن زردشت وموسى وعيسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم، والباب إنما كانوا يبلغون أحكامه ويبينون آياته فهم مظاهر أوامره، وبشروا به وبظهوره كما أن ابنه الأكبر عباسا يكون كذلك من بعده وأن ليس لأحد أن يقوم بعده ويدعي بالأمر إلا بعد ألف سنة كاملة، وبعد ذلك يكون الأمر لمن يظهره الله يعني لمن يظهره هو كما علمت من أقواله وأن من يدعي أمراً قبل ألف سنة يتحتم قتله لا محالة). (٢)

٢-أنهم مفسدون للفطرة التي فطر الله الناس عليها يقول الشيخ: (لم يحاول هذا الداعي المشترع إبطال دين الإسلام فيمن ينتظرون تأييده وإنقاذه من التقاليد التي ذهبت باستقلاله، بل حاول إفساد الفطرة وإطفاء نور العقل الذي أذكاه الإسلام وأطلقه من

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٤/٤٦٠.

(٢) المرجع السابق، ٧/٣٣٨.

سجنه، وبنى دينه الجديد على تقاليد الشيعة الذين ظهر فيهم لأنه كان شبعان ريان بهذه التقاليد، ومحكوم الشعور والوجدان بها، ولولا هذا ما راجت دعوته في أولئك الغلاة الذين إذا سمعوا ذكر آل البيت عليهم السلام والرحمة ظلت أعناقهم له خاضعين، وكانوا لكل ما يقوله ذاكرهم بالخير متقبلين، ولو أن المسلمين لا مذاهب لهم، ولا كتب دينية غير القرآن وسيرة النبي وآله وصحبه في أعمالهم وأحوالهم وأقوالهم المنقولة بطرق متفق عليها بينهم، مطابقة للأعمال والأحوال غير مخالفة للقرآن ما سرت إليهم هذه الضلالات في الماضي ولا في الحاضر فهكذا فعل التقليد بالمسلمين جعلهم غرباء عنه فسهل على المضللين أن ينتزعوا بعضهم منه). (١)

٣-طريقة صلاتهم وعباداتهم فقد بينها الشيخ بقوله: (أما أحكامه فمنها أنهم لا يصلون في مساجد المسلمين ولا كصلاتهم، بل لهم معابد وصلوات مخصوصة كما أنهم لا يحجون البيت الحرام بل يحجون قبر بهاء الله والمهدي، ولا يصومون رمضان بل يصومون تسعة عشر يوماً... والسنة عندهم تسعة عشر شهراً، وبالجملة فلو اطلع أحد على حقيقة دينهم اطلاعا تاما لعلم أن الإسلام بريء منهم، وأن ما يتصفون به من قولهم: إنا نحن مسلمون، رياء وكذب لا يرضاه الله ولا المسلمون أجمعون). (٢)

رأي الشيخ في البهائية وتحذيره منهم.

الشيخ بعد بيانه لخطر البهائية فصل في الحكم عليهم وبينه فقال: (فمن عرف دين البهائية من المسلمين ومدحه واستحسنه وشهد بكونه حقا أو إصلاحا للإسلام، وكونه هو أو زعيمه معصوما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كان بذلك مرتدا عن

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٣٨/٧.

(٢) المرجع السابق، ٥٩٥/٣.

الإسلام، وإن زعم أنه مسلم، فهو زنديق منافق كسائر الباطنية إذا كانوا ضعفاء بين المسلمين، فالبهائية كسلفهم من الباطنية يتوسلون بدعوى الإسلام بين المسلمين ليقبل كلامهم في دعوتهم إلى باطلهم وتحريف معاني القرآن للاستدلال عليها وإبطال ما يفهمه المسلمون منها). (١)

ولقد صدرت الفتاوى من المجامع العلمية مؤيدة لما ذهب إليه الشيخ مثل مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة ودار الإفتاء المصرية بخروج البهائية عن شريعة الإسلام واعتبارها حرباً عليه، وكفر أتباعها كفراً بواحاً سافراً لا تأويل فيه. (٢) وهذه نبذه عن جهود الشيخ مع البهائية والتحذير منها وخطرها على الدين الإسلامي.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٧/١٧٨.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية، ١/٤١٤. وجريدة المدينة، الأحد ٢/١١/١٣٩٩هـ ـ ٢٣، سبتمبر ١٩٧٩م.

المبحث الرابع

الماسونية

التعريف.

الماسونية لغة :

معناها: البناءون الأحرار. (١)

البناؤون الأحرار هي: جماعة سرية لها نظم داخلية دقيقة يتعاون أعضاؤها فيما بينهم وإن اختلفت أجناسهم وأوطانهم وأديانهم وكونها فريق من البنائين في القرن الرابع عشر وانتشرت في كثير من الأقطار وهم الماسون مذهبهم الماسونية. (٢)

وماسونيّ مفرد من أتباع الماسونية، وهي جمعيّة تميل إلى السريّة يدعوا أعضاؤها إلى الأخوة. (٣)

في الاصطلاح :

إنها جمعية سرية يهودية يسمونها بالقوة الخفية أسست بادئ الأمر ضد النصارى لتعمل على تحريف إنجيلهم أو أناجيلهم وإفساد عقائدهم وأفكارهم وتشتت أمرهم بأنواع الخلاف والشقاق. (٤)

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية، ٥١٠/١.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٧٢/١، دار الدعوة.

(٣) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ٢٠٦١/٣، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(٤) انظر: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرّحمن الدوسري، ص١٧٤، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

وقد عرفها الشيخ فقال: (الماسونية جمعية سياسية سرية تكونت في أوربا لمقاومة استبداد رؤساء الدنيا من الملوك والأمراء ورؤساء الدين من البابوات والقسيسين الذين كانوا متضافرين على استعباد الناس وحرمانهم من نور العلم والحرية). (١) وعرفها في موضع آخر بتعريف قريب من هذا التعريف فقال: (هذه الجمعية سياسية أنشئت في أوروبة لإزالة استبداد الملوك وسلطة البابوات، وفصل السياسة عن الدين بأن يكون التشريع من حقوق الأمة غير مقيدة فيه بدين). (٢)

نظرة الشيخ للماسونية.

إن مما لا يخفى أن لوجود الشيخ في مصر التي كان يوجد بها محافل للماسونية فكان من المطلعين عن قرب على أحوالها وتجد ذلك واضحاً في مقالاته في مجلة المنار ومن ذلك حديثة عن نشأتها وأفكارها ومحاربته لها بل والتحذير منها فيقول الشيخ متحدثاً عنها في مقالة له بعنوان: الدخول في الماسونية: (وقد اتفق على تكوينها اليهود والنصارى، ولذلك جعلوا رموزها وإشاراتها منتزعة من الكتاب المشترك الذي يسمى الكتاب المقدس وأسندوها إلى بناة الهيكل المقدس هيكل سليمان عليه السلام وهو المسجد الأقصى، وقد قامت هذه الجمعية بعملها على أحسن وجه ولم يعد لها الآن عمل في تلك البلاد وإذ كان منشئوها والمنشأة لهم من غير المسلمين كان فيها أمور متعددة تخالف الإسلام، وكان الداخل فيها عرضة لمخالفة دينه إلا أن يكون عالمًا متمكنًا ! ثم إن الإفرنج عندما تغلغلوا في الشرق ورأوا مزاج السيادة الإسلامية لا يقبل مشاركًا له في حكمه فهو يجيش انفعال جميع المسلمين لنبذ سلطة كل من يحاول السيادة عليهم استعانوا بالماسونية على

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩٦/٦.

(٢) المرجع السابق، ٣٢/١٥، من مقالة للشيخ بعنوان: الدخول في الماسونية.

إضعاف هذا المزاج وتوسلوا إلى بعض كبراء المسلمين وأغنيائهم بما توسلوا واستعانوا عليهم بنصارى بلادهم ويهودها فأدخلوا طائفة منهم وبقي أكثر المسلمين إلى اليوم يعد الماسونية نزغة من نزغات الكفر أو وسيلة إليه، إلا أن الشعب المصري سريع الانقياد إلى التقليد، ولذلك كثر الداخلون في هذه الجمعية من أهله على أن أهلها يتنصلون من الأديان ويدعون عدم التعرض لها بحال). (١)

بيان الشيخ لتاريخ الماسونية وأهدافها وخطرها.

لقد حارب الشيخ الماسونيّة على صفحات المنار قائلاً: (من الحقائق الثابتة الخفية أن الجمعيّة الماسونية التي ثلت عروش الحكومات الدينيّة في أمم أوروبة والترك والروس هي من كيد اليهود، وهم أصحاب السلطان الأعظم فيها، وإن كان ذلك يخفى على كثيرٍ من أهلها وأكثر المنتمين إليها وقال: ومن غرائب اليهود وقدرتهم التي فاقوا بها جميع شعوب البشر أن الغرض السياسي النهائي لهم من هذه الجمعيّة هو: تأسيس دولة يهوديّة في مهد الدولة الإسرائيليّة التي أسّسها داود وأتمها سليمان، باني هيكل الدين اليهودي، في أورشليم على جبل صهيون، ولهذا سمّوها جمعيّة البنائين الأحرار، ويريدون بهم الذين بنوا هيكل سليمان). (٢)

ومن ذلك رده على سؤال ورد له من مسقط في سلطنة عمان عن الماسونية وحكم الدخول فيها أجاب الشيخ بالآتي: (قد بينا من قبل أن هذه الجمعية سياسية أنشئت في أوروبة لإزالة استبداد الملوك وسلطة البابوات، وفصل السياسة عن الدين بأن يكون التشريع من حقوق الأمة غير مقيدة فيه بدين، وقد فعلت في أوروبة فعلها وأدت

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١٩٦/٦.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٨٥/٣٠.

وظيفتها، والذين ينشرونها في الشرق لهم أهواء مختلفة، ومنافع متعددة، والرياسة العامة التي يرجعون إليها أوروبية، وإذ قد عرفتم حقيقتها وغرضها، فقد عرفتم حكم الدخول فيها، وما سبب اختلاف الأقوال في حكم الانتظام في سلكها إلا اختلاف العلم بحقيقتها، ولا يتسنى لأهل بلادكم أن يعرفوا هذه الحقيقة، لأن الذين يدعونهم إليها لا يبينونها لهم، وإنما يرغِّبونهم فيها ترغيباً إجمالياً ويعدونهم بكشف الستار عن الأسرار، بعد الترقي في الدرجات، ولم يقرؤوا ما كتب فيها دعاتها وناشروها من المدائح، وما يلطخها به خصماؤها ولا سيما رجال الدين من الفضائح، ورُب مدح يمدحها به قوم يراه آخرون ذماً، وقد نشرها الإفرنج وأعوانهم المتفرنجون في مصر والمدن العثمانية منذ عشرات من السنين فلم يكن لها من ثمرة إلا إعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين، والاستغناء عن الشرع بالقوانين، والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم، وموالاتهم لهم، ولعله تبين لكم بهذا الشرح كنه ما يمنونكم به من النفع، كما عرفتم ما يحكم به الشرع، وعسى أن يزيل ما بينكم من الخلاف، الذي هو أول ثمراتها في تلك البلاد). [1]

وفي إجابة لسؤال آخر ورد للشيخ عن الماسونية أجاب قائلاً: (أعلم بالإجمال أن الجمعية الماسونية قد أسست لأجل هدم الحكومة الدينية البابوية أولا وبالذات، ثم هدم كل حكومة دينية وإقامة حكومة لا دينية مقامها). [2]

حكم الماسونية.

تكلم الشيخ عن الماسونية وأنها مؤسسة يهودية ولا يجوز لمسلم الانضمام إليها وذلك بعد بيان حالها وحال اهلها الذي بنى حكمه عليها بسببه فيقول في رده على سؤال ورد

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٢/١٥، من مقالة للشيخ بعنوان: الدخول في الماسونية.

(٢) المرجع السابق، ٢٦٨/٢٩، من مقال بعنوان: فتاوى المنار.

له عن الماسونية وحكم الدخول فيها: (قد بينا من قبل أن هذه الجمعية سياسية أنشئت في أوروبة لإزالة استبداد الملوك وسلطة البابوات، وفصل السياسة عن الدين بأن يكون التشريع من حقوق الأمة غير مقيدة فيه بدين، وقد فعلت في أوروبة فعلها وأدت وظيفتها، والذين ينشرونها في الشرق لهم أهواء مختلفة، ومنافع متعددة، والرياسة العامة التي يرجعون إليها أوروبية، وإذ قد عرفتم حقيقتها وغرضها، فقد عرفتم حكم الدخول فيها، وما سبب اختلاف الأقوال في حكم الانتظام في سلكها إلا اختلاف العلم بحقيقتها، ولا يتسنى لأهل بلادكم أن يعرفوا هذه الحقيقة، لأن الذين يدعونهم إليها لا يبينونها لهم، وإنما يرغِّبونهم فيها ترغيباً إجماليّاً ويعدونهم بكشف الستار عن الأسرار، بعد الترقي في الدرجات، ولم يقرؤوا ما كتب فيها دعاتها وناشروها من المدائح، وما يلطخها به خصماؤها ولا سيما رجال الدين من الفضائح، ورُب مدح يمدحها به قوم يراه آخرون ذمّاً، وقد نشرها الإفرنج وأعوانهم المتفرنجون في مصر والمدن العثمانية منذ عشرات من السنين فلم يكن لها من ثمرة إلا إعداد النفوس لفصل السياسة والحكومة من الدين، والاستغناء عن الشرع بالقوانين، والمؤاخاة بين المسلمين وغيرهم، وموالاتهم لهم، ولعله تبين لكم بهذا الشرح كنه ما يمنونكم به من النفع، ما عرفتم ما يحكم به الشرع، وعسى أن يزيل ما بينكم من الخلاف، الذي هو أول ثمراتها في تلك البلاد). (١)

وكذلك جاءت الفتوى في الماسونية من عدة مجمعات علمية كان أهمها الفتوى التي أصدرها المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي وجاء فيها: (وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها، في موضوع قضية

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٢/١٥، من مقالة للشيخ بعنوان: الدخول في الماسونية.

فلسطين، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية، لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبيساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب أهله). (١)

فهذه بعض جهود الشيخ في بيان خطر الماسونية على الأمة الإسلامية أفراداً وجماعات تظهر جلية حيث انار بها عقولا كانت تسمع لكلامه وتقرأ مجلته المنتشرة في العالم.

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية، ١/٥١٦.

المبحث الخامس

القومية

التعريف:

القومية: عرفت بعدة تعاريف منها:

القومية: صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلى الوحدة كالقومية العربية والقومي هو: من يؤمن بوجوب معاونته لقومه ومساعدتهم على جلب المنفعة ودفع المضرة، يقال العيد القومي والزعيم القومي وهي محدثة. (١)

وقيل : القومية بفتح فسكون، رابطة تقوم على أساس الاشتراك في الجنس بقطع النظر عن المبادئ والمضمون، كالقومية العربية. (٢)

وقيل: القومية فكرة وضعية نشأت أول ما نشأت في البلاد الأوروبية شأن غيرها من الحركات والأفكار التي تبحث عن التفلُّت من رابطة الدين. (٣)

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢/٧٦٨، دار الدعوة.

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، ص٣٧٢، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

(٣) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، ٢/٩٠٩، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

والقومية العربية: حركة سياسية فكرية متعصبة، تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم، على أساس من رابطة الدم واللغة والتاريخ، وإحلالها محل رابطة الدين وهي صدى للفكر القومي الذي سبق أن ظهر في أوروبا. (١)

ويعرفها الشيخ فيقول: (رابطة القومية في الإنسان أشواق لا تسكن لمطالب لا تحصر، فمنها مطالب تقتضيها مادة جسمه ومنها مطالب يقتضيها جوهر نفسه، ومنها مطالب تقتضيها مادة الجسم والنفس معا). (٢)

ويلاحظ أن دعاة القومية قد اختلفوا في المفهوم الصحيح لها، هل هي بمعنى تجمُّع أمة من الناس وارتباط بعضهم ببعض، إمَّا لانتمائهم إلى لغة واحدة، وإمَّا لوطن، أو أنها لغير ذلك من أمور سياسية واقتصادية، ولكنهم جميعًا متفقَّون على أن إبعاد الدين خصوصًا الدين الإسلامي مما يبعد عن الدين ويقوي روابط أخرى ازالها الإسلام الذي جاء بالأخوة الإسلامية المبنية على الالتزام بالدين الإسلامي وأخلاقه ومبادئه. (٣) وهذا تعريف عام للقومية بجميع أشكالها فقد اشتمل على قومية الأديان والأعراق واللغات وغيرها من القوميات المعاصرة.

بيان الشيخ للقومية وأهدافها والتحذير من خطرها.

إن خطر القومية ظاهر لا يخفى على ذي لب عاقل يؤمن بالله تعالى وظهر ذلك جلياً على الشيخ محمد رشيد رضا من خلال كتاباته في مجلة المنار أو غيرها من مؤلفاته ومن

---

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ٤٤٤/١.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٤٥/٦، من مقالة بعنوان: نظام الحب والبغض.

(٣) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، ٩٠٩/٢.

ذلك عند تطرقه لتفسيره لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ البقرة: ٢٤، يقول الشيخ: (هذه الحياة الاجتماعية الإنسانية لا يستقيم فيها التعاون بين الأفراد ولا بين الجماعات إلا بالأخذ بتعاليم اعتقاديه وأدبية وعملية لا تختلف فيها الأهواء والشهوات، لأن الوازع فيها نفسي وجداني لصدورها عن الرب الحكيم العليم، بوحي أوحاه إلى من اختصه بهذا الفضل العظيم.... إلا أنني أقول: إن أعلم الحكماء الغربيين في هذا العصر قد بينوا في مباحثهم في طبائع البشر أن الإنسان إذا تُرك إلى مداركه الحسية، ونظرياته العقلية، وتسلل من وجدان الدين والإلهام الإلهي بالحياة الأخرى، يكون أشقى من جميع أنواع الحيوان الأعجم، ويكون جل شقائه من نظرياته العقلية). [١]

وكذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ الأنعام: ١٣٥ يقول الشيخ: (في هذا النداء ضرب من الاستمالة للكفار الذين خوطبوا بالدعوة أولاً، بما يذكرهم بأنهم قوم الرسول صلى الله عليه وسلم الذين يحبهم ويحرص على خيرهم ومنفعتهم بباعث الفطرة والتربية والمنافع المشتركة، وقد كانت النعرة القومية عند العرب أقوى منها عند المعروف حالهم اليوم من سائر الأمم، فكان نداؤهم بقوله: يا قومي جديراً بأن يحرك هذه العاطفة في قلوبهم فتحمل المستعد على الإصغاء لما يقول والتأمل فيه). [٢] فبين الشيخ أنّها

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/١٨٧.

(٢) المرجع السابق، ٨/١٠٣.

وردت هنا اولاً: أن الخطاب للكفار. وثانياً: أنه جاء ليس على سبيل المدح بل لاستمالتهم للدين عن طريق بعث باعث حمية القوم والقرابة فيهم.

ويقول الشيخ مبيناً وموضحاً أصل القومية وهدفها: (وقد عرف من قبل ومن بعد أن الإنسان لا يبلغ شيئا من مطالبه بدون التعاون إلا أن يكون شيئا من بعض المطالب التي يقتضيها جوهر النفس وحده كالجمال المتجلي في الأشباح الطبيعية بروحه المناسبة للنفس الإنسانية، فكأن العجز الفردي بالنسبة إلى المطالب التي لا تفتأ تتجدد كل حين داء عظيم يحول بين الإنسان وما تطالبه به فطرته، ويهدد كل فرد بالضعف المميت، وكأن التعاون دواء هذا الداء فهو يرفع من أمامه الحوائل، ويدفع عنه الغوائل، ويهب كل فرد قسطا بقدر من القوة المحيية، لكن هذا الدواء إنما يشفي عجز كل فرد من المتعاونين بالنسبة إلى غيرهم من إنسان وغير إنسان.... رابطة القومية المؤسسة على مطلق التعاون لا تجعل المتعاونين على الغير في أمن من أن يعدو بعضهم على بعض ولذلك نضطر أن نقول: لئن كانت هذه الرابطة قد نفعت الإنسان فإن نفعها أبتر وقد ضرته أيضا، قلنا نفعته، لأننا لا نستطيع أن ننكر أنها قوت منه ضعفاء، وجمعت منه متفرقين، وفي حضنها ربت له أنواعا من الاستعدادات حتى دبت ودرجت وسارت لتبلغ أشدها، ونقول: ضرته، لأنها كما جمعت منه متفرقين فرقت منه مجتمعين، وكما عرفت له قربى، نكرت له قربى، وكما آنسته أوحشته، وكما حببته إلى طائفة بغضته إلى أخرى ولم تزل واقفة به أحقابا طوالا وقفة إخوانه من الحيوانات التي ينهش بعضها بعضا، لا يميزه عنها إلا استواء القامة وإبانة هذه اللحمة اللسان عن مكنون ضميره، ولا مكنون هنالك غير ما يريد أن يدعو به عصبته لنهش عصبة أخرى.... أو لم تروا إلى الذين جمدوا على هذه السنة القديمة من

أهل البوادي ؟ أرأيتم إن أمسك الصناع عنهم أكسيتهم و أخبيتهم [(١)] والأدوات اللازمة لهم هل يخصفون غير ورق الأشجار، وهل يلبثون إلا في جوف الأوجار[(٢)] ؟ فلولا الذين غسلوا عن أذهانهم وضر الاغترار بهذه القوة البسيطة التي لا يعدو نفعها أمن الفرد من الغريب بفضل عون القريب لكنا حتى هذا اليوم والأنعام سواء). [(٣)]

ويقول الشيخ: (إنه لا معنى لدى أهل هذا العلم علم النفس وما يصلحها علم الأخلاق لتعصب كل قوم على آخرين بغير الحق إلا الإثم والعدوان، والبغي والطغيان وساء ذلك من تعاون وما هو إلا التغابن لو كانوا يفقهون). [(٤)]

والشيخ يركز على أن القومية الحقة هي القومية للدين الصحيح وهو الدين الإسلامي ويفرق بينها وبين القومية الممقوتة فيقول: (والجدير بالذكر .... أن الدعاة الهادين الذين قاموا في أقوامهم بألسنتهم قد أثمر عملهم من بعد حين ثمرة كبيرة جداً، وهي ربط أقوام كثيرين مختلفي الأنساب واللغات بمبادئ واحدة يدينون جميعا بها، حتى يكون اسم إمامهم فيما بينهم جميعاً مقدساً، بل حتى يكون خلف الشغاف من أفئدتهم، وعمدة الحلف والأقسام في ألسنتهم، فمثل هذه الحال من قوم أو أقوام، تقوى بينهم أواصر القلوب

---

(١) الخباء: واحد الأخبية من وبر أو صوف، ولا يكون من شعر، وهو على عمودين أو ثلاثة، وما فوق ذلك فهو بيت واستخبينا الخباء، أي نصبناه ودخلنا فيه. (انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٢٣٢٥/٦. ومختار الصحاح، زين الدين الرازي، ٨٨/١، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ).

(٢) الأوجار: حُفر يُجعل للوحوش فيها مصائد فإذا مرت بها أمسكت بها. (انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢٨٠/٥. والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ٢ /١٠١٤).

(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦ /٧٤٥.

(٤) المرجع السابق، ٦ /٧٩٥.

ووشائج الأفكار وهي أهم من أواصر الأبدان ووشائج الأرحام، هذه هي القرابة التي تقرب البعيد، وتحبب بالغريب، وتحمي الضعيف من كيد القوي، هذه رابطة الدين إن سألتم عن اسمها، وإحدى مراقي الإنسانية إن سألتم عن رسمها.... وقد استبعد هذا قوم فحكموا أن الأديان لم تزد الناس إلا تعاديا، وزعموا أنها لم تك إلا زيا من أزياء رابطة القومية مزركشا قليلا بما هذبت فيه يد التجارب ونقموا منها تضييق الدائرة على الناس في تصوراتهم وفي عاداتهم وأعمالهم بكثرة ما يأتيهم مؤسسوها من فروع الأمر والنهي والقطع والجزم، في مسائل يحتاج في إدراك أسرارها إلى تبصر عقل سليم، وتروي إرادة معتدلة. ويغرق هؤلاء بما تصف ألسنتهم وأقلامهم من الأديان، حتى يبعدوا عن الحكمة وهم يظنون القرب منها، ويضلوا الحقيقة وهم يرون أنهم وجدوها). [1]

حكم القومية.

يقول الشيخ عبد العزيز بن باز –رحمه الله– عندما ألّف كتابة عن القومية مبينا لها: (فمن خبر أحوال القوميين وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع، ومن تلك الأمور: فصل الدين عن الدولة، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع و الاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة – لا بلغهم الله مناهم – ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات يرقص لها الاستعمار طربا ويساعد على وجودها ورفع مستواها – وإن تظاهر بخلاف

---

(١) المرجع السابق، ٦/ ٨٦٣.

ذلك - تغريرا للعرب عن دينهم، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم، والدعوة إليها والإعراض عن دينهم). [(١)]

وقد **ورد** سؤال للشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- يقول : ما رأيكم في الدعوة إلى القومية التي تعتقد أن الانتساب إلى العنصر أو اللغة مقدم على الانتساب إلى الدين، وهذه الجماعات تدعي أنها لا تعادي الدين ولكنها تقدم القومية عليه ما رأيكم في هذه الدعوى؟

أجاب : (هذه دعوة جاهلية لا يجوز الانتساب إليها ولا تشجيع القائمين بها، بل يجب القضاء عليها لأن الشريعة الإسلامية جاءت بمحاربتها والتنفير منها، وتفنيد شبههم ومزاعمهم والرد عليها بما يوضح الحقيقة لطالبها لأن الإسلام وحده هو الذي يخلد العروبة لغة وأدبا وخلقا، وأن التنكر لهذا الدين معناه القضاء الحقيقي على العروبة في لغتها وأدبها وخلقها، ولذلك يجب على الدعاة أن يستميتوا في إبراز الدعوة إلى الإسلام بقدر ما يستميت الاستعمار في إخفائه ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات دعوة باطلة وخطأ عظيم ومنكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد للإسلام وأهله، وذلك لوجوه قد أوضحناها في كتاب مستقل سميته نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع). [(٢)]

---

(١) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص ٨، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ط ٦، ١٤١١هـ.
(٢)نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص ٨.

اهتم الشيخ محمد رشيد رضا بالقومية فبينها بل عراها لمن يبحث عن ماهيتها فباطلاع بسيط على مجلة المنار يتبين للقارئ معناها واهدافها وسبلها فهي كالسم الذي يجري في الجسم ظهره دواء وباطنه السم القاتل والهلاك للدين.

المبحث السادس

دعاة التغريب

التعريف

التغريب في اللغة:

النفي عن البلد، وأغرب الرجل: جاء بشيء غريب. (١)

التغريب اصطلاحاً :

هو : تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية. (٢)

وعرفه الشيخ محمد رشيد رضا فقال: (المتفرنجون هم: الذين يقلدون الإفرنج فيما يستحسنونه من العادات وغيرها بالتكلف أولا، ثم يتوسعون في ذلك بالتدريج، حتى انتقل بعضهم من التقليد في مشخصات الأمم التي تقوى بها روابطها كالعادات في الأزياء والأكل والشرب وآداب المجلس، إلى ما هو من مقوماتها التي تبقى ببقائها وتفنى بفنائها كاللغة والدين والشريعة وأصول الآداب والروابط الاجتماعية المنزلية والقومية). (٣)

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ١/١٩١. ولسان العرب، ابن منظور، ١/ ٦٣٩.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية، ٢/٦٩٨.

(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٠/٣٤٠، في مقال بعنوان: المتفرنجون والإصلاح الإسلامي.

جهود الشيخ في مواجهة دعاة التغريب.

بدأ المشرقيون في العالم الإسلامي مع نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر بتحديث جيوشهم وتعزيزها عن طريق إرسال بعثات إلى البلاد الأوروبية أو باستقدام الخبراء الغربيين للتدريس والتخطيط للنهضة الحديثة، إثر عهد النهضة الأوروبية، فقد قام محمد علي باشا والي مصر، ببناء جيشه على النظام الأوروبي، كما عمد إلى ابتعاث خريجي الأزهر في أوروبا منذ عام ١٨٦٠م بدأت حركة التغريب عملها في لبنان عن طريق الإرساليات، ومنها امتدت إلى مصر وكان هدفها أن تجعل مصر قطعة من أوروبا. (١)

وكان من أهم رجال التغريب في مصر: الدكتور طه حسين(٢) ،

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية، ٢/ ٦٩٩.

(٢) طه بن حسين بن علي بن سلامة، حاصل على الدكتوراه في الأدب، أحدث ضجة في عالم الأدب العربي. ولد في محافظة المنيا بالصعيد المصري عام ١٣٠٧هـ -١٨٨٩م، وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره، كان السابع من إخوته وإخوانه الذين بلغوا ١٣ مولوداً وكان والده ذا مركز مرموق في الضاحية حرص على تعليم أولاده فبينهم طالب الطب والقضاء والمجاور في الأزهر وتلميذ الثانوية، حرص الأب أن يعلمه فأدخله الكُتاب، وحفظ فيه القرآن الكريم وحفظ الصبي الكثير مما كان يسمع من أدعية، وأشعار، وأغانٍ، وقصص، وحفظ قواعد التجويد، وحين ترعرع راح أخوه الأزهري يُحَفِظه الألفية ليعده للحياة الجديدة في الأزهر، وبدأ حياته في الأزهر، ثم بالجامعة المصرية القديمة وهو أول من نال شهادة الدكتوراه منها، سافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون وعاد إلى مصر، اتصل بالصحافة، وعين محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم كان عميدا لتلك الكلية فوزيراً للمعارف عام ١٩٥٠م، وفي هذه البرهة تمكن من جعل التعليم الثانوي والفني مجانياً وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين بدمشق ثم رئيسا لمجمع اللغة بمصر، وهو عضو في مجمع اللغة في القاهرة، والمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، والمجمع المصري في دمشق، والمجمع العلمي العراقي، وكان من أبرز دعاة التغريب في العالم الإسلامي على يد =

وقاسم أمين. (١)

رد الشيخ على الدكتور طه حسين:

يقول الشيخ في رده على الدكتور طه حسين في كتابه: في الشعر الجاهلي وأنه دعايةٌ إلى الإلحاد والزندقة وطعن في الإسلام: (أتيح لي النظر ثانية في هذا الكتاب وقرأت الكثير من كتبه وفصوله في فرص متفرقة فحكمت بقراءتها حكما تفصيليا لا شك فيه بمثل ما أجملته في مقالتي الأولى بعد تلك النظرة العجلى حكمت بأن الدكتور طه حسين ما ألف هذا الكتاب لتحقيق ما يمكن الوصول إليه من الشعر الجاهلي يقينا أو ظنا أو شكا، بل ألفه لأجل الطعن في الإسلام والصد عن سبيل الإيمان والدعوة إلى الزندقة والإلحاد، هذا هو المقصد والشعر الجاهلي والأدب العربي وسيلة إليه.... وإنني أبدأ الآن ببيان خطة

المستشرق دوركايم، ودعا إلى الإلحاد والشك في الدين والطعن فيه من خلال آرائه المنشورة في كتبه مثل كتابه في الشعر الجاهلي، رفعت ضده قضية اتهم فيها بالطعن في الدين الإسلامي وتكذيب القرآن الكريم، وله مؤلفات كثيره منها: في الأدب الجاهلي و في الشعر الجاهلي وذكرى أبي العلاء المعري وقادة الفكر وحديث الأربعاء وسلسلة مقالات أخرى، تُرجم الكثير من كتبه إلى عدة لغات وعينته جامعة الدول العربية رئيسا للجنتها الثقافية فأدارها مدة، وحاول البدء في عمل دائرة معارف عربية و لم ينجح، وتوفي بالقاهرة عام ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٢٣١/٣. ومجلة المنار، رشيد رضا، ٦٨٧/٢٧ و٣٦٨/٢٨).

(١) قاسم بن محمد أمين المصري، كاتب باحث، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها، كردي الأصل ولد ببلدة طره بمصر ١٢٧٩هـ ١٨٦٣م، وانتقل مع أبيه الضابط أمير ألاي محمد بك أمين إلى الإسكندرية، فنشأ وتعلم بها، ثم بالقاهرة وأكمل دراسة الحقوق في فرنسا وعاد إلى مصر سنة ١٨٨٥م فكان وكيلا للنائب العمومي بالمحكمة المختلطة، فمستشاراً بمحكمة الاستئناف، توفي بالقاهرة عام ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م، له من المؤلفات تحرير المرأة، والمرأة الجديدة، وكان لصدورهما دوي، ونشر له كتاب ثالث سمي: كلمات قاسم بك أمين. (انظر: الاعلام، الزركلي، ١٨٤/٥. ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ١١٤/٨).

الدكتور طه في دعايته الإلحادية وما مهد لها به في كتابه الجديد في الشعر الجاهلي من الدعاوى والقواعد الخادعة مع تفنيدها وبيان ما فيها من التعارض والتناقض، ثم أقفي على ذلك ببيان أهم مطاعنه في الدين الإلهي وفيما ختمه الله وأكمله به ببعثة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم). [1]

وأورد الشيخ رده عليه في هذا الكتاب موضحاً منهجه فكان رده قوياً واضحاً منبهاً على أمور ركز فيها على أن المقاصد والأصول والمقدمات التي جرى عليها الدكتور طه حسين كانت في طعنه في الإسلام ودعوته إلى الإلحاد، واحتوى رده على أمور أهمها:

١- إن الدكتور طه حسين قد أخذ على عاتقه أن يحارب دين الإسلام والأمة الإسلامية بالطعن فيهما وصرف الناس عنهما إلى الزندقة والإباحة.

٢-أن شأنه في مصنفاته من ذكرى أبي العلاء إلى في الشعر الجاهلي وفي مقالاته التي نشرها في جريدة السياسة تحت عنوان حديث الأربعاء إلى مقاله الأخير العلم والدين وهي تسير وفق خطة قد ابتدعها بعض اليهود في أوربة لإفساد دين النصرانية على أهله.

٣- أن من أساليبه المعروفة في كل ما كتبه أنه يخترع مسائل يجعلها من قبيل القضايا المسلمة بما يزينها من خلابة القول ثم يستدل بها أو يورد عليها بعض الشبهات ويرد عليها دفاعا عنها وهذا كثير في كتابه هذا.

٤- أن من أساليبه أنه يشكك في المسائل الثابتة بضروب من خلابة المغالطة، ويزين هذا التشكيك لقارئ كلامه ويحاول حمله على قبوله بدعوى أن الشك في كل شيء هو

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٧/ ٦٧٨، في مقال بعنوان: كتاب في الشعر الجاهلي دعاية إلى الإلحاد والزندقة وطعن في الإسلام.

الطريق الأرحب الموصل للعلم الحق والفلسفة الصحيحة والتجديد فيجب على طالب الحقيقة أن يقبله.

٥- أنه يجب حين نستقبل البحث عن الأدب العربي وتاريخه أن ننسى ديننا وتراثنا، وكل من يتصل به، ويجب أن لا نتقيد بشيء ولا نذعن لشيء إلا مناهج البحث العلمي الصحيح ذلك أننا إذا لم ننس فسنضطر إلى المحاباة وإرضاء العواطف وسنغل عقولنا. (١)

جهوده في الدعوة إلى اصلاح المحاكم المصرية.

لما رأى الشيخ من التغريب الحاصل في تطبيق الاحكام الغربية على قضايا الأحوال الشخصية في المحاكم المصرية اقترح على شيخ الجامع الأزهر، ومجلس إدارته إنشاء قسم في الأزهر، يعلم الشريعة تعليما قضائيا عمليا، يعدون فيه خريجيه لمنصب القضاء الشرعي، ومما اقترحه فيه أن تؤلف من طلابه هيئة للمحاكمات كهيئة المحكمة ولكن هذا الاقتراح لم يتم العمل به، ثم إن الشيخ انتقد جعل الأحكام الشرعية قانوناً، وبرر ذلك بأن القانون إذا أطلق يختص معناه بما يقابل الشرع الإلهي من الأحكام، وما يترتب على ذلك من توقف الحكم به، وكونه سيشرح على أنه قانون، فلا يتقيد الشارحون له بمآخذ أحكامه من الشرع، وربما لا يعرفونها، وقد يفضي ذلك إلى مخالفة نصوص الشارع، وإجماع الأمة، وكونه سيدمج بعد ذلك في القانون المدني، وتزول منه كل صبغة، وكل صيغة تدل على استمداده من الشرع الإسلامي، ويذكر الشيخ أنه راجع في المسألة شيخ الأزهر ورغب إليه أن يعترض على تسمية ما يجمعونه من هذه الأحكام الشرعية قانوناً، ويقترح تسميتها المجلة الشرعية في الأحكام الشخصية، فرد عليه شيخ الأزهر: وأي مانع يمنع من تسميتها قانوناً؟ ! والقانون هو القاعدة الكلية المنطبقة على جزئياتها، وهو يصدق

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٧٨/٢٧وما بعدها.

على هذه الأحكام، فرد عليه الشيخ بأنها عُرف إذا أطلق في عرف الحقوق والحكومات ينصرف إلى ما يضعه البشر من الأحكام التي تجري عليها الحكومة، ويكون مقابلا للشريعة التي هي وضع إلهي لا بشري، حتى إن ما يستنبطه البشر بآرائهم الاجتهادية من هذه الأحكام ينسبونه إلى الوضع الإلهي، لأن الأصل في الصحيح منه أن يكون راجعا إلى نص من الكتاب أو السنة وإن كان الكثير منها ليس كذلك، بل بعضها مخالف للنصوص، وذكر له بعض ما ظهر له من لوازم هذه التسمية، وظن أنه سيفعل شيئا ولم يفعل. (١)

ويتضح مما سبق أن التغريب تيار مشبوه يهدف إلى نقض عرى الإسلام والتحلل من التزاماته وقيمه واستقلاليته، والدعوة إلى التبعية للغرب في كل توجهاته وممارساته ومن واجب قادة الفكر الإسلامي كشف مخططاته والوقوف بصلابة أمام سمومه ومفترياته، وقد استطاع هذا التيار استقطاب كثير من المفكرين العرب، فمسخوا هويتهم، وحاولوا قطع صلتهم بدينهم، والذهاب بولائهم وانتمائهم لأمتهم الإسلامية، من خلال موالاة الغرب والزهو بكل ما هو غربي، وهي أمور ذات خطر عظيم على الشباب المسلم.

يقول الشيخ : (للإسلام أعداء كثيرون من أهله ومن غير أهله، كلهم يحاربونه ويسعون لإطفاء نوره، وخضد شوكته، وتمكين أعدائه من مقاتله منهم من يسعى لهذا عالما به متعمدا له، ومنهم الجاهل غير المتعمد، والجاهل الذي يظن أن ينصره ويدافع عنه..... وقد بدأنا في السنين الأولى بجهاد أعداء دينهم وأنفسهم من المسلمين، فدعوناهم إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلناهم بالتي هي أحسن، ثم خضنا معامع مهاجمي الأجانب ولا سيما دعاة النصرانية المبشرين، فكان من أبواب المنار

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٣/ ٥٣٩.

المفتوحة في كل جزء باب شبهات النصارى وحجج الإسلام، كما كان من أبوابه فيها باب البدع والخرافات والتقاليد والعادات، وفي أثناء ذلك كنا نلم المرة بعد المرة بمضار التفرنج الصورية والمعنوية والاجتماعية، ثم ظهرت مفاسد الملاحدة من المتفرنجين، بمجاهرتهم بمهاجمة الدين في المحاورات والخطب تلقى في المحافل، والمقالات تنشر في الجرائد، فنهُد إليهم المنار متتبعا عوارهم مقلما أظفارهم، مبينا مفاسدهم ومضارهم، وماذا عسى أن يبلي قلم واحد في صحيفة واحدة، يناضل هؤلاء المهاجمين الكثيرين؟ جهد المقل، وأداء فرض كفاية أو فروض كفايات، تأثم الأمة الإسلامية كلها بتركها، وما كان عمل المنار بدافع هذا الإثم عن جميع شعوبها في جميع أقطار الأرض التي ظهرت فيها تلك الإغواءات النصرانية والإلحادية والبدعية، وإنما كان يغني عنهم ويدفع لو كان منتشرا كانتشارها، يصل إلى كل من تصل إليه منهم بنفسه أو بترجمة ما ينشره، على أن هذه المفاسد تظهر في كل بلد أو قطر، بشكل قد يحتاج في رده وبيان بطلانه إلى عبارات وحجج غير التي يحصل بها المراد في قطر آخر). (١)

هذه بعض جهوده -رحمه الله- في مواجهة دعاة التغريب وآثارهم في مجتمعه الذي كان يعيشه ذلك الوقت.

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٩/١١٥.

الفصل السادس

مجالات دعوة الشيخ محمد رشيد رضا

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الدعوة إلى العقيدة الصحيحة وتحقيق الإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني: الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في جميع مجالات الحياة.

المبحث الثالث: الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الحميدة.

المبحث الرابع: الدعوة إلى إصلاح المرأة .

المبحث الأول

الدعوة إلى العقيدة الصحيحة

وتحقيق الإيمان بالله تعالى

التعريف

تعريف العقيدة لغة:

كلمة العقيدة في اللغة : مأخوذة من العقد، وهو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والوثوق، ومنه: عقد الشيء يعقده عقدا وانعقد وتعقد، والمعاقِد: هي مواضع العَقد، والعُقدة: القِلادة، والعَقد: الخيط ينظم فيه الخرز وجمعه عُقود، وعقدت الحبل اعقده عقدا وقد انعقد، ومعقد الحبل مثل مجلس، وهو موضع عقده يقال له: عقده، وجمعها عقد، لأنها تمسكه وتوثقه، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴾ الفلق: ٤: أي السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفثن فيها. (١)

تعريف العقيدة شرعاً:

لقد عرفت تعريفاً عاماً بأنها: (ما يعتقده الإنسان ويدين به من خير وشر ومن فساد وصلاح. (٢)

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٨٧/٤. ولسان العرب، ابن منظور، ٤١٣/٣.

(٢) انظر: القوادح في العقيدة ووسائل السلامة منها، الشيخ عبد العزيز بن باز، ص١٥. ومباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها، ناصر العقل، ص٩.

أما التعريف الخاص للعقيدة الإسلامية هي: (الإيمان الجازم بالله وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالطاعة والتحكيم والاتباع). (١)

واما ابن تيميّة – رحمه الله – فقد عرف العقيدة الإسلامية فقال: (هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وبالقدر خيره وشره). (٢)

وبين الشيخ أهمية التوحيد، وأثره في النفس فيقول: (إن عقيدة التوحيد القرآني هي أعلى المعارف التي ترقي الإنسان إلى أعلى ما خلق مستعدا من الكمال الروحي والعقلي والمدني، وقد صرح كثير من العلماء الإفرنج بأن سهولة فهم هذه العقيدة وموافقتها للعقل والفطرة هما السبب الأكبر لقبول الأمم لها وإعتاقها من رق الكهنة والأحبار والرهبان.... قد كان توحيد المسلمين الأولين لله ومعرفتهم به وحبهم له وتوكلهم عليه هو الذي أزكى أنفسهم وأعلى هممهم وكمّلهم بعزة النفس وشدة البأس وإقامة الحق والعدل، ومكنهم من فتح البلاد وسياسة الأمم). (٣)

ويقول الشيخ مبيناً اهمية اركان الإيمان: (الإيمان باليوم الآخر وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الأعمال، هو الركن الثانى للدين الذى بعث الله به الرسل

---

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر بن عبد الكريم العقل، ص٩، ط١، ١٤١٢هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.

(٢) مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، ص٤، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.

(٣) الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص ١٧٤.

عليهم السلام، وبه يكمل الإيمان بالله تعالى، ويكون باعثنا على العمل الصالح وترك الفواحش والمنكرات والبغي والعدوان، وكان جل مشركي العرب ينكرونه أشدّ الإنكار، وأما أهل الكتاب وغيرهم من الملل التي كان لها كتب وتشريع ديني ومدني، ثم فقدت كتبهم أو حُرفت واستحوذت عليهم الوثنية فكلهم يؤمنون بحياة بعد الموت وجزاء يختلفون في صفتهما لا في أصلهما ولكن إن إيمانهم هذا قد شابه الفساد ببنائه على بدع ذهبت بجل فائدته في إصلاح الناس، وأساسها عند الهنود وغيرهم من قدماء الوثنيين، وخلائف النصارى المتبعين لدين القيصر قسطنطين، هو وجود المخلص الفادي الذى يخلص الناس من عقوبة الخطايا ويفديهم بنفسه فلا محاباة ولا واسطة، بل هو العدل والحق الذي جاء واضحاً أبلج في قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ النجم: ٣٣ - ٤٢).[١]

وعلى هذا المبدأ العظيم سار الشيخ وقد اجتهد في توضيح العقيدة الصحيحة للناس من خلال أمور أهمها :

التأليف والكتابة ونشر كتب السلف الصالح ككتب شيخ الإسلام ابن تيميّة وابن القيم -رحمهما الله- وذلك في تفسيره، ومجلته وغيرها من كتبه.

توضيح منهج السلف الصالح في العقيدة.

الرد على الفرق المخالفة.

---

(١) الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص١٢٦.

التحذير من الشرك والأسباب الموصلة إليه.

وشرع الشيخ في شرح العقيدة في مجلة المنار في أعدادها الأولى في مقالات بعنوان: أمالي دينية، واعتمد فيها على ما نشأ عليه من كتب المتكلمين، فأخذ يشرح في الإيمان بالله باصطلاحات المتكلمين، وكان في جميع ذلك معتمداً على كتب السنوسي[(١)] والإيجي[(٢)] وكان يرى في ذلك الوقت أنّ هذه الكتب هي أمثل كتب العقائد، وفي المجلد الثالث من المجلة أيضاً وقف الشيخ على إحدى رسائل شيخ الإسلام ابن تيميّة –رحمه الله– وهي الواسطة بين الحق والخلق فقرَضها في المجلة، ثم بدء من المجلد الثالث ارتباطه بمؤلفات السلف وخصوصا ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم وكذلك عقيدة السفاريني، التي طبع منها عدداً من النسخ وقفاً على طلبة العلم في بلاد مختلفة، وكان لانتشار مجلة المنار في العالم الإسلامي أثراً كبيراً في انتشار عقيدة السلف لدى قراء المجلة الذين يتزايدون يوماً

(١) هو: محمد بن يوسف السنوسي الحسيني، ولد سنه٨٣٢هـ ١٤٢٨م، عالم تلمسان في عصره، له تصانيف كثيرة، منها عقيدة أهل التوحيد ويسمى العقيدة الكبرى، وأم البراهين، ويسمى العقيدة الصغرى وتوفي سنه ٨٩٥ هـ-١٤٩٠م وغيرهما. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٧/ ١٥٤)، وفي المجلد السابع عشر من مجلة المنار، انتقد الشيخ محمد رشيد رضا–رحمه الله– السنوسي قائلاً: (ما كتبه السنوسي –رحمه الله– من العقائد ولا سيما العقيدة الصغرى، التي انتشرت في المشرقين والمغربين وحذا حذوه فيها معلمو المدارس الرسمية وغيرها، حتى فيما يضعونه من العقائد للمبتدئين، وقاعدها في الإلهيات: أن الواجب على كل مكلف شرعاً أنّه يؤمن بأنه يجب لله تعالى عشرون صفة، ويستحيل عليه أضدادها، واصطلاحه في هذه الصفات مخالف لما كان يفهمه السلف وأهل اللغة.... فكيف نقتصر عليه ونجعله هو العمدة في تلقين عقيدة الإسلام ؟)، مجلة المنار، رشيد رضا، ١٧/٧٣٩.

(٢) هو: عبد الرّحمن بن أحمد عضد الدين، عالم بالأصول والمعاني والعربية، له: المواقف في علم الكلام، والعقائد العضدية وعليها حاشية للجلال الدواني. (انظر: الأعلام، الزركلي، ٣/ ٢٩٥).

بعد يوم، مما مكنه من الحصول على اغلب مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميّة التي انتشرت في كل مكان بواسطة قراء المجلة في العالم الإسلامي وبنفس الطريقة وصلت إليه أكثر ابن تيميّة وكتب ابن القيم وكتب أخرى غيرها. [١]

يعلّق الشيخ قائلاً: (كنا عند الابتداء بالاشتغال بعلم الكلام نرى في الكتب خلاف الحنابلة، فنحسب أنهم قوم جمدوا على ظواهر النقول.... ثم اطلعنا على كتب القوم فإذا هي الكتب التي تجلّي للمسلمين طريقة السلف المثلى، وتُورد النّاس موردهم الأحلى، وإذا بقارئها يشعر ببشاشة الإيمان، ويحسّ بسريان برد الإيقان، وإذا الفرق بينها وبين كتب الأشاعرة كالفرق بين من يمشي على الصراط السوي ومن يسبح في بحر لجيّ، تتدافعه أمواج الشكوك الفلسفية، وتتجاذبه تيّارات المباحث النظرية، وقد ظهر إذ تبينت أنّ مذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم). [٢]

موقف الشيخ من الإختلافات العقدية بين المسلمين.

بيّن الشيخ موقفه من الاختلافات العقدية بين المسلمين، وأوضح أن الأسلوب الصحيح لجمع كلمة المسلمين ونفي التفرق في الدين يكون بأمور، ومن أهمها ما يلي:

١- العودة إلى منهج السلف الصالح والفرقة الناجية.

٢- الاعتصام بالكتاب والسنة.

٣- نشر التوحيد والسنة ومحاربة الشرك والبدع.

٤- جمع الكلمة على البر والتقوى والأخوة الإسلامية الإيمانية.

٥- تعاون علماء الإسلام والمسلمين على الاقتداء بهدي السلف الصالح.

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٢٢/٢، ٥٠٦/٢- ٥٠٧ و٢٧٣/٤ و٥٠٠/٦ و١٤٥/١٠.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٢٠/٨.

٦- الحرص على العناية بلغة القرآن والسّنّة، وهي اللغة العربية، ونشرها في الأوساط الإسلامية غير العربية، للتمكّن من التعارف والتعاون ونشر الدين فيها.

٧- البعد عن العصبيات والقوميات والحزبيات، المفرّقة لوحدة المسلمين ودينهم. [١]

لقد أراد منها الشيخ تعاون المسلمين لنصرة هذا الدين ونشره في العالمين، وجمع شتاتهم وتفرقهم، وتفريق المحتلّين المستعمرين من الإنجليز والفرنسيين وغيرهم، فالشيخ كان ينادي بمحاربة البدع والشرك والخرافات، رغم نشره لكتب ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله- وانتصاره لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورده على الجهمية[٢] والمعتزلة [٣]، والأشاعرة [٤] والخوارج[٥] وردّه على التصوف والصوفية، والرافضة[٦] والبابية والبهائية والقاديانية، ومناداته بصد عدوان النصارى المحتلّين، وحملات الاستشراق. [٧]

تحذير الشيخ من الشرك ومظاهره

يبين الشيخ حقيقة الشرك فيقول: (حقيقة الشرك في الألوهية وهو الشعور بسلطة وراء الأسباب والسنن الكونية لغير الله تعالى، وكل قول أو عمل ينشأ عن ذلك الشعور.

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٨٩٨/١٣، ٩٠١، ٩٠٥، ٩٠٦.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٤٤٩/١٦، و١٩٦/٩، ٢٣/٩، ٦١٤/٨، ٦٦٩/١٦، ١٦/ ٧٠٣، ١٨٦/٢٢، ٦٠١/١٦، ٨١/٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ٨٣٩/١٦، ٧٤٥/١٦، ٧٤/١٦، ٦٠١/١٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ٤٧٠/٥، ٨١/٩، ٦٤١/١٢، ٦٧٥/٣، ٧٨٣/١٧، ٤٦٩/٢١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ٢٨١/٣١.

(٦) ألف الشيخ كتاباً عنهم وسماه: السنة والشيعة، وطبع في مطبعة اضواء السلف.

(٧) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٣٩/١٥، ٨٣٩/١٦، ٧٤٥/١٦، ٧٤/١٦، ٨٤٠/٣، ٨/ ٦١٤، ٦٤٩/٨.

والشرك في الربوبية: وهو الأخذ بشيء من أحكام الدين والحلال والحرام عن بعض البشر دون الوحي...).[١]

وقال الشيخ مبيناً خطر الشرك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الأنعام: ١٥١ قال رحمه الله: (بدأ تعالى هذه الوصايا بأكبر المحرمات وأفظعها وأشدها فساداً للعقل والفطرة وهو الشرك بالله تعالى سواء كان باتخاذ الأنداد له أو الشفعاء المؤثرين في إرادته ... وما يذكر بهم من صور وتماثيل وأصنام أو قبور ... وتقدير الكلام: أول ما أتلوه عليكم في بيان هذه المحرمات وما يقابلها من الواجبات أو أول ما وصاكم به تعالى من ذلك هو: أن لا تشركوا بالله شيئاً من الأشياء وإن كانت عظيمة في الخلق كالشمس والقمر والكواكب أو عظيمة في القدر كالملائكة والأنبياء والصالحين ...).[٢]

ومن أثر الشرك على صاحبه حبوط العمل يقول الشيخ: (أما الدليل على الحبوط فآيات صريحة في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الزمر: ٦٥، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ الأنعام: ٨٨، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ المائدة: ٥، ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ الكهف: ١٠٥ ...).[٣]

---

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٥/ ١٤٨.

(٢) تفسير المنار، رشيد رضا، ٨/١٦٢.

(٣) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣/٥٠.

مظاهر الشرك التى حذر منها الشيخ

١- عبادة القبور :

يقول الشيخ عن القبور مقارناً بينها وبين أصنام وأوثان الجاهلية: (وقد يظن من أشرك بعض الأولياء مع الله تعالى هذا النوع من الإشراك أن هذا التوبيخ لا يوجه إليهم، وأن هذه الحجة لا تقوم عليهم، لأن أولئك كانوا يدعون جماداً وشجراً لا يعقل، وهم يدعون أولياء وصلحاء، لأمواتهم حكم الشهداء في الحياة، وهم يقصدون قبورهم ويعظمونها، لأن لأرواحهم اتصالاً بها، وإنما جاءت هذه التفرقة من جهلهم بأن أكثر هذه الأصنام لم تنصب إلا للتذكير بأناس من الأولياء الصالحين كما رواه البخاري عن ابن عباس في أصنام قوم نوح التي انتقلت إلى العرب، وقد كانت اللات صخرة لرجل يلت عليها السويق ويطعمه الناس، فالأصنام والتماثيل والقبور التي تعظم تعظيماً دينياً لم يأذن به الله كلها سواء في كونها وضعت للتذكير بأناس عرفوا بالصلاح وكانوا هم المقصودين بالدعاء لما تخيلوا فيه من التأثير في إرادة الله، أو التصرف العيني في ملك الله، وهو أفحش الشرك بالله، على أنه لا فرق في المسألة بين إشراك الصنم والوثن، وإشراك الولي أو النبي أو الملك ....). [١] ويقول الشيخ أيضاً: (ألم تر إلى ما استحدثه بعض المبتدعة في الإسلام وقلدهم فيه بعض الملوك من المنسوبين إلى السنة: من تشييد القبور، وتزيينها بالعمائم والستور، وبناء القباب فوقها، واتخاذها مساجد يصلى إليها أو لديها، وإيقاد السرج والشموع عليها، أنه قد جعل لها مكاناً وبنية كبيرة في قلوب عامة المسلمين، حتى

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٥٢٦/٩-٥٢٧.

صارت عندهم من شعائر الدين بحيث يعدون من روى لهم الأحاديث الصحيحة في لعن الله و رسوله لمن يفعل ذلك مبتدعاً فيه أو مارقاً منه).[١]

ويرى الشيخ أن الإنفاق على مظاهر تعظيم القبور وتشييدها لا يجوز فيقول جواباً لسؤال ورد إليه: (وكذلك لا يجوز الإنفاق منه فيما جرت به العادة من إيقاد السرج والشموع على قبر الولي والمسجد الذي يبنى عليه لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى عن ذلك، ولعن فاعله، وقد عدّ العلماء اللعنة علامة على أن الذنب من الكبائر....). [٢]

ويبين الشيخ حكم زيارة القبور قائلاً: (لم يرد في الكتاب والسنة التي يحتج بها شيء في زيارة قبور الصالحين خاصة، بل كان النهي عن زيارة القبور في أول الإسلام مقصوداً به إبعاد المسلمين عن مظنة تعظيم قبور الصالحين، ولما أذن النبي بعد ذلك بالزيارة للرجال وعلل ذلك بأنها تذكر بالموت أو بالآخرة، ظل ينهى عن تشريف القبور وبناء المساجد عليها وعن الصلاة بالقرب منها وعن إيقاد السرج عليها وكان يلعن فاعلي ذلك ... فعلم من هذه الأحاديث أن زيارة قبور الصالحين هي مظنة الفتنة وتعظيم ما لم يأذن الله بتعظيمه لا سيما إذا كانت هذه القبور محاطة بالبدع كبناء المساجد عليها وإيقاد الشموع عندها والصلاة بالقرب منها والتمسح بأحجارها ونحاسها والتماس الخير ودفع الشر منها بالاستقلال أو الواسطة، فهذه البدع والمنكرات تجعل زيارة قبور الصالحين دون زيارة سائر القبور التي تقل عندها المنكرات إلا إذا كان من يحضر عند تلك القباب والمساجد يأمر بالمعروف وينهى عن كل منكر يراه. فإن كان لا يفعل هذا فأي فائدة له من حمل حرمة السكوت على المنكرات الكثيرة لأجل فائدة الزيارة التي لم تفرض عليه، و لم تسن

---

(١) المرجع السابق، ١٠٩/٩.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢١٨/٨.

له، و لم تعهد من الصحابة عليهم الرضوان، وغاية ما فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم أذن بها لأجل الاعتبار بعد النهي والمنع، والأمر الوارد على منهي عنه يفيد الإباحة وأكثر ما فيه أن يقال: هو مستحب إذا خلا من كل منكر). [1]

٢- الاستغاثة بغير الله تعالى .

الاستغاثة والاستعانة بمعنى واحد، فيقال: استغاثه واستغاث به، كما يقال إنه استعانه واستعان به، واستعمال هذين اللفظين في الكتاب والسنة بمعنى الطلب من المستغاث به. وقول القائل: استغثت فلاناً واستغثت به بمعنى طلبت منه الإغاثة. والاستغاثة بالخالق لا خلاف فيها قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الأنفال: ٩ وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ الفاتحة: ٥. [2]

قال الشيخ عند تفسيره لسورة الفاتحة : (وأمرنا أن لا نستعين بغيره أيضاً.... لأن الاستعانة بهذا المعنى فزع من القلب إلى الله وتعلق من النفس به وذلك من مخ العبادة). [3]

والاستغاثة بالله تعالى هي من مظاهر توحيد العبد، أما الاستغاثة التي هي من مظاهر الشرك، فهي الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه، حياً أو ميتاً.

والشيخ بين خطر الاستغاثة والاستعانة بغير الله تعالى سواءً بمخلوق حيٍ أو ميت ويذكر ذيوع ظاهرة الاستغاثة وأمثلة عليها منها أن رجلاً روى الشيخ حاله فقال عنه:

---

(١) المرجع السابق، ٧/٥٤.

(٢) انظر: الرد على البكري، ابن تيميّة، ص٢٦١، الدار العلمية، دلهي، الهند، ط ٢، ١٤٠٥هـ. وصيانة الإنسان، السهسواني، ص١٥٣.

(٣) تفسير المنار، رشيد رضا، ١/٥٨-٥٩.

(غاب عن ناظري رجل أشعث أغبر أشمط كنت أراه يطوف الشوارع ولسانه رطب يتلجلج بذكر السيدة [(١)] لا يفتر طرفة عين عن ندائها: يا سيدة يا سيدة يا سيدة يا سيدة يا سيدة يا سيدة.... وأعرف رجلا شيخا أشيب أعمى أجش الصوت ينشد الأماديح المنظومة على طريق المواويل بالاستغاثة بالسيدة: يا بنت بنت النبي طلّي وشوفينا، يا بنت بنت النبي دخلك أنا عيان)[(٢)] وفي الاستعانة يقول: (والاستعانة طلب المعونة، وهي: إزالة العجز والمساعدة على إتمام عمل...). [(٣)] لذلك فإن الشيخ قام بكل ما يستطيع لمواجهة هذه الظاهرة الشركية المنتشرة، وبين الشيخ معنى الاستعانة وحكمها وأقسامها وحكم كل قسم منها.

وقد حرص الشيخ على العقيدة الصحيحة في دعوته وما هذه إلا بعض من مما قام به مما سلف ذكره في هذا البحث من امثلة تجنبت إعادة ذكرها خشية التكرار ولذكر الجديد الذي لم يتم الإشارة الية سابقاً من جهود الشيخ في هذا المجال.

---

(١) يريد بالسيدة: السيدة زينب بنت علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما، وأمّها فاطمة رضي الله عنها بنت محمد صلى الله عليه وسلم، ولها مسجد باسمها في القاهرة يقال إنّها دفنت فيه. (انظر: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر متولي، ص٥٣٩).

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣١٧/٧.

(٣) تفسير المنار، رشيد رضا، ٥٨/١-٥٩.

المبحث الثاني

الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية

في جميع مجالات الحياة

التعريف

الشريعة لغةً واصطلاحاً.

في اللغة:

شرع لهم: سن لهم والشريعة ما شرع الله لعباده فالشريعةُ والشراع والمشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها. (١)

والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عداً لا انقطاع له.

والشريعة والشرعة: ما سن الله من الدين وأمر به كالصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر أعمال البر مشتق من شاطئ البحر، ومنه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ الجاثية: ١٨، وقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨. (٢)

الشريعة اصطلاحاً :

هي: (الشريعة ما شرع الله لعباده من الدين؛ وقد شرع لهم يشرع شرعاً أي سن، والشارع الطريق الأعظم). (١)

---

(١) انظر: الصحاح، الجوهري، ٣/١٢٣٦، مادة (شرع). والقاموس المحيط، الفيروزآبادي، ٧٣٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٨/١٧٥-١٧٧، مادة (شرع).

وقيل: هي ما شرع الله لعباده من الدين، أي من الأحكام المختلفة، وسميت هذه الأحكام شريعة لاستقامتها ولشبهها بمورد الماء. [٢]

فيكون المراد منها: كل ما سنه الله لعباده من الأصول والأحكام الاعتقادية والعبادية والعملية والأخلاقية . [٣]

وإن أهمية الشريعة الإسلامية تكمن في مصدرها وهو الكتاب والسنة أصح المصادر فهي تأخذ ها منهما وصلاحيتها مرتبطة بهما فهي ربانية المصدر صالحة لكل زمان ومكان مناسبة للمكلفين، يقول الشيخ: (جمع الإسلام في أحكامه بين حقوق الروح والجسد، والإيمان والعمل، والعزائم والرخص وأنكر الغلو في الدين، ويسر الفهم لأحكامه القطعية، وأفسح مجال الاجتهاد فيما عداها من الأحكام الظنية، كما رتب العقوبات على ما ظهر من الأفعال، لا ما أضمر من الخواطر التي لا يحاسب عليها إلا رب العباد. وجعل مدار الأحكام الاقتداء بسيد الأنبياء مع إخلاص النية لله). [٤]

ويقول الشيخ أيضاً: (وأما سنة القرآن في الإرشاد إلى الأعمال الصالحة فهي بيان أصولها ومجامعها وتكرار التذكير بها بالإجمال، وأكثر ما يحث عليه من العبادات الصلاة التي هي العبادة الروحية العليا، والاجتماعية المثلى، والزكاة التي هي العبادة المالية

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٢٥/٣، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

(٢) انظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي، ٥٢٤-٥٢٥، المحقق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيميّة، ٣٠٦/١٩، المحقق: عبد الرّحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٤) الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص ٢٨٦.

الاجتماعية الكبرى. كرر الأمر بهما في آيات كثيرة، وبين أهم منافعهما بقوله تعالى: ﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٤٥، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ المعارج: ١٩ - ٢٥، و لم يكرر فيه ما يحفظ بالعمل والاقتداء بالرسول من أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل لم يذكر منها إلا ما لذكره فائدة خاصة، وذكرت فيه أحكام الصيام في موضع واحد من السورة الثانية، و لم يذكر فيه عدد الركعات في كل صلاة، ولا عدد الركوع والسجود ولا نصاب الزكاة في كل نوع مما تجب فيه، لأن كل هذا يؤخذ من بيان الرسول ويحفظ بالعمل، وليس في ذكره تزكية للنفس ولا تغذية للإيمان، وسيأتي بعض فوائد الزكاة في الكلام على إصلاح القرآن المالي من المقصد السابع وسنعقد في ملحقات الكتاب من الجزء الثاني منه فصلا في أسرار العبادات الإسلامية من روحية واجتماعية وصحية نبين بها فضلها وامتيازها على جميع عبادات الملل الأخرى، فيعلم به أنه لو لم يجئ محمد صلى الله عليه وسلم بغيرها لنهضت برهانا على نبوته وإكمال الله الدين به). [١]

ومن خلال مناقشته للمستشرقين وردوده عليهم يقول الشيخ: (جرى عُرْف الكُتّاب الأوربيين ومن تبعهم من الشرقيين لا سيما كتاب النصارى بأن يطلقوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يعد به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة

---

(١) الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص١٣٨.

ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والأحكام القضائية والمدنية والسياسية، وكل باحث في التاريخ من هؤلاء الكتاب يعلم أن الإسلام جاء بدين وشريعة ومن ذلك قول بعضهم: إن محمدًا عليه الصلاة والسلام كوّن في عشرين سنة أُمّة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجمعُ بين هذه الأمور الثلاثة: فهؤلاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين في الإسلام وأن ما يدين به المسلمُ ربَّه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد وهو نور الوحي الذي أوحاه الله إلى محمد عليه الصلاة والسلام، لا فرق في الإسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي إلا في شيء واحد وهو أن الاعتقاد والعبادة لّما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأمم وجب الاعتماد فيهما على الوحي في الجملة والتفصيل والكليات والجزئيات، وأما المعاملات الدنيوية فَلاخْتلافها باختلاف ما ذكر قد وضع الإسلام لها قواعد كلية وأصولاً عامة وفوّض استنباط الجزئيات التي تحدث إلى أولي الأمر العارفين بمقاصد الإسلام وبأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبينون الأحكام بالشورى في كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطًا من تلك الأصول والقواعد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾النساء: ٥٩، فذكر أولي الأمر بصيغة الجمع وقال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾النساء: ٨٣، ذكر أولي الأمر بصيغة الجمع أيضًا وأناط بهم استنباط الحكم الذي يُحتاج إليه أو يُتنازع فيه، ثم إن الأحكام الشرعية المنصوصة أو المستنبطة تحتاج إلى منّفذين ولا بد أن يكون لهؤلاء رئيس لئلا تكون الأمور فوضى، وقد سمي الرئيس الأول في الإسلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم خليفة له، وسمي مَنْ بعده أمير المؤمنين واستمر هذا اللقب، ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وتنفيذ أحكام شريعته فليس هو مسيطرًا على الناس في دينهم ولا مستقلاً بوضع الأحكام الشرعية لهم وإنما هو

حافظ للنظام ومنفذ للأحكام، وسلطته هذه كما نرى شُورِيّة لا مطلقة ولا استبدادية، ولكنّ الإسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرم عليه أن يكون شارعًا بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف، كما أوجب على الأمة إزالة سلطانه إن حَمَلَها على غير المشروع، فصح بهذا الاعتبار أن يقال: إن السلطة المدنية في الإسلام مستندة إلى الدين أو إنها سلطة دينية، ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعًا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والعقول والثانية على الأجسام والأعمال). (١)

دعوة الشيخ إلى تطبيق الشريعة الإسلامية بالتقاضي إليها في مرافق القضاء.

إن من كمال الدين ان يكون مناسباً لأحوال الناس كلها وهي أحد خصائص الشريعة الإسلامية السمحاء يقول الشيخ عبد العزيز بن باز–رحمه الله-: (إن تحكيم الشريعة والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه مقتضى العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وإن الإعراض عن ذلك أو شيء منه موجبٌ لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمرُ سواءٌ بالنسبة لما تعامل به الدولة رعيتها، أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان، وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، أوبين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواءٌ، فالله – سبحانه – له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خيرٌ من حكم الله ورسوله، أو تماثله وتشابهه، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدا بأن أحكام الله خيرٌ وأكمل

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٥/ ٨٤١.

وأعدل، فالواجب على عامة المسلمين وأمرائهم وحكامهم، وأهل الحل والعقد فيهم: أن يتقوا الله عز وجل ويحكموا شريعته في بلدانهم وسائر شؤونهم). [(١)]

والمطلع على حياة الشيخ يلمس الجهود التي بذلها واستماتته في ذلك بكل السبل، والتي منها تعدد نصائحه في فضل التحاكم إلى الشريعة الإسلامية، وتحذيره من خطر التحاكم الى القوانين الوضعية والمحاكم التي كانت تقضي بها ومما بينه في هذا المقال بعنوان : التعليم القضائي يقول: (نريد الآن أن نقول كلمة في التعليم القضائي بالعمل وهي: يعلم القراء أن الحكومة المصرية تحاول في هذه الأيام إصلاح المحاكم الشرعية بناءً على ما جاء في تقرير المستشار القضائي الإنكليزي من نسبة الخلل إليها، وتريد أن تبتدئ هذا الإصلاح بتعيين قاضيين من قضاة محكمة الاستئناف الأهلية النظامية في المحكمة الشرعية، يحضران الدعاوي المهمة، ويعلمون أن مجلس شورى القوانين رفض هذا الاقتراح بناءً على فتوى شرعية صدرت من جانب سماحة قاضي القضاة وفضيلة مفتي الديار المصرية وشيخ الأزهر، ملخصها: أنه ليس للحكومة المصرية ولا لأمير البلاد الحق في نصب قاضٍ شرعي، لأن هذا خاص بالخليفة ونائبه الذي هو في مصر قاضي القضاة، لا سمو الخديوي، وأن القاضي الشرعي يجب أن يحكم بالصحيح والراجح من المذهب النعماني، وأن يكون عالمًا بهما، وأن يكون قد مارس المرافعات الشرعية والحكم فيها، وبناءً على اعتبار هذا الأمر الأخير في القضاة سواء أكان واجبًا وشرطًا كما يفهم مما مرّ أَمْ لا نقول: لا يجوز أن يراد بممارسة المرافعات ما يكون بالقضاء الحقيقي، لأنه يلزم منه الدور، ولكن الممارسة تكون بأحد أمرين:

---

(١) وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، ابن باز، ص١٨، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ط ٥، ١٤٠٩هـ.

أحدهما: حضور المرافعات في المحاكم وهو لا يتيسر لجميع المتعلمين الذين يترشحون للقضاء، ويلزم له زمن طويل يصرف بعد طلب العلم في المحكمة.

وثانيهما التعليم القضائي الوضعي الذي نريده ونقترحه على فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ومجلس إدارته، لأنه أسهل الطرق للتحقق بما جاء في الفتوى.

هذا النوع من التعليم يُختار له الكتب التي تذكر الأحكام في ضمن الوقائع وأكثر كتب المتقدمين لا سيما قبل المئة الخامسة كذلك، لأنهم كانوا يتعلمون الفقه للعمل.... وإنما يكمل هذا النوع من التعليم بتأليف هيئة للمحاكمات الوضعية كهيئة المحكمة الحقيقية رئيس وقضاة أعضاء ومدَّعٍ ومدعَى عليه أو وكلاء محامون وبينات وتحقيق وحكم.

وينبغي أن تكون المرافعة علنية وأن يتناوب طلاب العلم القضاء فيها وأن تكون العناية بالدعاوى التي يحكم فيها بالشرع في هذه الأيام أشد من العناية بغيرها.

يقول قائل: أي حاجة للعناية بالأحكام التي لا يعمل بها، لأن أمراء المسلمين نسخوها بالقوانين الوضعية؟ والجواب: أن عدم التعليم القضائي جعل الشريعة السماوية الواسعة ضيقة لا تفي بحاجة العصر، والأمراء والحكام يرون أنفسهم مضطرين إلى مجاراة العصر في شؤونه العامة، ويجب أن تكون الأحكام مطابقة لحاجات الناس في كل عصر بحسبه لا أن تقاوم الطبيعة، وتغير أساليب العمران، لتوافق ما يفهمه العلماء على تقصيرهم من الكتب الشرعية القديمة، لأن هذا غير ممكن للناس، فإذا حسنت حال التعليم ووجد في الأمة علماء يعرفون حال العصر ويستنبطون من قواعد الشريعة العامة التي نفتخر بها بأنها تنطبق على أحوال كل زمان ومكان ما يوافق مصلحة الناس بحسب زمنهم هذا، فلا شك أن الأمراء والحكام المسلمين يحكمون بها مهما وَهَى بناء دينهم وسحلت مرائر يقينهم، لعلمهم بأنها أقرب لصلاح الناس لخضوع السواد الأعظم لها

ظاهرًا وباطنًا، اللهم إلا إذا غلبوا على أمرهم بالسلطة الأجنبية .... وقد بلغنا أن إسماعيل باشا الخديوي الأسبق طلب من علماء الأزهر أن يؤلفوا له كتابًا شرعيًّا في الحقوق والجنايات سهل العبارة مرتبًا على ترتيب كتب القوانين وموافقًا لحال العصر كمجلة الأحكام الشرعية التي يُعمل بها في محاكم ولايات الدولة العلية فأبوا عليه ذلك وسمعت أن إحجامهم كان خوفًا من طعن العامة في دينهم إذا هم وضعوا الأحكام الشرعية في أسلوب كتب القوانين، ومهما كان من السبب فالتبعة الكبرى فيه على العلماء كما هو ظاهر). (١)

ويرد الشيخ على من يقول إن الحكومة المصرية مغلوبة على أمرها للأجانب فكيف نرجو تحويل المحاكم الأهلية شرعية ونحن نرى الحكومة تحاول إلغاء المحاكم الشرعية والاكتفاء بالمحاكم الأهلية؟ وإذا لم يكن لنا أمل في الحكم بالشرع فعَلامَ العناية وإِلامَ احتمال العناء في تعلمه تعلمًا قضائيًّا أو غير قضائي؟: (أولاً: أن التعليم موجود في الأزهر بالفعل، ونحن إنما نطلب تحسينه، وقد ورد في الحديث الشريف أن الله تعالى يحب إذا عمل أحدنا عملاً أن يتقنه. (٢) وما ذكر قد يمنع من أصل التعليم ولكنه لا يمكن أن يمنع من تحسينه مع وجوده

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١١٧/٢.

(٢) رواه أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها، وفيه مصعب بن ثابت وثّقه ابن حبّان، وضعّفه جماعة. قال في التقريب: ليِّن الحديث. اهـ قاله في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، ٩٨/٤، تحقيق حسين سليم أسد الدّاراني، دار المأمون للتراث، وللحديث شاهد أخرجه البيهقي في شعب الإيمان لفظه: ((إنّ الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن)) من حديث قطبة بن العلاء بن المنهال، قال الألباني: مرسل، انظر السلسة الصحيحة، رقم الحديث(١١١٣).

ثانيًا: أن الأزهريين يشتغلون جميعًا فيما لا يتعلق به عمل في هذا العصر كأحكام الرقيق بأنواعها بناءً على أن مرادهم حفظ هذه العلوم وإن لم تكن تستعمل، ولذلك تبرم شيوخهم من زيادة بعض الفنون في الأزهر، لئلا تشغلهم عنها وتعلمها بالكيفية التي نريدها أقرب لتحصيلها ولحفظها.

ثالثًا – أن الأمل لم ينقطع من العمل بها ولا ينقطع إلا إذا بقي تعلمها على حاله أو رجع القهقرى كما هو الشأن في أمتنا منذ قرون.

فإذا نفضنا عن رؤوسنا غبار الخمول والكسل واجتهدنا في تحصيل العلوم على الوجه الذي يؤدي إلى إتقان العمل فلا يمضي زمن قليل إلا ونكون أمة من الأمم، لها قول يُسمع ورأي يُحترم، وعند ذلك نحكم بما نريد ونرغب، لأن قوة الشعب قوة إلهية لا تُغلب، فمن عمل لهذا الرجاء فأولئك هم المفلحون ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر: ٥٦].[1]

وفي مقال للشيخ تحت عنوان المدرسة القضائية في السودان يقول مستبشراً: (علمنا أن حكومة السودان قد قررت إنشاء مدرسة لتخريج القضاة الشرعيين واشترطت في تلامذتها أن يكونوا قبل الدخول فيها معروفين بالاستمساك بالدين تخلقًا وعملاً، وأن يكونوا عارفين ما تجب معرفته من العقائد الإسلامية والعبادات وصاحِب إلمام بأحكام المعاملات ومدة الدراسة أربع سنين والعلوم التي تعلم فيها هي الخط والإملاء والحساب والهندسة وتقويم البلدان والتجويد والتوحيد والمنطق والحديث والتفسير والفقه وأصوله، والنحو والصرف والبلاغة والإنشاء وتاريخ الإسلام والآداب الدينية، وحكمة التشريع

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١١٧/٢.

والتمرينات القضائية والتوثيقات ونظام المحاكم.... وإننا نتمنى لو يبادر أولياء الأمر في مصر إلى مثل العمل الذي كنا اقترحناه على مشيخة الأزهر من نحو أربع سنين، فإن داء المحاكم الشرعية في مصر لا يمكن برؤه إلا بتربية القضاة تربية تؤهلهم للقيام بأعبائه .... وهذه الدولة العلية لها مدرسة مخصوصة لتخريج القضاة مكتب النواب وهي غير مدرسة الحقوق فالواجب على أولي الأمر في مصر العمل بما كنا اقترحناه من انتخاب طائفة من نابغي الأزهر يعلمون فيه التعليم القضائي .... وإننا لنتنسم من حكومة السودان أنها ستحمي الإسلام في تلك الأقطار وتقيم أحكامه فإن هي فعلت فلا شك أنها تمتلك جميع ما بقي مستقبلاً من الممالك السودانية، لأن المسلمين في تلك الأقطار شديدوا التمسك بدينهم والتعصب له كأهل الجزائر فإذا قيدوا به سلسوا للانقياد وإلا أصروا على العدوان والعناد وإن لدينا نبأ من تقرير قاضي قضاة السودان عن المحاكم الشرعية يبشر بسير حسن وعاقبة حميدة، ونية للحكومة سليمة وسننشره في الجزء الآتي إن شاء الله تعالى). (١)

محاربة الشيخ السعي لنبذ الشريعة الإسلامية .

للشيخ جهود في عصره لسعي دون الإلغاء المحاكم الشرعية فيقول: (الإفرنج الطامعون في استعباد المسلمين وأعوانهم من المتفرنجين قد يشتركان في عملٍ واحدٍ، ونيتهما فيه مختلفة اختلاف التضاد، فكلاهما يحاربان الشريعة الإسلامية، ويحاولان القضاء عليها، ومنع الحكم بها، والتقاضي إلى رجالها، فنية الفريق الأول وغرضه من ذلك حل رابطة من أقوى روابط هذه الأمة، وإزالة فصل من أقوى الفصول المنطقية المقوّمة لهذه الملة، والفاصلة بينها وبين الملل الأخرى، لأجل إضعافها، وتمهيد السبيل لإدغامها في

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦/ ٧٨.

غيرها، أو جعْلها غذاءً له، ونية الفريق الآخر إما إرضاء الفريق الأول لتحصيل قوتهم وغير ذلك بأن يكون اقتنع أن البلاد صارت له، ولا يرتقي أحد في حكومتها إلا إذا واتاه ووافقه في سياستها وإدارتها، وإما مساعدته على عمل يظن أنه يخدم وطنه به لاقتناعه بشبهاته التي يتوسل بها إليه، كتوحيد القضاء أو الفصل بين الحكومة والدين، والاقتصاد في نفقات المحاكم، أو جمود هذه الشريعة، وخلوّها من المرونة التي تليق بالقرن العشرين، وإما إرضاء الأقليات غير المسلمة، ولا سيما النصارى، وإما كسر قيد الدين، والخروج من حكم سلطانه تقليد الملاحدة الإفرنج، أو لأنه يَحُول دون التمتع باللذات، أو لاعتقادهم أن الأمة والحكومة لا يمكن أن ترتقي مع التزام أحكام الشرع، وأن القوانين الإفرنجية خير لهما منه.... على أثر هجرتي إلى هذه البلاد من زهاء ربعِ قرنٍ أخبرني الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى يومًا، وهو يتنفَّس الصعداء أن المستشار القضائي.... اقترح على الحكومة إلغاء المحاكم الشرعية، وجعْل التقاضي في الأحوال الشخصية من اختصاص المحاكم الأهلية، بناء ذلك على أن المحاكم الشرعية مختلة النظام، قد كثرت شكوى الناس منها، ومطالبة الحكومة بإصلاحها، وأن قضاة المحاكم الأهلية المتخرجون في مدرسة الحقوق الخديوية قد تعلموا فيها أحكام الأحوال الشخصية، فيمكن أن يجعل في هذه المحاكم جلسات للقضايا الشخصية خاصة، كما أن للقضايا المدنية جلسات خاصة، وللقضايا الجنائية كذلك، وبذلك يتوحَّد القضاء، وينتظم، ويتوفَّر للحكومة المال الكثير الذي تنفقه على المحاكم الشرعية المختلة المعتلة، سألت الأستاذ: هل المحاكم الشرعية مختلة النظام معتلة الأحكام كما يزعم المستشار الإنكليزي، أم دعواه هذه كما نعهد من دعاوي السياسة، التي تجعل الحق باطلاً، والباطل حقًا؟ ! قال: إن هذه الدعوى كلمة حق أُريد بها باطل، فالمحاكم مختلة، وفيها عيوب كثيرة، كما أن في غيرها من مصالح الحكومة خللاً وعيوبًا، والباعث الحقيقي على هذا الاقتراح إزالة أهم ما بقي للمسلمين في هذه

الحكومة من الحقوق أو المشخّصات المِلِّيَّة، ومن عجيب أمر هؤلاء الشيوخ، شيوخ الأزهر أن هذا الاقتراح لم يستثِرْ غيرهم، ولم يبعثهم على ما يجب من الإجماع على إنكاره، والاحتجاج عليه، وهو يمس رزقهم وجاههم ! .... فقُوبل هذا المشروع بالسخط العام من المسلمين، واندفع الكُتَّاب ينشرون المقالات الضافية .... وكان رأي الأستاذ الإمام في هذا المشروع أن الغرض الخفي منه للإنكليز وأعوانهم أن يتعوَّد المسلمون حكم لابِسي الزي الإفرنجي في القضايا الشرعية، فيكون ممهِّدًا للعودة إلى المشروع الأول.

هذه النازلة حملتنا يومئذ على كتابة مقال في جزء المنار الذي صدر في أواخر ذي الحجة سنة ١٣١٦ عنوانه التعليم القضائي، اقترحنا فيه على شيخ الجامع الأزهر، ومجلس إدارته إنشاء قسم في الأزهر، يعلِّم الشريعة تعليمًا قضائيًّا عمليًّا، يعدون فيه خرِّيجيه لمنصب القضاء الشرعي، ومما اقترحناه فيه أن تؤلف من طلابه هيئة للمحاكمات كهيئة المحكمة، وبينَّا فيه عيوب كتب الفقه التي تدرس في الأزهر، وبحثنا في تطبيق الأحكام على حاجات الناس في كل عصر، وبينا فيه تقصير العلماء في هذا وذاك، واضطرار الأمراء والحكام إلى مجاراة العصر في تطوُّراته العامة، مع ما يجب على العلماء في ذلك .... ثم إن الحكومة المصرية قد جاءت في عهد الحماية البريطانية بمشروع جديد، وهو وضْع قانون للأحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج، وما يتعلق به كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة، وألفت لذلك لجنة يرأسها وزير الحقانية، ومن أعضائها مفتي الديار المصرية، وبعض المدرسين في مدرستي القضاء الشرعي والحقوق.... وجملة القول: إنني رأيت هذا الوضع أدنى إلى إزالة ما بقي للمسلمين من المقوّمات والمشخّصات في هذه الحكومة الإسلامية بكل معنى تسمى به حكومة إسلامية أو مسيحية وزيادة، ولكنني لم أسمع ولم أقرأ لأحدٍ من علماء الأزهر كلمة قِيلت، ولا كُتبت في إنكاره، فهل كان سبب ذلك

أنهم لا يرون مانعًا من جعْل أحكام الشرع في مثل النكاح والطلاق قانونًا، وهي من قبيل العبادات، في أنها يدان بها الله تعالى بما أحل وحرم في أغلظ ما نزلت فيه من النصوص من الحقوق البشرية، من استحلال الأبضاع، وثبوت الأنساب، وتكوين بناء البيوت العائلات، إن كان هذا سبب إقرارهم لهذا القانون فقد قربت المسافة بينهم وبين غلاة المتفرنجين في إزالة كل صبغة أو مسحة إسلامية من الحكومة، لأن أكثر الأحكام المدنية، وأحكام العقوبات والسياسة في الفقه من اجتهاد العلماء التي لم يرد فيها نص في القرآن، ولا سُنة من قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم أو فتاواه، والمدار فيها على حفظ المصالح، ودرء المفاسد، وإقامة العدل، لا على التعبد). [١]

ومن جهوده في عمل اللجنة القانونية التي اشترك فيها يقول: (قد كنت راجعت في المسألة ... أكبر الفقهاء مقامًا في اللجنة ورغبت إليه أن يعترض على تسمية ما يجمعونه من هذه الأحكام قانونًا، ويقترح تسميتها المجلة الشرعية في الأحكام الشخصية، فقال: وأي مانع يمنع من تسميتها قانونًا؟ !، والقانون هو القاعدة الكلية المنطبقة على جزئياتها، وهو يصدق على هذه الأحكام، قلت: هذا عُرف ذكروه في تفسير قول مَن عرَّف المنطق بأنه آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر، وهو في عرف أهل الموسيقى اسم لآلة من آلات الطرب، ولكنه إذا أُطلق في عُرف الحقوق والحكومات ينصرف إلى ما يضعه البشر من الأحكام التي تجري عليها الحكومة، ويكون مقابلاً للشريعة التي هي وضع إلهي لا بشري، حتى إن ما يستنبطه البشر بآرائهم الاجتهادية من هذه الأحكام ينسبونه إلى الوضع الإلهي، لأن الأصل في الصحيح منه أن يكون راجعًا إلى نص من الكتاب أو السنة وإن كان الكثير منها ليس كذلك، بل بعضها مخالف للنصوص،

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٣/٥٣٩.

وذكرت له بعض ما ظهر لي من لوازم هذه التسمية، وظننت أنه سيفعل شيئًا، و لم يفعل!
[(١)]).

ومن ردوده على الداعين لنبذ الشريعة الإسلامية يقول: (دعوة المتفرنجين إلى هدم أصول الشريعة كلها تهوَّك أحد وكلاء النيابة من رجال القضاء الأهلي فكتب رسالةً في هذا المشروع، دعا فيها إلى جعْل هذا القانون مطابقًا لآراء مَن يسمون أنفسهم الفئة الراقية أو المتنوِّرة في البلاد وهم هؤلاء المتفرنجون، إذ لا يكون الإصلاح عندهم إلا بذلك ولكنه خرج فيه عن موضوع الإصلاح الخاص بالأحكام الزوجية إلى القول بهدْم أصول الشريعة الأربعة المشهورة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فأباح باسم الإسلام عدم التقيُّد بنصوص القرآن في الأحكام.... وأما السنة فكل ما ثبت فيها من أحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وقضاياه ومن حلال وحرام فلا يجب اتباع شيء منه على مَن بعده!، خلافًا لقوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ المائدة: ٩٠، وإنما يجب على المسلمين عنده أن يتبعوا في كل زمان ومكان مَن يتولى أمر حكومتهم فيما يسنّه لهم، ويحله ويحرمه عليهم، وإن خالف صريح سُنة نبيهم، ورسول ربهم إليهم مخالفة صريحة! وكذا إن خالف نصوص القرآن فيما تدل عليه عباراتها، إذ لا يجب عليهم عنده إلا مراعاة ما يفهمون من حكمتها ومغزاها، فإذا أمكن مراعاة هذه الحكمة وموافقة هذا المغزى من طريق آخر غير اتباع منطوق الآيات فلا بأس، أو كما قال: فلا حرج في أن نصل إلى الغرض المقصود من أفيد الطرق وأخصرها، ومثَّل له .... ومَن يجعل قضاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم وأحكامه في زمانه كأقضية الإفرنج والمتفرنجين بقوانينهم، والأحكام التي يضعها لهذه البلاد المستشارون القضائيون من الإنكليز في

---

(١) المرجع السابق، ٢٣/٥٣٩.

زماننا، بل يجعل هذه ناسخة لها، وواجبة الاتباع من دونها، هل يحترم إجماع سلف الأمة الصالح ومجتهديها؟ كيف، وهؤلاء المستشارون ومقلّدهم المتفرنجون من أبناء القرن العشرين؟ !، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ النساء: ٦٥). [١]

فتوى للشيخ بخصوص الحكم بالقوانين الإنكليزية في الهند.

السؤال: أيجوز للمسلم المستخدّم عند الإنكليز الحكم بالقوانين الإنكليزية وفيها الحكم بغير ما أنزل الله؟

الإجابة : يقول الشيخ: (إن هذا السؤال يتضمن مسائل من أكبر مشكلات هذا العصر، كحكم المؤلفين للقوانين وواضعيها لحكوماتهم، وحكم الحاكمين بها والفرق بين دار الحرب ودار الإسلام فيها وإننا نرى كثيرين من المسلمين المتدينين يعتقدون أن قضاة المحاكم الأهلية الذين يحكمون بالقانون كفار أخذاً بظاهر قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤، ويستلزم الحكمُ بتكفير القاضي الحاكمِ بالقانون تكفيرَ الأمراء والسلاطين الواضعين للقوانين، فإنهم وإن لم يكونوا ألفوها بمعارفهم فإنها وضعت بإذنهم، وهم الذين يولون الحكام ليحكموا بها، ويقول الحاكم من هؤلاء: أحكم باسم الأمير فلان لأنني نائب عنه بإذنه، ويطلقون على الأمير لفظ الشارع أما ظاهر الآية فلم يقل به أحد من أئمة الفقه المشهورين، بل لم يقل به أحد قط، فإن ظاهرها يتناول من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً، سواء حكم بغير ما أنزل الله تعالى أم لا، وهذا لا يكفره أحد من المسلمين حتى الخوارج الذين يكفرون الفساق بالمعاصي ومنها

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٢٣/ ٥٣٩.

الحكم بغير ما أنزل الله واختلف أهل السنة في الآية.... ولعمري إن الشبهة في الأمراء الواضعين للقوانين أشد، والجواب عنهم أعسر، وهذا التأويل في حقهم لا يظهر، وإن العقل ليعسر عليه أن يتصور أن مؤمنًا مذعنًا لدين الله يعتقد أن كتابه يفرض عليه حكمًا، ثم هو يغيره باختياره، ويستبدل به حكمًا آخر بإرادته إعراضًا عنه، وتفضيلاً لغيره عليه، ويعتد مع ذلك بإيمانه وإسلامه .... وهاهنا يجيء سؤال السائل.... فمن كان أهلاً للقضاء في الإسلام وتولى القضاء في الهند بصحة قصد وحسن نية يتيسر له أن يخدم المسلمين خدمة جليلة، وظاهر أن ترك أمثاله من أهل العلم والغيرة للقضاء وغيره من أعمال الحكومة تأثمًا من العمل بقوانينها يضيع على المسلمين معظم مصالحهم في دينهم ودنياهم، وما نكب المسلمون في الهند ونحوها وتأخروا عن الوثنيين إلا بسبب الحرمان من أعمال الحكومة، ولنا العبرة في ذلك بما يجري عليه الأوربيون في بلاد المسلمين، إذ يتوسلون بكل وسيلة إلى تقلد الأحكام، ومتى تقلدوها حافظوا على مصالح أبناء ملتهم وجنسهم حتى كان من أمرهم في بعض البلاد أن صاروا أصحاب السيادة الحقيقية فيها، وصار حكامها الأولون آلات في أيديهم، والظاهر مع هذا كله أن قبول المسلم للعمل في الحكومة الإنكليزية في الهند ومثلها ما هو في معناها وحكمه بقانونها، هو رخصة تدخل في قاعدة ارتكاب أخف الضررين، إن لم يكن عزيمة يقصد بها تأييد الإسلام وحفظ مصلحة المسلمين). [١]

هذه بعض جهود الشيخ في الدعوة لتطبيق الشريعة الإسلامية ونذكر هنا قوله: (إن تحكيم الشريعة، والحكم بها بين الناس، لابد أن يشمل جميع مجالات الحياة، فيكون المجتمع

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٦/ ٣٣٥.

المسلم إسلامياً في جميع شؤونه: في الحدود والسياسة والاقتصاد والاجتماع والإعلام والمعاملات وغيرها من مجالات الحياة. [١]

(١) المرجع السابق، ٧/٥٦١.

المبحث الثالث

الدعوة إلى التمسك بالأخلاق الحميدة

التعريف

الأخلاق لغة واصطلاحاً.

الأخلاق لغة:

الأخلاق في اللغة جمع خُلق، والخلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها، وهو مأخوذ من مادة (خلق) التي تدل على تقدير الشيء، ومن هذا المعنى أي تقدير الشيء الخلق، وهو السّجية لأن صاحبه قد قدّر عليه يقال: فلان خليق بكذا أي قادر عليه وجدير به. (١)

الأخلاق اصطلاحاً:

هي: غرائز كامنة، تظهر بالاختيار، وتقهر بالاضطرار. (٢)

وقيل هي: تصور وتقييم ما ينبغي أن يكون عليه السلوك، متمشية في ذلك مع مثل أعلى أو مبدأ أساسي تخضع له التصرفات الإنسانية ويكون مؤازراً للجانب الخيّرِ في الطبيعة البشرية. (٣)

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢/ ٢١٤. ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، الفه عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، ٥٩/١، ط٤، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة.

(٢) انظر: تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، الماوردي، ص٥، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت.

(٣) انظر: نضرة النعيم، مجموعة مؤلفين، ٦٣/١.

إن مكانة الأخلاق في الإسلام عالية، والواجب على الداعية إلى الله أن يتخلق بالأخلاق الإسلامية السامية التي تجعله قدوة يحتذى به وداعية يطبق الكلام الذي يقوله مبتدأً بنفسه ولما لها من أثر في نفوس المدعوين .

يقول الشيخ : (من استقرأ الأحكام الشرعية في الكتاب والسنة بأنواعها من شخصية ومدنية وسياسية وحربية يرى أن الغرض منها كلها قاعدة مراعاة الفضائل فيها من الحق والعدل والصدق والأمان والوفاء بالعهود، والعقود والرحمة والمحبة والمواساة والبر والإحسان، واجتناب الرذائل من الظلم والغدر ونقض العهود والكذب والخيانة والقسوة والغش والخداع، وأكل أموال الناس بالباطل كالربا والرشوة والسحت، وشره وأضره التجارة بالدين والرياء فيه وهو أساس النفاق الديني الذي هو شر الكفر وأحقره). [١]

ومما يجعل الشيخ مهتماً بالأخلاق الإسلامية الفاضلة نشأته على محاسن الأخلاق فكان حيياً متعبداً متنسكاً، مواظباً على قراءة القرآن والأذكار، و لم تتعلم نفسه عادة من العادات السيئة المضرة وكان الشيخ وقت شبابه شجاعاً جريئاً في مواطن الحق، يقول عن نفسه: (نشأت في حجر العبادة فألفها وجداني ونشطت فيها أعضائي من الصغر، فخفت علي في الكبر، كنت من سن المراهقة أذهب إلى المسجد في السحر ولا أعود إلى البيت إلا بعد ارتفاع الشمس). [٢]

ويقول الشيخ داعياً إلى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في رده على بعض شبه النصارى مبيناً سمو أخلاق الحبيب صلى الله عليه وسلم وأثرها في المدعوين مستدلا على ذلك لصدق نبوته صلى الله عليه وسلم بأقرب الناس له فقال: (درس علماء الإفرنج

---

(١) الوحي المحمدي، رشيد رضا، ص٢٠٧.

(٢) المنار والأزهر، رشيد رضا، ص١٤٦.

تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده على طريقتهم في النقد والتحليل، ودرسوا السيرة النبوية المحمدية وفلوها فليا ونقشوها بالمناقيش، وقرءوا القرآن بلغته وقرءوا ما ترجمه به أقوامهم.... فخرجوا من هذه الدروس كلها بالنتيجة الآتية:

أن محمدا كان سليم الفطرة، كامل العقل، كريم الأخلاق، صادق الحديث، عفيف النفس، قنوعا بالقليل من الرزق، غير طموع بالمال ولا جنوح إلى الملك، ولا يعنى بما كان يعنى به قومه من الفخر، والمباراة في تحبير الخطب وقرض الشعر، وكان يمقت ما كانوا عليه من الشرك وخرافات الوثنية، ويحتقر ما يتنافسون فيه من الشهوات البهيمية، كالخمر والميسر وأكل أموال الناس بالباطل، وبهذا كله وبما ثبت من سيرته ويقينه بعد النبوة جزموا بأنه كان صادقا فيما ادعاه بعد استكمال الأربعين من سنه من رؤية ملك الوحي، وإقرائه إياه هذا القرآن، وإنبائه بأنه رسول من الله لهداية قومه فسائر الناس، وزادهم ثقة بصدقه أن كان أول الناس إيمانا به واهتداء بنبوته أعلمهم بدخيلة أمره، وأولهم زوجه خديجة المشهورة بالعقل والنبل والفضيلة، ومولاه زيد بن حارثة الذي اختار أن يكون عبدا له على أن يلحق بوالده وأهل بيته ويكون معهم حرا، ثم إن كان الذين آمنوا به من أعظم العرب حرية واستقلالا في الرأي ولا سيما أبي بكر وعمر). [1]

ويقول الشيخ في مقالة بعنوان سجايا العلماء: (لا يعول في الاستدلال على حال الإنسان إلا على أعماله، لأن الأعمال تنشأ عن الأخلاق والملكات الاعتقادية والأدبية، ولا أخالك تذهل عن كون الكلام من جملة الأعمال اللسانية، ودلالته مقبولة فيما نحن بصدده، من حيث كونه مظهرًا لمعلومات المتكلم، ومَجلى لأخلاقه وآدابه، لا من حيث

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١٣٤/١١.

مدلول الألفاظ في المدح والذم، فإن هذا هو الذي لا يعول عليه، إلا بعد تطبيقه على ما في الخارج وشهادة الأعمال والآثار له، من علامات علماء السوء الذين يفسدون آداب العامة وأخلاقهم ويزعزعون اعتقاداتهم وأديانهم، الانتصار لأنفسهم الخبيثة وحظوظهم وأهوائهم الباطلة، بعنوان الانتصار للدين والغيرة على الحق.... ومن علامات علماء الآخرة وأنصار الحق الذين يهتدى بهديهم، وتصلح أحوال الأمم بالاقتداء بعملهم، أنهم إذا رأوا معروفًا وخيرًا من أحد إخوانهم يذيعونه، وينوهون به ويثنون على صاحبه بما هو أهله، وإذا رأوا سوءًا وأمرًا منكرًا يسترونه وينصحون فاعله، من غير أن يشعروا أحدًا آخر به، فإن أصر على منكره عامدًا متعمدًا، وكان المنكر مما يتعدى ضرره، حذروا منه من يُخشى عليه منه، سواء كان في غيبة صاحب المنكر أم في مشهده، ومن علاماتهم أنهم يقبلون النصيحة من أي ناصح، ويقابلون عليها بالثناء والشكر، ويرجعون عن الخطأ متى علموا به، ضالتهم الحكمة ينشدونها حيث وجدوا، ويأخذونها حيث وجدت). (١)

بعض الأخلاق التى أشاد بها الشيخ وحرص عليها

من الاخلاق التي أشاد بها وحث عليها من منظور اسلامي الأمانة: فقال الشيخ: (والأمانة حق عند المكلف يتعلق به حق غيره ويودعه لأجل أن يوصله إلى ذلك الغير، كالمال والعلم، سواء كان المودع عنده ذلك الحق قد تعاقد مع المودع على ذلك بعقد قولي خاص صرح فيه .... أم لم يكن كذلك، فإن ما جرى عليه التعامل بين الناس في الأمور العامة هو بمثابة ما يتعاقد عليه الأفراد في الأمور الخاصة). (٢) وفي خلق الصدق يقول: (إن تعاليم القرآن الكريم، قد نفذت ومُورِسَتْ في حياة محمد صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١٣٤/١١.

(٢) المرجع السابق، ١٣٨/٥.

الذي أظهر من أشرف الصفات الخلقية ما لا يتسنى لمخلوق آخر إظهارها فكل صفات الصبر والثبات والحلم والصدق كانت ترى في خلال الثلاثة عشرة سنة أثناء جهاده في مكة هذا، ولم تتزعزع ثقته بالله تعالى وأتم كل واجباته بشمم وشهامة). [١]

وأما عن الصبر فخطب الشيخ تطرق فيها لمواضيع كثيرة ومنها هذه الخطبة حول موضوع الصبر والحث عليه فقال (: إنني أسهبت في الكلام على الصبر وكونه متحتمًا على الذين يقومون بخدمة الأمة ويعملون لها، فيعارضهم أعداء الإصلاح الذين يحاربون الحق الصريح بالوهم القبيح، وذكرت بمناسبة قوله جل وعز: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾ النحل: ١٢٧، بعض ما كان يقاسيه عليه أفضل الصلاة والسلام من الكافرين والمنافقين الذين يمكرون السيئات: ﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ التوبة: ١٠٧، وإنما أسهبنا في هذا لأجل تثبيت أنفسنا وإخواننا بالتأسي برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم). [٢]

أخلاق حذّر منها

حذر الشيخ من الأخلاق السيئة ويزيد سوئها ارتباطها بعين صاحب الخلق خصوصاً اذا كان من الدعاة او المعروفين بالعلم الشرعي يقول الشيخ محذراً من خلق النميمة : (وقد يخفى على كثير من القراء وجه الارتباط بين التهذيب وبين حياة هذه الموجودات وسعادتها، وإن كنا أثبتناها في تلك المقالة بالبرهان، ونحن نشرح لهم الآن حال خِلّة واحدة من الخلال المذمومة، وتأثيرها في إفساد المجتمع الإنساني، وصدها عن المدنية

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ١٣٤/١١.

(٢) مجلة المنار، رشيد رضا، ٧٤٦/٢.

الصحيحة التي هي سعادة الأمم، وهي النميمة والسعاية فنقول: النميمة كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول له أو غيرهما، وإذا كان الكشف إلى مَن يخشى جانبه سمي: سعاية، اتفقت التعاليم الدينية والعقول البشرية على أن هذه الخلة الذميمة إحدى الكبر، لا تذر شملاً إلا فرقته، ولا جمعاً إلا شتته، وأنها مولدة الفتن، ومقطعة الروابط الاجتماعية، تدع الإنسان يفر من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، وتقلب الحقائق، فتجعل المحسن مسيئاً، والصديق عدوًّا، وتسم الأمين بسمة الخائن، وتبرز النافع في صورة الضار، وتلبس الإصلاح ثوب الإفساد، وتقيم من الفضائل تمثالاً للرذائل فهي من أدواء الأمراض الروحية التي تعرض في الأمم فتفسد نظامها، وتمزق نسيج التئامها، وتقوض هيكل عمرانها). [١]

ومن جملة ما قاله في التحذير من الأخلاق الدنيئة وأن الإسلام ينبذها ويعنف على أصحابها بأنها من صفات أهل الجاهلية : (أن جميع ما بلغته تلك الشعوب من العلم والفلسفة والعقل والحكمة وفنون الحضارة، وغرائب الصناعة لا يغنيها عن هداية الإسلام فيما هو أعلى منه من تزكية النفس البشرية، وتطهيرها من أرجاس الرذائل الشيطانية، كعبادة الهوى والمال والشهوات والطمع والحسد والمكر والكذب والخداع، والظلم والبغي والعدوان وتحليتها بأضدادها من الفضائل السامية بالإيمان بالقرآن، واتباع ملة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام). [٢]

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ١/٢٣٦.

(٢) المرجع السابق، ٣٤/٢٠٤.

المبحث الرابع

الدعوة إلى إصلاح المرأة

إن صلاح المرأة المسلمة هو صلاح للمجتمع يقول الشيخ : (عاقبة هؤلاء البنات أن يكن أمهات مربيات لنشء الأمة، ولا يصلح للتربية إلا الأم المتدينة الصالحة لأن تكون قدوة، ولذلك أجمعت الأمم كلها على تربية البنات تربية دينية علمية عملية، وأما الثمرة العامة لتربية البنات وتعليمهن، فإنك ترى النساء بعينك في الأسواق والشوارع والمحافل والمجامع، والملاعب والمراقص، والمسارح، وفي الحمامات البحرية والجمعيات النسائية، فقد بلغن من الخلاعة والرقاعة، بل الإباحة دركًا، صار يستقذره الكُتاب الإباحيون الذين دعوا إليه من قبل ألفت كتابًا في حقوق النساء في الإسلام أبنت فيه أن الإسلام كرمهن وأعطاهن من الحقوق الدينية والمدنية والسياسية ما لم يسبق إلى مثله، أو ما يقرب منه دين من الأديان، ولم يبلغ شأوه فيه قانون ولا نظام، وسميته نداء للجنس اللطيف.... فقرظته الصحف، وصرحت بأنه لم يكتب مثله في موضوعه، فلم يبلغني أن جمعية نسائية، ولا امرأة مسلمة طلبت الاطلاع على هذا الكتاب، بل أهديته إلى كاتبة أديبة مسلمة ينشر لها المقطم رسالات كثيرة في الآداب والعادات وغيرها، فقرَّظته تقريظًا حسنًا، ورغبت المعلمات في قراءته بقولها: إن مؤلفه يبذله لكل من تطلبه منهن بدون ثمن، فلم يطلبه منهن أحد).[1]

ويقول الشيخ : (لقد كان من فوضى الأقلام، وحرية الإباحة والإلحاد، أن تصدى للتحرير في الصحف، وتصنيف الكتب والقصص، أفراد من المتفرنجين الإباحيين، انتحلوا

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٥٤٤/٣٤.

لأنفسهم دعوى التجديد وزعامة الحضارة فوجهوا دعوتهم إلى النساء والشباب، لأنهما أسرع انخداعًا وأسلس قيادًا، وما زالوا يشوهون لهم كل قديم كانوا عليه، ويزينون لهم كل جديد ضار يغرونهم به، ولا سيما حجاب النساء وعفافهن، ولزوم بيوتهن، وطاعة رجالهن، وخدمة أولادهن، ولكل جديد لذة حتى هتكن الحجاب، وألقين جلابيب الحياء، ونشز الأزواج على بعولتهن، وتمرد العذارى على آبائهن، وخرجن في الشوارع والأسواق كاسيات عاريات، مائلات مميلات كما ورد في الحديث الصحيح وصفًا لنساء سوف يأتين ممن سيدخلن النار، ثم صارت الجمعيات النسوية يجمعن بين النساء والرجال في محافلهن الخاصة بهذه الصفة للرقص المشترك وتعاطي كؤوس الخمر ثم صار هؤلاء وهؤلاء يخرجن من البيوت إلى سواحل البحار بأُزُر الحمام بتبخترن بالشوارع مَرِحات فرحات، مزوزكات مترنحات، حتى إذا التقين بالرجال على الشاطئ خاصرنهم إلى حيث يسبحن معهم فنونًا من سباحة الإباحة، لم يبق معها للدين ولا للشرق ولا للعفاف ولا الصيانة قيمة، ثم كان من عاقبة هذا الاختلاط والامتزاج، أن قل الزواج، وتفاقم فشو الخنا، واستشرى خداع الشبان للعذارى عن عفافهن بعد عِشْرة طويلة أو قصيرة بحيلة اختبار الخطبة، وكثر تقتيل النساء، وتقاتل الرجال لأجل النساء، وتضاعف عدد اللقطاء، اكتظت المحاكم الشرعية بقضايا الطلاق، وطلب فسخ عقد الزواج وطفقت الصحف تنشر من فضائحها ما يُعَلِّمُ الجاهلين والجاهلات طرقها، ويُجَرِّئ الفريقين منهم على طروقها، وانتهى الفساد في البيوت وخارج البيوت إلى دركة كثرت منها شكوى الكتاب حتى المفسدين منهم). (١)

---

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٤٦٢/٣٣.

بيان الشيخ لمكانة المرأة في الأسرة.

أولا: الأسرة.

لعل أهم موضوع لفت انتباه الشيخ أكثر من غيره أثناء معالجته قضايا الأمة الإسلامية النوعية في العصر الحديث هو موضوع الأسرة بوصفها الخلية الجوهرية في تشكيلها عنده وقد سيطرت الأسرة الأبوية في هذا المجتمع منذ القديم وهي الخلية الاجتماعية التي كانت نواة العشائر والقبائل في كثير من الأمم وهي تقوم على رابطه الزواج وهي ترسخ نظام الأسرة المسلمة وحفظها عبر الأجيال حتى تكون مُستَقراً لرعاية الأبناء وتربتهم فالزواج نظام اجتماعي أساسي وعليه تبني الأسرة والأمه وللمرأة أهمية خاصة في المحافظة على استقرار الاسرة بتربتيها وإعدادها للقيام بوظيفة الإنجاب وتربية الأطفال بأحسن الطرق داخل الأسرة حسب ما جاء في الهدي النبوي، والرجل عند الشيخ هو الوحيد الذي يبقي رئيس الأسرة ورب أفرادها والقائم عليها ولا يمكن للمرأة في نظره أن تنازعه هذه السلطة أو ترتفع لتقاسمه إياها وذلك عملاً بتعاليم القرآن الكريم فما أرشد إليه الكتاب العزيز من قيام الرجال وسيادتهم هو الحق الواقع والفطرة والصحيحة. [(١)] يقول الشيخ مبيناً مكان الرجل في الأسرة: (ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المفسرة بقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾النساء: ٣٤، فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ولا بد لكل اجتماع من رئيس، لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يرجع إلى رأيه في الخلاف،

---

(١) انظر: مجلة المنار، ١/ ٢٣، ٤٣٦ - ٤٣٧.

لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتنفصم عروة الوحدة الجامعة، ويختل النظام، والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله، ومن ثم كان هو المطالب شرعا بحماية المرأة والنفقة عليها، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف)[١]

ويقول الشيخ مبيناً مهمة المرأة في الأسرة: (على المرأة تدبير المنزل والقيام بالأعمال فيه، وعلى الرجل السعي والكسب خارجه. وهذا هو المماثلة بين الزوجين في الجملة، وهو لا ينافي استعانة كل منهما بالخدم والأجراء عند الحاجة إلى ذلك مع القدرة عليه، ولا مساعدة كل منهما للآخر في عمله أحيانا إذا كانت هناك ضرورة، وإنما ذلك هو الأصل والتقسيم الفطري الذي تقوم به مصلحة الناس وهم لا يستغنون في ذلك ولا في غيره عن التعاون ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾البقرة: ٢٨٦، ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾المائدة: ٢). [٢]

نظام الزواج :

دأب الشيخ على تأكيد أهمية رباط الزواج التقليدي على أساس تكوين الأسرة كما كان بالمرصاد لكل الشبان مزدوجي الثقافة من الذين جنحوا إلى التحرر في علاقاتهم بالمرأة أو التزوج بالأوروبيات من النساء نفوراً من الزواج الإسلامي التقليدي وتحمل مختلف تبعاته فهو قد نعتهم بالحثالة فقال: (أما تلك الحُثالة من سائر المتعلمين وهم الأكثرون على أنهم قليل في مجموع الأمة فإنها لم تستفد من التعليم إلا رطانة لغة أوربية بها يتمكنون من معاشرة بغايا الإفرنج مسافحات أو متخذات أخدان، وإن عقائل نساء الإفرنج ليترفعن ويستنكفن أن يعاشرن هؤلاء الغلمان السفهاء الأحلام بَلْهَ الاقتران بهم

(١) تفسير المنار، رشيد رضا، ٣٠١/٢.

(٢) المرجع السابق، ٣٠١/٢.

وقبولهم بعولة لهن فهذا التبجح الذي يتبجحه شباننا في الجرائد بعلمهم إنما هو التبجح بتفضيل البغايا الأجنبيات على المحصنات الوطنيات، لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق الفحش في مصر). (١)

ومن مظاهر اهتمامه بالعلاقة الزوجية في نطاق الأسرة المسلمة تكثيفه الكتابة في تحليل طبيعة هذه العلاقة مستشهداً بما اشار إليه القرآن الكريم بانها علاقة سكون ومودة ورحمة بين الرجل والمرأة بحكم وجود صفات فطرية في كل منهما جعلت الواحد منها ينجذب إلى الأخر ويتعاطف معه، ومن هنا هاجم الشيخ تربية المرأة الاستقلالية التي تشعرها بمساواتها بالرجل لو أنها واعية بحريتها واستقلالها الفردي عنه كما هو الأمر عند الغربيين فذلك مما يقرب المرأة من صفات الرجولة فتفسد بذلك فطرتها ويقل ميل الرجل وسكونه إليها لأن الرجل لا يسكن إلا للأنثى من حيث أنها تمتاز بصفات مخصوصة تمثل الأنوثة بما يفصلها عن الرجولة و التربية على الطريقة الأوروبية مضره بالمرأة المسلمة، فالزواج لديه إذن علاقة شرعية متينة بين رجل وأمراه تكون وسطاً طبيعياً لتربية الأبناء تربية صحيحة ولا يمكن أن تكون العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة إلا في نطاق الزواج الشرعي الذي ارتضاه الدين الإسلامي ودعا إليه ولذلك قام الشيخ بكتابه فصول متعاقبة في هذا الموضوع بعنوان الحياة الزوجية. (٢) بين فيها الزواج الشرعي وأسسه التي يتركز عليها مثل وجوب استحسان الصورة بالنسبة إلى الطرفين وتوفر العلم المفيد فيهما وحسن الأخلاق وإسلامية التربية الدينية منددًا بقيم أخرى شاعت في الزواج التقليدي عند

(١) مجلة المنار، رشيد رضا، ٣٣٨/٥، من مقالة للشيخ بعنوان: الزواج وشبان مصر وشوابها.

(٢) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٨١/٨، ١٤١، ١٤٨-١٤٩، ١٦١، ٢٠٨، ٥٣٧، ٦٥٦، جعلها من١-٦.

المسلمين مثل المال والطمع في الجاه، وجملة قوله إن الحياة الزوجية عند المسلمين لا يمكن أن تكون سعيدة إلا إذا كان الزوجان معتصمين بحبل الدين متمسكين بعروته في الأخلاق والآداب ليكونا قدوة لأولادهما وإن الخطر الذي يهدد المسلمين وينذر بزوال سلطتهم ولا يزول إلا بصلاح حال البيوت، وعلى هذا الأساس فإن كل صلة خارج صلة الزواج الشرعي بين الرجل والمرأة تدخل تحت الزنا المحرم قطعياً في الإسلام والشيخ لا يتردد في بحث موضوع البغاء ومضاره على الأسرة ومن ذلك الخطبة التي ألقاها عندما زار أهل طرابلس الشام مسقط رأسه، بعد أن علم بتفشي هذا المرض الاجتماعي فيهم فدعاهم دعوة ملحة إلى القضاء عليه قبل استفحال خطره. [١]

رسالته نداء للجنس اللطيف.

وهي عبارة عن كتاب ألفه على شكل رسالة إلى النساء المسلمات بين فيها الشيخ المعلومات التاريخية والتشريعية حول وضع المرأة العربية في الجاهلية وبعد ظهور الدين الإسلامي في الجزيرة وقد ركز فيها على التالي:

القسم الأول: مسألة اعتبار الإسلام أنّها إنساناً مكلفاً كالرجل تماماً من حيث الواجبات التعبدية وأن للنساء نفس الحقوق في مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء ثم تطرق إلى الحديث عن الحقوق في مجال التعليم والميراث ومهر الزواج وحرية اختيار الزوج واعتبر أن رئاسة الرجل للبيت شوريه وليست استبدادية.

القسم الثاني: تعرض فيه الشيخ إلى حكمة تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة إلى المدينة واستعرض الأسباب الخاصة التي أملت على النبي صلى الله عليه وسلم الزواج بكل زوجه منهن.

---

(١) انظر: مجلة المنار، رشيد رضا، ٦٨٤/١٣.

القسم الثالث: مسألة الحجاب أهميته وأحكامه وأسباب نزول آياته.

القسم الرابع: خصصه للحديث عن الطلاق وحكمه عند أهل الكتاب وإسراف الإفرنج فيه ثم تعرض إلى ذكر حقوق المرأة المسلمة ومراعاة الإسلام إياها عند حدوث الطلاق مثل حق المخالعة والعدة والنفقة المالية الواجبة على الرجل عند الحضانة ووصف في جانب أخير من هذا القسم أحكام الإسلام في آداب المرأة التي يجب أن تتحلى بها مثل وجوب المبالغة في الحياء والتستر والنهي عن الخلوة بالرجل والسفر معه بدون محرم.

القسم الخامس: ختمه بإيراد أحكام القرآن في معاملة الوالدين ووجوب البر بالأمهات خاصة مستشهداً بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في هذا الصدد وأنهى هذا الجزء بتوجيه نداء عام إلى النساء المسلمات في كل العالم الإسلامي داعياً إياهن إلى التمسك بمحاسن شريعة النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بهن حتى لا يصرن إلى نفس المصير الذي لا قته بنات جنسهن في أوربا. (١)

هذه بعض جهوده رحمه الله في إصلاح المرأة موجهة إلى الاب والأم والبنت والاسرة بشكل عام وإلى الامة كاملة منادياً فيها بالاهتمام بتربيتها التربية الإسلامية الصحيحة لأنهن موطن الولد ويقع عليهن تربية الجيل .

---

(١) انظر: نداء للجنس اللطيف حقوق النساء في الإسلام، رشيد رضا، ص ٢٠٧.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث أحمد الله تعالى على ما يسر وأعان وأرشد، واسأله سبحانه العلم النافع والعمل الصالح والهمة العالية، وأن يبارك في أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم ويعين على خدمة هذا الدين بما فيه سعادتنا اولاً ورفعة أمتنا وإيصال هذا الدين إلى كل من هو على هذه الارض كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما أن لدراسة شخصيات الدعاة وجهودهم في الدعوة إلى الله، في أقسام الدعوة، من الأهمية من فائدة للباحث أوّلاً، ثم لغيره من خلال أمور أهمها نشر سير سلف الأمة وما قدموه لها، وكذلك ما فيها من دراسة لتاريخ الدعوة الإسلامية، ولما فيها من إبراز أساليب دعوية قد لا تكون جديدة في شكلها ولكنها جديدة في المضمون، وهنا في خاتمة هذا البحث توصلت إلى نتائج من خلال دراستي لهذا الموضوع وهي على النحو التالي:

١- أن الطريق الصحيح للدعوة هو تعلّم الكتاب والسنة وإتباعهما لأنها سبيل الصراط المستقيم والمنهج الكامل الشامل لجميع مناحي الحياة كما في قولة تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾المائدة: ٣.

٢- أن نشأة الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله- على مذهب الأشاعرة لم تمنعه من البحث عن منهج السلف الصالح والميل إليه فهو أسلم وأحكم، وهو سر راحة النفس؛ لأنه مهتدي بالكتاب والسنة.

٣- تأثير البيئة على الشيخ كان واضحا منذ نشأته واهتمامه بالعبادة وطلبة للعلم ثم في انتقاله إلى مصر بعد ذلك.

٤- مبادرة الشيخ بإنشاء مجلة المنار بعد وصولة إلى مصر بحوالي ثلاثة أشهر يدلنا على حب الشيخ للدعوة إلى الله واستغلال ملكة الكتابة لدية وتطويرها فيما ينفع .

٥- أثر وسائل الإعلام في الدعوة إلى الله ويظهر ذلك جلياً من خلال مجلة المنار.

٦- أن مجلة المنار عرفت العالم الإسلامي بالشيخ وسهلت تواصله بهم.

٧-أن على الداعية ألاّ ييأس من عدم قبول دعوته والاستمرار فيها وتطوير نفسه.

٨- دعوة الشيخ رحمه الله اشتملت على الكثير من أصناف المدعوين ومن مختلف بقاع الأرض وتعامل معهم جميعاً وكان السبب الرئيسي لوصول دعوته إليهم مجلته والتي تعتبر في ذلك الوقت المجلة من أبرز وسائل الإعلام.

٩- إن الناظر لسيرة الشيخ يجد أن غالب وقته في الدعوة إلى الله تعالى.

١٠- أبرز الشيخ رحمه الله دور العمل الجماعي في الحياة العامة وفي الدعوة إلى الله بشكل خاص.

١١- نبّه الشيخ رحمه الله على أهمية دور المرأة في الحياة وأن صلاحها هي سبب في صلاح المجتمع.

١٢- بين الشيخ دور المال في الدعوة إلى الله ودور التجار المسلمين في نهضة الأمة وتقصير أغلبهم في هذا الجانب.

١٣- نبه الشيخ إلى أهمية دور العلم والتعليم في المجتمع بأن يكون تكاملياً فلا يفصل فيه بين العلوم الشرعية والعلوم النظرية لما له من أثر فيخلق فريقين على النقيض من بعضهما ولا يعلم عن الآخر شيئاً.

١٤- الحاجة لدراسة منهج الشيخ في الدعوة إلى الله وكذلك احتسابه بشكل عام واحتسابة على شيخه الشيخ محمد عبده ومافيها من أدب لا يمنع عن تبيين الحق.

وعلى الرغم من أنه أجريت دراسات عديدة عن الشيخ إلا أني أرى أنه يحتاج لمزيد دراسة في المجال الدعوي من خلال مجلة المنار بدراسة الآثار الدعوية لمجلة المنار في العالم الإسلامي، لأن مجلة المنار ثروة علمية ضخمة وبقيت لقرابة ثلاثين سنة، هذا والحمد لله سبحانه على فضله ومنه، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتتضمّن :

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام.

قائمة بالمصادر والمراجع.

فهرس المحتويات.

فهرس الآيات

الآية	الصفحة
التوبة	
﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ التوبة: ٥	١٠٣
﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ التوبة: ١٣	١٠٣
﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ التوبة: ٣٦	١٠٣
﴿ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ التوبة: ١٠٧	٤٠٦
﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ ﴾ التوبة: ١٠٧	٣٤٤
يونس	
﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ يونس: ٣٦	٧٧
﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يونس: ٦٦	٧٧
هود	
﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ هود: ١ – ٤	٦٥
﴿ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ هود: ٢	٦٥
﴿ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ هود: ٣٢	٢١٢
﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هود: ١١٦	١٤٤

الآية	الصفحة
غافر	
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴾ غافر: ٦٩	٢١٥
فصلت	
﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾ فصلت: ١ – ٥	٢١٤
﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ فصلت: ٤٢	٦٧
﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فصلت: ٤٦	٨١
الشورى	
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ الشورى: ١١	١٥٤
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ الشورى: ١٣	١٦٤
الجاثية	
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ﴾ الجاثية: ١٨	٣٨٦
الأحقاف	
﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ سورة الأحقاف: ٩	١٠٧
﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ﴾ الأحقاف: ٣٥	٢٢١
الحجرات	
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ الحجرات: ١٥	٥٩

الصفحة	الآية
	النجم
٥٧	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ النجم: ٣ – ٤
٣٧٦	﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ۝٣٣ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ۝٣٤ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝٣٥ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ النجم: ٣٣ – ٤٢
	المجادلة
٢١٧	﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ المجادلة: ١
٧٦	﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ المجادلة: ١١
	الحشر
٢٣٠	﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الحشر: ٧
٦٠، ١٣٩	﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الحشر: ٢١
	الممتحنة
٢٢٩	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ... وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ الممتحنة: ٤ – ٦
٢٤٥	﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الممتحنة: ٨

فهرس الأحاديث

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس المصادر والمراجع

١ ـــــ اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٧هـــ.

٢ ـــــ أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، ناصر بن عبد الكريم العقل، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤١٨هـــ.

٣ ـــــ الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن الدوسري، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط ١، ١٤٠٢ هـــ - ١٩٨٢ م.

٤ ـــــ أساليب الدعوة و التربية في السنة النبوية، زياد العاني، دار وحي القلم، ٢٠٠٨، سوريا.

٥ ـــــ أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبدالله بن حميد، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، ط ١، ١٤١٥هـــ.

٦ ـــــ البدع الحولية، عبد الله بن عبد العزيز بن أحمد التويجري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢١ هـــ - ٢٠٠٠ م.

٧ ـــــ التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م.

٨ ـــــ تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، الماوردي، تحقيق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، بيروت.

٩ ـــــ التعريفات، الجرجاني، ١٧٨، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٣هـــ - ١٩٨٣م.

١٠ ـــــ تفسير العز بن عبد السلام، المحقق، الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الناشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـــ.

١١ ـــــ التفسير والمفسرون، الذهبى، مكتبة وهبة، القاهرة.

١٢ ـــــ تهذيب أسماء اللغات، النوو\ي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

١٣ ـــــ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـــ - ١٩٦٤ م.

١٤ ـــــ الجمعيات الاسلامية في مصرودورها في نشر الدعوة الاسلامية، محمد عبد العزيز داود، الزهراء للإعلام العربي، ط ١.

١٥ ـــــ جهود الشيخ تقي الدين الهلالي في الدعوة إلى الله، خالد الزهراني، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤٢٨ه.

١٦ ـــــ جهود الشيخ سليمان بن سحمان في الدعوة إلى الله، فرحان بن مجلي الظفيري، رسالة ماجستير من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، غير منشورة.

١٧ ـــــ جهود الشيخ محمد رشيد رضا في الرد على عقائد النصارى، عبد الرحمن بن غالب العواجي، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العقيدة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة.

١٨ ـــــ الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط٤، ١٤٢٥هـــ، مؤسسة الجريسي، الرياض.

١٩ ـــــ الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق، زيد عبد الكريم الزيد، دار العاصمة، الرياض.

٢٠ ـــــ حلية الأولياء، ابونعيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٤٠٩ه.

٢١ ـــــ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط ١، ١٣٩٩هـــ، طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢٢ ـــــ دراسات في التربية الإسلامية، أحمد سعيد الغامدي، ط ١، مكتبة العلوم والحكم.

٢٣ ـــــ رجال من التاريخ، علي الطنطاوي، ط ٨، ١٤١١هـــ دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.

٢٤ ـــــ رحلات الامام محمد رشيد رضا، يوسف ايبش، بدر للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـــ.

٢٥ ـــــ الرد على البكري، ابن تيمية، الدار العلمية، دلهي، الهند، ط ٢، ١٤٠٥هـــ.

٢٦ ـــــ رشيد رضا تاريخ وسيرة، أنيس الأبيض، جروس برس، لبنان، ط ١، ١٤١٤ه-١٩٩٣م.

٢٧ ـــــ زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، دار الكتاب العربي.

٢٨ ـــــ السيد رشيد رضا، شكيب أرسلان.

٢٩ ـــــ السيرة النبوية، ابن هشام، ١٣٠/٢-١٣٢، تحقيق مصطفى الفا وآخرون، تراث الإسلام.

٣٠ ـــــ الشيخ رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. محمد عبد الله السلمان.

٣١ ـــــ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـــ - ١٩٨٧ م.

٣٢ ـــــ صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، أحمد بن حمدان النميري الحرّاني الحنبلي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣، ١٣٩٧ه.

٣٣ ـــــ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي، المطبعة السلفية ومكتبتها، ط٣، ١٣٧٨هـــ.

٣٤ ـــــ العبودية، ابن تيميه، المحقق محمد زهير الشاويش، الناشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة السابعة المجددة، ١٤٢٦هـــ - ٢٠٠٥م.

٣٥ ـــــ الفتيا ومناهج الافتاء، محمد سليمان الأشقر، مكتبة المنار الإسلامية، ط ١، ١٩٧٦م

٣٦ ـــــ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الأوروبي، محمد البهي.

٣٧ ـــــ قبسة من أنوار الوحي، محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٣٨ ـــــ القدوة ودورها في تربية النشئ، بريكان القرشي، ط٢، ١٤٠٥هـــ، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.

٣٩ ـــــ القصاص والمذكرين، ابن الجوزي، تحقيق محمد لطفي الصباغ، ط ١، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

٤٠ ـــــ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، للكفوي، المحقق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤١ ـــــ لسان العرب، لابن منظور.

٤٢ ـــــ مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ناصر بن عبدالكريم العقل، ط١، ١٤١٢ هـ، دار الوطن للنشر، الرياض.

٤٣ ـــــ مجلة الفتح، محب الدين الخطيب، العدد ٤٦٠ - ٣٠ جمادي الآخرة ١٣٥٤هـ.

٤٤ ـــــ مجلة نور الإسلام، المجلد السادس عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.

٤٥ ـــــ مجموع الفتاوى، لابن تيمية، المحقق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٦ ـــــ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٤٧ ـــــ مختار الصحاح، زين الدين الرازي، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، ط ٥، ١٤٢٠هـ.

٤٨ ـــــ مختار الصحاح، للفخر الرازي.

٤٩ ـــــ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن الجوزي، ط٣، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية.

٥٠ ـــــ المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبي الفتح البيانوني ط ٢، ١٤١٢ه، مؤسسة الرسالة.

٥١ ـــــ المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط ١، ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦ م.

٥٢ ـــــ مذكرة على العقيدة الواسطية، محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ ه.

٥٣ ـــــ المعجم الفلسفي، أصدره المجمع اللغوي بالقاهرة، عام ١٤٠٣ -١٩٨٣م.

٥٤ ـــــ معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب،ط ١، ١٤٢٩هـــ - ٢٠٠٨ م.

٥٥ ـــــ معجم المؤلفين السوريين، عياش عبد القادر، ط ١، دار الفكر، ١٤٠٥هـــ، دمشق. سوريا.

٥٦ ـــــ المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٧ ـــــ معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي و حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٨ هـــ - ١٩٨٨ م.

٥٨ ـــــ معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي وحامدصادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٠٨ هـــ - ١٩٨٨ م.

٥٩ ـــــ معجم مقاييس اللغة، لابن فارس.

٦٠ ـــــ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، ١٤٠٢هـــ، دار نجد، طبع دار الفكر، دمشق.

٦١ ـــــ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، ١٣٨١هـــ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

٦٢ ـــــ المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، كتاب الحاء، مادة: حكم، تحقيق محمد سيد الكيلاني، ١٣٨١هـــ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

٦٣ ـــــ من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، دار البشير، ١٤٢٩هـــ -٢٠٠٨م. الطبعة السابعة.

٦٤ ـــــ منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، ص الناشردار ماجد عسيري، ط١، ١٤٢٥هـــ-٢٠٠٤م.

٦٥ ـــ منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله تعالى، إبراهيم بن محمد الجنيدلي، وهي رسالة دكتوراه لم تطبع.

٦٦ ـــ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي،إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر التوزيع، ط ٤، ١٤٢٠ هـ.

٦٧ ـــ الموقع الالكتروني مؤتمر العالم الإسلامي، http://wmc.org.sa/.

٦٨ ـــ نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، الفه عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط ٤.

٦٩ ـــ نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ط ٦، ١٤١١هـ.

٧٠ ـــ النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق :طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٧١ ـــ وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه، لابن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد إدارة الطبع والترجمة، ط ٥،١٤٠٩هـ.

٧٢ ـــ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، خير الزركلي، دار العلم للملايين، ط ٣، ١٩٧٧م.

٧٣ ـــ وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي، ط١، ١٤٢٠ه، دار اشبيليا، الرياض.

فهرس الموضوعات